٣

مجموعة مقالات مؤتمر الإمام المهدي (عج) ومستقبل العالم

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

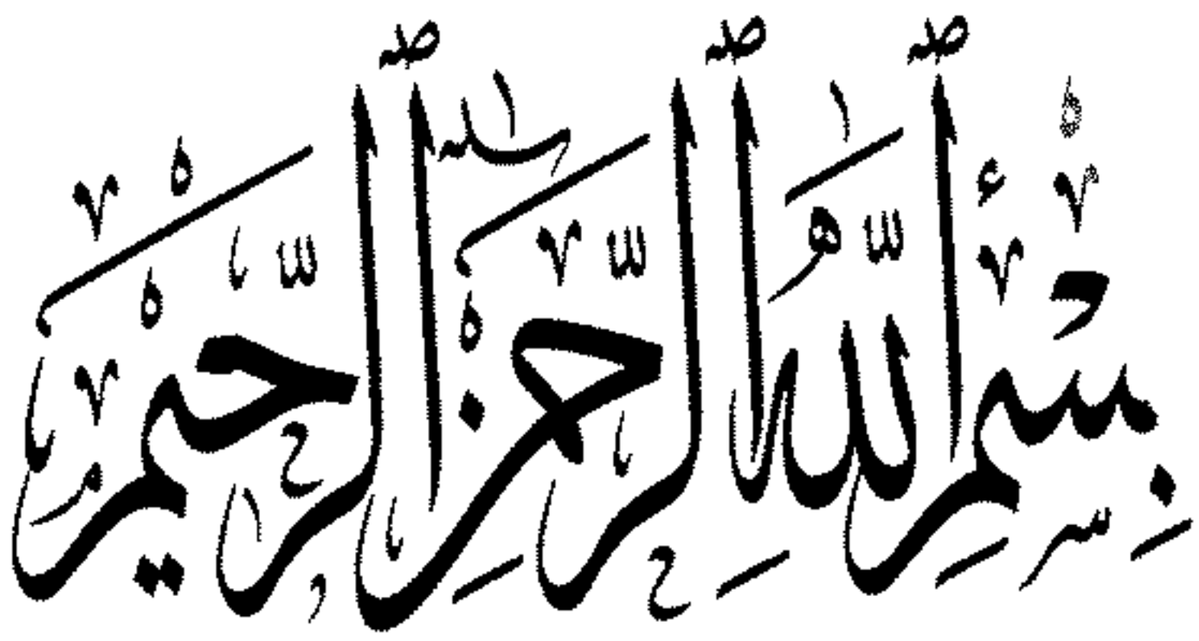

مجموعة مقالات

مؤتمر

الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

ومستقبل العالم

(ج٣)

النجف الأشرف ـ كربلاء المقدسة

هوية الكتاب

مجموعة مقالات

مؤتمر الإمام المهدي عليه السلام ومستقبل العالم / ج٣

تأليف: مجموعة من المؤلفين

الناشر: مجمع اهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

سنة الطبعة: ١٤٣٤ هـ . ق

العراق – النجف الاشرف

فهرس المقالات

المقدمة..... ٧

كلمة رئيس اللجنة التحضيرية(الشيخ الدكتور على السميسم)..... ١٣

كلمة رئيس جامعةالكوفه (الدكتور عبد ياسين الكوفي)..... ١٦

كلمة رئيس جامعة كربلاء (الدكتور منير حميد طليفح السعدي)..... ٢٠

عقيدة المهدى(عج) و توظيفها السياسي فى العصور الاسلاميه (عماد عبودى نصار)..... ٢٤

دلالة النص القرآني على اهل البيت الامام المهدي(عج)(صالح جبار القريشى)..... ٥٤

اجماع الامة الاسلامية فى مفهوم المهدوية (بلاسم عرير شبيب)..... ٧٢

امام المهدى (عج) و الاشارات القرآنية (وفقان خضير محسن الكعبى)..... ٩٠

الامام المهدى (عج) فى سورة النساء (صادق فوزى النجارى/ عدنان كاظم مهدى شعبان)..... ١٠٣

المهدى (عج) فى القرآن الكريم و السنة الشريفةو حقيقة الظهور(صلاح عبدالحسين المنصورى)..... ١٤٥

تحليـــل جغرافـــى لمعركة قرقيسيـــاء و نتائجها فى بدايـــة عصر ظهـــور (ضرغام خالد ابو كلل/ محمد جواد عباس شبع) ٢٠٩

الحركات المهدوية المنحرفة فى العراق (ياسين شهاب شكرى الموصلى)..... ٢٧٧

المقدمة

لا شكّ أنّ الضرر والخسران الذي يلقاه الإنسان وتعنى منه الإنسانية من جرّاء غيبة ولي الله وحجّته عجل الله فرجه، ليس بالأمر الهيّن الذي يُمكن أن يُمرّ عليه مرور الكرام. إنْ كُنا نؤمن ونُقرّ بأنّ جميع الخيرات والبركات التي ينعم بها عالم الوجود يعود الفضل فيها إلى هذه الدّرة التي تضيء جبين الوجود (بوجوده ثبتت الأرض والسماء وبيمنه رزق الورى). إذاً غيبته ينبغي أن تبعث في نفوسنا الهواجس، وتثير فينا الألم والأسى. والتأمّل في هذا الخسران والحرمان يكشف لنا عن واقع الاضطرار والحاجة إلى ولي الله. إنَّ ألم الانقطاع عن الرحمة الإلهيّة الواسعة يعني حيرة التَيْه وراء الظنون والتصوّرات الذهنية، والعوز الناجم عن عدم درك العروة الوثقى للهداية والسؤدد. ونحن إذا استطعنا استيعاب قضيّتي (الاضطرار والفقر)، يكتسب الانتظار عندئذ معناه، وهو الانتظار الذي وصف بأنّه أفضل العبادة «**أفضل الأعمال انتظار الفرج**»، والأمل بتحقّق حكومة الحقّ، والسعي من أجل الوعد الحقّ الذي وعد به الله الصابرين ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾ (سورة الروم: ٦٠)، والأخذ بالتدبير للمستقبل، والعمل على طريق رسم نظام جديد.

إنّ الاعتقاد بالاضطرار إلى وجود الحجّة يعني الانتظار الذي هو عبارة عن البقاء على منصّة العزّ والشرف وعدم الخضوع لدواعي الخنوع والتعاسة. ويعني في ما يعنيه الصلابة والصمود والتحمّل، وليس التراخي والخور والسذاجة. المؤمن بالإمام

الغائب منتظر في كلّ لحظة لوقوع حادثة إلهيّة على مستوى العالم لصالح الحقّ والعدالة.

وهذا ما سيقع حتماً على يد ذلك الرجل الإلهي من سلالة المعصومين، وهو خليفة الله، والمُنْتَظِر هو مَنْ يترقّب كلّ لحظة سماع هذا الخبر المدوّي، وهو يستنفر ذاته، ويستثير الآخرين، ويمهّد الأرض للفتح النهائي. وفي ضوء هذه الرؤية يصبح كلّ موقف وكلّ مكان منطلقاً لإحياء وتبيين الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه، ويحمل منطلقات الانتظار الإيجابي الفاعل، ويقدّم صورة مشرقة عن المستقبل والعالم، وما إلى ذلك.

إنَّ هذا الأمر المهمّ والمنشود لا بدّ أن تتحمّل مسؤوليته المراكز العلمية الدينية «الحوزات المقدّسة» و«العلماء والمفكّرون الدينيّون». فالعالَم اليوم يتطلّع إلى معالم واضحة وشفّافة عن مستقبل ينعم بالأمن والرقي، ويحترم كرامته الإنسانية، ويهتم بعزّته وسعادته، ويوفّر له موجبات السعادة والاستقرار. هذه المهمّة إذا نهضت بها المراكز الدينية القويمة يمكنها أن تقدّم رسائل مقبولة ومباركة للباحثين عن الحقّ والتوّاقين إليه. والحوزة العلمية في النجف الأشرف موئل مبارك يشعّ إلى جانب الضريح النيّر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والمعطيات العلمية الوفيرة وتربية العلماء والمفكّرين الورعين في الحوزة العلمية المقدّسة في قم هوما جعل منها اليوم مركزاً محورياً لمعارف أهل البيت عليهم السلام، هما أولى وأصلح موضع يتكفّل بالنهوض بهذه المهمّة، وهما الركيزة المقدّسة القادرة على إيصال أفكار المهدوية إلى أسماع العالم الإسلامي وإلى أسماع جميع شعوب العالم، وتوجب المزيد من التلاحم بين المسلمين، وترتقي بمقوّمات المعرفة والإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه، وتبدّد جميع السلبيات والانتكاسات التي نجمت عن دعوة أصحاب الباطل.

ولأجل النهوض بهذه المهمّة، كان من اللازم والضروري عقد مؤتمر علمي حول مباحث المهدوية ـ وخاصّة بنظرة تستشرف مستقبل العالم ـ بمشاركة الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدّسة. وهذا ما أُنجز ـ والحمد لله ـ من بعد مشاورات ومحادثات من قبل المراكز المختصّة والناشطين في مجال المهدوية، حيث

حصلت الموافقة وتمّ الإجماع والاتّفاق المبارك لعقد هذا المؤتمر. وكلّنا أمل في أنّ ذلك سيؤدّي إلى حركة متواصلة ومستمرّة وواسعة في سائر مناطق العراق.

في أعقاب الدعوة التي أطلقتها الأمانة العلمية المشرفة على عقد هذا المؤتمر، وصلت آثار قيّمة من الفضلاء، ومدرّسي المراحل الدراسية العليا في الحوزة العلمية، وأساتذة الجامعات، والباحثين من ذوي النظر وذوي الصيت الذائع، وخاصّة المتخصّصين في حقل البحوث المهدوية، من المراكز العلمية والتعليمية في إيران والعراق وغيرهما من البلدان الإسلامية، حيث جرى تبويب المقالات المختارة، وستُعرض في إطار المحاور الأربعة التي اعتمدها المؤتمر، من أجل الاستفادة منها على أفضل وجه.

لابد من الاشارة الى ان الجهود القيمة التي بذلها فضيلة الشيخ آية الله محمد مهدي الآصفي في رئاسة مؤتمر الامام المهدي(عج) ومستقبل العالم وكذلك فضيلة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الدكتور علي سميسم عميد كلية الفقه في جامعة الكوفة ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر وأعضاء اللجنة المحترمين الدكتور السيد رزاق حسين فرهود، الدكتور سيروان عبدالزهراء، الدكتور نصير الكعبي، الدكتور قاسم كتاب عطاءالله، الدكتورة سهام الكواز، الدكتور الشيخ كريم الشاتي شبوط، الدكتور السيد حمود بهية، الشيخ حسن كريم الربيعي، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد صادق فيض‌آبادي ، السيد رضا ميرابيان، السيدة حوراء مهدي عبدالصاحب والدكتور محمد الصريفي وكذلك اللجنة العلمية حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رضا اسكندري، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رحيم كارگر، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبى كلباسي، حجة الاسلام والمسلمين السيد منذر الحكيم، الدكتور حسن عيسى الحكيم، الدكتور يسار الشماع، الدكتور محمد كاظم البكاء، الدكتور صاحب نصار، الدكتور حاكم حبيب الكريطي، الدكتور صباح عباس عنوز، الدكتور رؤوف احمد الشمري وهكذا لجنة تسليم البحوث الدكتور حسين عبدالعال بعيوني، الدكتور ماجد حميد فرج، الدكتور مظاهر جاسم عبدالكاظم وكذلك اللجنة الفنية والاعلامية فراس الشمري، زكي شاكي النهيري، المهندس

رضوان الصغير، محمد مهدي مؤمني ها وهكذا اعضاء اللجنة التقنية المحترمين وباحثوا مركز الدراسات المهدوية، ومحققي المركز التخصصي للمهدوية واعضاء الهيئة العلمية لمركز ابحاث العلوم والثقافة الاسلامية ومحققي المجمع العالمي لأهل البيت(ع) في قم وهكذا العراق ومحققي جامعة المصطفى العالمية وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ احسان الجواهري رئيس مؤسسة آل البيت المحترمة في النجف الاشرف وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ مهدي القرشي مدير مكتبة الامام الحسن المجتبى(ع) للعلامة المرحوم محمد باقر القرشي وحجة الاسلام والمسلمين السيد محمد القبانجي رئيس مركز الدراسات التخصصية للامام المهدي(عج) في النجف الاشرف وأيضا السادة الاجلاء الذين ساهموا في امر الترجمة بالأخص فريق الترجمة بمؤسسة الاسراء في قم المقدسه وفريق الترجمة في المجمع العالمي لأهل البيت وجامعة المصطفى العالمية مكتب العراق كذلك نبلغ غاية شكرنا وتقديرنا لكافة اعضاء اللجنة العلمية لسكرتارية المؤتمر في ايران وكذلك مساهمة رئيس جامعة الكرفة السيد الدكتور عقيل عبد ياسين الكوفي ورئيس جامعة كربلاء السيد الدكتور منير حميد السعدي، وكذلك امين العتبة الحسينية سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المهدي الكربلائي وكذلك امين العتبة العلوية سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ ضياء زين الدين مشكورين على جهودهم المبذولة.

لاشك ان التوفيق في نشر المعارف المهدوية وإقامة المؤتمر تم بمساعدة ومساهمة حضرات السادة المسؤولين الذين شاركوا و واكبونا بوافر المحبة والاندفاع بإقرار وتنفيذ المؤتمر وهم: سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد علي قاضي عسكر المحترم رئيس بعثة الامام السيد الخامنه‌اى في الحج والزيارة، وسماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ اختري المحترم المدير العام للمجمع العالمي لأهل البيت(ع)، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ علي رضا اعرافي المحترم رئيس جامعة المصطفى(ص) العالمية وقائم مقامه المحترم حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مهدوي مهر، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ احمد الواعظي المحترم رئيس مكتب التبليغ الاسلامى فى الحوزه العلمية بقم المقدسه، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ حسين توسلي رئيس

مركز الابحاث العلمية والثقافة الاسلامية ، حجة الاسلام والمسلمين محسن قرائتي رئيس مؤسسة الامام المهدي(عج) في ايران وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبى كلباسي مدير المركز التخصصي للمهدوية في قم المقدسة. هذا وقد انجز المؤتمر و اعطى ثمره لذا ارى من المفروض علي ان اقدر واشكر جميع المساهمين فردا فردا كذلك المركز العلمي للمهدوية في قم المقدسة بنجاح باهر والحمد لله هذا ونخص بالذكر حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رضا اسكندري المحترم مسؤول ممثلية سماحة السيد الخامنائي(حفظه الله) في شؤون الحج والزيارة فى العراق، حيث بذل جهوداً جبارة لإنجاح مؤتمر الامام المهدي(عج) ومستقبل العالم مع وجود المصاعب والعقبات الكبيرة لكنه والفريق المرافق له من النخبة الحريصة والعالمة بالمعارف المهدوية تابعوا بدقة مع التمعن بالأدلة والموجبات اقروا الابعاد العلمية للمؤتمر ثم شرعوا بتنفيذه بأطروحة مبرمجة متحدين المصاعب والعقبات في التعامل بين الحوزة العلمية في قم المقدسة والنجف الاشرف من جهة التعامل بين الحوزة والجامعة المتمثلة بالحوزة العلمية في النجف الاشرف وجامعتي الكوفة وكربلاء من جهة اخرى حيث استند هذا التنسيق بشكل دقيق وظريف حتى اقامة المؤتمر وكل هذا نابع عن العقيدة والفناء العميق بالنظرية المهدوية وكان هذا العطاء بسواعد حضرات السادة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد صادق فيض‌آبادي، رضا ميرابيان، مسعود جمشيدي، محسن كشتكار وعلي جهانگيري؛ لذا علاوة على الشكر والامتنان لجهدهم نسأل العلي القدير لهم التوفيق والبركة الدائمة طيلة حياتهم كذلك نرى من المناسب ان نتشكر من السادة حجة الاسلام والمسلمين نجف لكزايى المعاون الثقافي للمجمع العالمي لأهل البيت(ع) وحجة الاسلام والمسلمين سالار معاون المجمع العالمي لأهل البيت(ع) في الشؤون الدولية وجناب السيد خاكرند مدير عام افريقيا – العربي للمجمع العالمي لأهل البيت(ع) وأيضا نشكر مساهمة وألطاف ومساعي حجة الاسلام والمسلمين السيد عبد الكريم الحيدري مدير شؤون العراق في جامعة المصطفى العالمية وسماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد هاشم الفياض حيث قام مشكورا في تنقيح المقالات قبل الطباعة.

في النهاية نتقدم بالشكر الجزيل للجهود المخلصة المبذولة من قبل زملائنا في سكرتارية المؤتمر حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رحيم كارگر المسئول العلمي للسكرتارية، السيد حامد شاهرخي المسئول التنفيذي في السكرتارية، محمد مهدي رباني مسئول التنضيد والنشر، السيد حسين ميرخليلي مسئول الضيافة والارتباطات، السيد حسين موسوي مجاب المشرف على الطباعة والنشر ومحمود نوراللهي مسئول الدعم والإسناد، وفريق التقييم، وفريق الترجمة، والزملاء الكرام والعاملون الدؤوبون، هي التي مهّدت السبيل أمام استحضار هذه المقالات والآثار. ولذلك فنحن نرجو أن تكون موضع قبول مَن أُنجِز لأجله هذا العمل، وهو بقيّة الله في الأرضين، وأن نكون من المشمولين بدعائه، مع وافر الشكر والتقدير.

محمّد تقي ربّاني

مدير معهد المهدوية

كلمة سماحة حجة الاسلام و المسلمين الشيخ الدكتور علي السميسم ، رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الإمام المهدى (عج) و مستقبل العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين و به نستعين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين حبيب رب العالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين

الحفل الكريم – مع حفظ جميع المقامات

السلام عليكم

يسعدني ويشرفني أن نلتقي في عاصمة الإمام المهدي (الكوفة المقدسة) بالمؤتمر الدولي العلمي الأول (الأمام المهدي ومستقبل العالم) تحت شعار(المؤمل سعادة وأمل) المؤمل الذي تنتظره شعوب العالم وينتظره أهل الألباب الصافية ينتظره أهل النفوس السامقة ينتظره المستضعفون تنتظره القلوب المنكسرة ينتظره الاصطلاحيون ينتظره الأحرار ينتظره أهل الحق ينتظره أهل الله جل وعلا ، المؤمل الذي بشرت به الكتب السماوية عامة والقرآن الكريم والسنة الشريفة خاصة ، بشرت بيوم موعود تستحيل فيه الأرض الخراب إلى جنة وارفة الظلال يغمرها السلام ، وبمخلص يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما و جورا ـ ونشير بإشارات عابرة لذلك تاركين التفاصيل للباحثين الأجلاء ، فقد وردت نصوص في العهدين تشير لإمامنا (عج)

فقد أخبر (أشعيا النبي) بما معناه: وبنصوص عديدة منها:

١- ويحكم بالإنصاف لبائسي- الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه.

٢- ويسكن الذئب والخروف، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل معا، وصبي صغير يسوقها.

٣- ويلعب الرضيع على سَرَب الصلّ ويمد الفطيم يده علي جُحرْ الأفعوان.

٤- لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسيّ. لان الأرض تمتلئ من معرفة الربّ كما تغطيّ المياه البحر.

٥- وفي ذلك اليوم سيرفع (القائم) رايةً للشعوب والأمم التي تطلبه وتنتظره ويكون محله مجدا.

ومن ذلك ما جاء في (سفر يوحنا): (٠٠ثم رأيت مَلكا طائرا في وسط السماء. معه بشارة أبدية ليبشّر الساكنين على الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب منادياً بصوتٍ عظيم: خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة حكمه واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه) ، نجد في هذا النص الذي أخبر عنه (يوحنا) إشارة إلى (الصيحة الحق)

وما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة الشيء الكثير منها:

قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَي الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كانُوا يَحْذَرُونَ**﴾.

وقال تعالى:﴿ **بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكمْ إِن كنتُم مُؤْمِنِينَ**﴾.

وقال تعالى : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ امَنُوا مِنكمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرضِ كمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكنَنَّ لَهُمْ**

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكونَ بِي شَيْئاً وَمَن كفَرَ بَعْدَ ذلِك فَأُولئِك هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً). ـ وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كلِّهِ**﴾ وقد ورد في الأثر عن الإمام علي عليه السلام أنه فسر هذه الآية بظهور المهدي عليه السلام وانتشار كلمة لا أله ألاّ الله في ربوع العالم كما فسرها الإمام الباقر (ع) بذلك أيضاً.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في هذا المورد: (يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم).

ومن هذه البشائر التي آمناس بها ومما يجري اليوم من فتن دهماء وأفكار سوداء وبصائر عمياء سفكت الدماء الطاهرة وانتهكت الأعراض العفيفة وانكسر الضعيف وفسد القوي وطغى، ندعوا الله سبحانه وتعالى أن نكون على المنهج القويم والدرب الذي ارتضاه لنا ومن الممهدين لدولة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ((اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى أبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة وليا وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا برحمتك يا ارحم الراحمين....))

ولابد لي أن اشكر اللجنة العلمية والتحضيرية والإعلامية والفنية وكل من أسهم في إنجاح هذا المؤتمر الكريم

والحمد لله رب العالمين

وشكرا

كلمة الدكتور عقيل عبدياسين الكوفي
رئيس جامعة الكوفه
في مؤتمر الإمام المهدى (عج) و مستقبل العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

ونريد ان نمن على الذين إستضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين

الحمد لله رب العالمين فاطر السموات والأرضين و الصلاة والسلام على أحب خلقه وسيد رسلة صفوة الأنبياء و المرسلين حبيب قلوبنا وطبيب نفوسنا الأمجد المحمود الأحمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين العز الميامين إلى قيام يوم الدين.

العلماء الأفاضل الأعلاموالباحثين الأجلاء والحضور الكرام.. السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

أهنئكم جميعا بأنعقاد هذا المؤتمر المبارك وأسأل الله جلت قدرته أن يجعله ذخيرة من ذخائرنا وأعمالنا ليوم لاينفع فيه مال ولابنون. هذا المؤتمر الذي يختص بمنقذ البشرية من الضلالة إلى الهدى.. هذا المنقذ المصلح الذي على يديه يسود الاسلام والسلام في هذا العالم وتملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلماً وجوراً أبوالقاسم صاحب الزمان الحجه الخاتم المنتظر القائم الموعود

الأمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه وسهل الله مخرجه وجعلنا من أعوانه وأتباعه.

الأخوه المؤمنون المهديون الأفاضل..

منذ فجر الرساله المحمديه الخالديه ومروراً بعهد الصحابه وعهد التابعين إلى عهد العلماء الأجلاء كان المسلمون يتلقون أنباء وقضية ظهور الأمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وكان الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم يخبر دائما عن هذا الأمر وقد جمعت الكثير من الأحاديث الشريفه عن النبي، وتشير المصادر الى ان اكثر من ٧٠ من الصحابه روى عن الأمام المنتظر روايات متواتره، والمتصفح لكتب الحديث والتفسير والتأريخ الأسلامي يجد الكثير من الأحاديث الوارده عن ظهور المهدي، ان قضية المهدويه من القضايا التي اجمع جميع المسلمين على مفهومها العام لكنهم اختلفوا في تحديد الشخصيه، وقد عمل الأئمه الهادين المهديين عليهم السلام على بيان ان المهدي عجل الله فرجه من ذرية النبي محمد صلى الله عليه واله وذرية علي وفاطمة عليهما السلام، وانه الأمام الثاني عشر من سلسلة أئمة الهدايه، وقد تركزت جهود المامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) حول موضوع التمهيد لإقامة حكم الله وخلافة الانسان في الأرض.. هذه الخلافة التي قدر لها ان تمر بمرحلة طويلة وصعبه.

لقد أثارت القضيه المهدويه السلطه العباسيه الحاكمه فقد حاولت بكل ماأوتيت من قوه وبطش للحيلوله دون ولادة المام المنتظر فشددت الرقابه وأقامت العيون والجواسيس حول أسرة الأمام الحسن العسكري (علية السلام) إلا أن المشيئه الإلهيه تعلقت بحتمية هذه الولادة،فكانت ولادة المصلح العالمي المنتظر الأمام الثاني عشر فجر يوم الجمعة المباركه النصف من

شعبان سنة مئتين وخمس وخمسين للهجره الموافق لعام ٦٦٨ ميلادي في مدينة سامراء من أب وأم كريمين، وقد جعل الله جل وعلا ولادته مثل ولادة نبينا موسى عليه السلام أمرا متخفياً الا على جماعه قليلة من المخلصين، وقد تسلم المهدي عجل الله فرجه الامامه الفعليه سنه (٢٦٠)هـ بعد وفاة والده الأمام العسكري، ونتيجة إلحاح السلطة الحاكمه آنذاك في تعقب الأمام توارى عن الأنظار في غيبة الصغرى وشغل منصب النيابه عنه في ادارة شؤون الامه ولمدة سبعين سنه أربعة نواب عرفوا بالسفراء والذين بذلوا كل مجهودهم للحفاظ على خط ونهج اهل البيت عليهم السلام، وامتدت الغيبة الصغرى منذ وفاة الأمام العسكري سنه ٢٦٠هـ وحتى سنة ٣٢٩ هـ، وبعد ان حققت الغيبة الصغرى اهدافها وحضنت الأمة من الإنحراف وجعلتهم يتقبلون فكرة النيابه التي تحولت من أفراد منصوص عليهم الى خط عام هو خط المرجعيه بدأت الغيبه الكبرى التي ستستمر حتى يأذن الله تعالى بالظهور.

العلماء الأفاضل.. الحضور الأجلاء

إننا نعتقد ان هذا المؤتمر هو ضروره لترسيخ المعرفه بالإمام المهدي والإيمان بأمامته في زمن غيبته وتعزيز الإرتباط به والاعتقاد بظهوره ودوره المهم في اصلاح المجتمع الانساني والقيام بأرساء دعائم دوله عادله كريمه تملأ قسطاً وعدلاً.. جعله الله في ميزان اعمالكم وجزاكم الله ووفقكم للمزيد واخذ بيدكم بما فيه رضاه انه نعم المولى ونعم النصير.

سلام على الامام المهدي الموعود وسلام على منتظريه الحقيقيين وسلام على غيبته وظهوره وسلام على الذين يدركون ذلك الظهور ويرتشفون من كأس هدايته وتنشد قلوبهم المؤمنه لرؤية طلعته البهيه..

اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمه تعز بها الأسلام واهله وتذل بها النفاق واهله وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والأخره.

أتمنى للجميع التوفيق والسداد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الامام المهدي و الحتمية الاخلاقية

كلمة الدكتور منير حميد طليفح السعدي
رئيس جامعة كربلاء
في مؤتمر الإمام المهدى (عج) و مستقبل العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

" و يحق الله الحق بكلماته و لو كره الكافرون"

صدق الله العلى العظيم

السادة العلماء الاجلاء على ارادة انسانية بعدت عليها الشقة و تعيش حال فترة من الرسل و هذا الحال نتيجة لماء بداه البشر من تجاوز و نسيان للضرورات العقائدية و اليدينية و الاوامر و النواهي التي اضحت امرا لاتاخذ الحيز الاساس من اهتمام الانسان على كوكب الارض .

ثم نتيجة لذلک لم تعد القضية العبادية هدفا اساسيا للوجود البشري و طغيان الاهداف المادية التى اسرت الانسان و اخذته بعيدا عن الانسجام مع رسالات السماء و هو امر من خلق الانسان و ليس دخيلا عليه .

والحال هذا - ايها السادة - فاض الوجود البشرى بازمات تضرب مشارق الارض و مغاربها تهدد مركب الحياة على كوكبنا و تغير معالم الوجود بكل اطيافه المادية و المعنوية .

ومهما حاول الانسان الخروج من هذه الازمات ود نفسه فى ازمة اخرى كأنه تيه اخلاقى لاأمد له ، ((كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها)) .

ايها الاخوة الافاضل

وسط هذه الفوضى في العلاقات البشرية ظهرت نظريات علمية و منظومات فكرية ايدولوجية ذهبت مذاهب شتى و امعنت في الاستبداد

الفكري و المنهجي فانتجت هى الاخرى معالم فكرية خطيرة زادت في ماساة البشر و عمقت الجراح العقائدية و دعت الانسان بعيدا عن خالقه احساسا و سلوكا و روحا .

و تحولت هذه المنظومات الايديولوجية الى مرجعيات ثابتة ثم الى اعتبارها حتميات تنوعت بين الحتمية التاريخية و الحيوية و الالية و الجغرافية الى غير ذلک من مفاهيم و مسميات استطاعت ان تأسر الانسان فكرا و مذهبا فى الحياة الى حد تقسيم البناء السياسى و القومى فى العالم طبقا لهذه الحتميات و هي لاتزال تحكم عالمنا المعاصر و تمتلک من القوة التى لايستهان بها .

ان مانعيشه اليوم من سفک للدماء و تراجع خطير في الايمان بالله تعالى و تهلک في العلاقات الاجتماعية اخر صيحاتها تشريع القوانين التى تحمي المثلية فيالعلاقات الاجتماعية التى نعتقد انها المسمار الاخسير في نعش البعد الاخلاقي للحضارة المعاصرة .

و هذا المنحى انما يثبت بما لا يقبل الجدل ان الانسانية تتيه في عالم لا تمتلک بوصلة فيه لتحدد اتجاهاتها و سبل مسيرها .

ما يعطينا الثقة و الدليل المادى و الملوس ان المنقذ لم يكن مجرد فكرة او عارضا في التفكيرالبشرى بل بل حاجة جوهرية تقود اليها تداعيات الاغتراب الاخلاقي و العقئدي البشري .

و المنقذ هنا يكتسي لباسا ليس بغريب عن عالمه بل هو حتمية ايضا اخلاقية يستند الى معطى تاريخي اكد ان الامام عليه السلام يملوها قسطا و عدلا بعد ان ملئت ظلما و جورا و كان البعد الاخلاقى هو الهدف

النهائى يوشر ان الاخلاق النابتة من الارض هي غيرها النازلة مـن السـماء باعتبار المصدر و الغاية .

ايها الاخوة الافاضل

في عالمنا الاكاديمي توكد النظريات العلميـة في الماديـة الصرـفة ام في العلوم الانسانية ان انتزاع القيمة من العلم قسرا هـو امـر لـه نتـائج و خميـة على تطبيقات العلم ، ولكن ابقاء العلاقة بين العلم و القيمة مشـدوة بقـوة يحتاج الى جهد كبير لأن غياب المشرع العلمى مفقـودا والمرجعيـة الفرديـة لشخص عالم قوى مهاب فكريـا مفقـودة مـايعنى ان حضـور الامـام عليـه السلام ضرورة حتمية ليشـكل نموذجـا فرديـا قـادرا علـى التجـاسر على الاطروحات الفكرية للعالم المعاصر ويمتلك القدرة على تنفيذها ثم تجويل المادة الفكرية الى عالم معاش وتطبيق الأفكار بشكلها الأولى.

ايها الإخوة الكرام

إن خارطـة الحيـاة المعـاصرة تشـهد أن تثبيـت النظـام الإسـلامى والأخلاق الإسلامية وهو ليس بـالأمر الهـين إلا فـى إطـار حتميـة ربانيـة كتلك التي يمتلكها الإمام المهدي عجل الله فرجـه الشرـيف لأن اسـتحالة التغيير وفق معطيات القوة المعاصرة واضحة تماما وما يمتلكه العالم الملحـد من سيطرة مادية وفكرية بلغت تأثيرا عاليا لاينهض بها إلا مرجو من ربه او مدعوم منه تعالى وهو امر لاينطبق إلا على الإمام المنتظر لأنه يأتي في سياق حتمية تاريخية واخلاقية لها جذور في الواقع ومفروضة بقوة الكلمة الإلهية التـي يفـرض الله تعـالى بهـا الحـق (ويحـق الله الحـق بكلماتـه ويقطـع دابـر الكافرين).

أيها الإخوة الكرام

نحن في العمل الأكاديمي نعمل على تحقيق وتهيئة السبيل لإقامة الحتمية الأخلاقية التي تهدف اليها دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفق معطيات العلم ومنتجاته واثاره التي تسعي المؤسسات الأكاديمية الى التحكم فيها الى حد بعيد.

نسأله تعالى السداد ومعرفة السبيل اليه والتمسك بحبله وانتظار فرجه ونحن عاملون متوكلون.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

عقيدة المهدي وتوظيفها السياسي في العصور الإسلامية الأولى

أ.م.د.عمار عبودي نصار
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

تولـدت فكـرة المهـدي المنتظـر ، وكـذلك الـدجال في الذهنيـة العربيـة في العصـور الإسـلامية عـلى وجـه التحديـد ، لأنهـا لم تكـن موجـودة و معروفـة عنـدهم قبـل الإسـلام ؛ لبسـاطة تفكـيرهم وأميـتهم المطبقـة والتـي كانـت قـد ضربـت أطنابهـا في مجـتمعهم ، مـع العلـم ان المجتمعـات والملـل المجـاورة لهـم قـد عرفـوا وقـرأ معتنقيهـا عـن هـذه الأفكـار والعقائـد ، وهـي أفكـار تحـدثت عنهـا الكتـب و الأديـان السماوية السابقة للإسلام.

حفلـت المصـادر الإسـلامية بالعديـد مـن الأحاديـث التـي تناقلهـا الـرواة عـن الرسـول (ص)والمتضـمنة البشـارة بظهـور رجـل مـن أحفـاده في آخـر الزمـان يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً مـن بعـد أن تمـلأ ظلـماً وجـوراً ، حتـى قـال أهـل الحـديث في أمـر خـروج المهـدي والأحاديـث التـي بـشرت بـه:" فقـد بشرـت بظهـوره أحاديـث جمـة ، دونتهـا في كتـبهم علـماء هـذه الأُمـة ، وإن الله يبعـث مـن يمهـد لولايتـه تمهيداً يتهدم لـه شـوامخ الأطـواد ويجمـع عـلى موالاتـه الحـاضر والبـاد ، فيملك الأرض حزناً وسهلاً ، ويملأها قسطاً وعدلاً"[1].

كانت فكرة المهدي التي بشر بها الرسول(ص)حاضرة في مجمل الأحداث التي رافقت المسلمين منذ عهودهم المبكرة الأُولى وإلى الوقت الحاضر ، إذ شكل تأكيد الرسول (ص)على فكرة ظهور المهدي في العديد من المواضع والموارد ؛ نقطة تحول في أذهان المسلمين؛ في ترقب ظهوره والإيمان به حتى وصل الأمر بالقطع في أمر خروجه ولم يختلف عليه اثنان من المسلمين ، إذ قال ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) مبيناً هذا الأمر :" اعلم إن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار إنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى المهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وإن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته"[٢].

شغلت هذه الفكرة بال المسلمين في عهد مبكر جداً في تاريخ الإسلام وكانت متداولة في أذهان الناس آنذاك إذ إن بشارة الرسول(ص)بظهور هذه الشخصية قد تلقاها الناس بالقبول والترقب ، بعد أن يستشري الظلم والجور.

أما الأحاديث في الأخبار المتعلقة بالملاحم العظيمة والفتن النازلة بالعالم فهي ليست بثراء الأحاديث المتعلقة بظهور المهدي وفكرة الدجال ،فقد تعلقت بخروج الدابة ويأجوج ومأجوج وخروج الشمس من مغربها،وهذه الأمور قد ضمنت في الآيات القرآنية [٣].

أكمل الإمام علي (ع)ما عرضته الأحاديث النبوية من تصورات حول شخصية المهدي وصفاته ووقت خروجه إذ قال (ع)" أما والله لأقبلن أنا وابناي هذان وليبقين الله رجلا من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا وليفين عنهم تميزا لأهل الضلالة حتى يقول الجاهل أما لله في آل محمد حاجة"[٤].

تستمر أحاديث الإمام علي (ع) في تحديد وقت ظهور المهدي وخروجه، بما نقله عن الإمام علي (ع)إذ قال لأصحابه: "يخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة، حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقها من الضرر والشدة في الجوع والقتل أثر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجيء الله بالمهدي فيحيي به السنن التي قد أميتت ويسود بعدله وبركته قلوب المؤمنين"[٥].

ومن جانب آخر فان مصادر أخرى التقطت ما ذكره الإمام علي عن كيفية خروجه والممهدين لهذا الأمر والظروف والحوادث التي تزامنه، إذ عرض ابن حماد في الروايات التي جمعها عن الإمام علي (ع)في وصف المهدي وسريته وكيفية خروجه، إلى ما تلعبه شخصية السفياني من أثر في تعجيل خروج المهدي والمذابح التي يرتكبها جيشه في الحجاز حتى يتوارى المهدي قبل خروجه متخفيا إلى مكة وفيها يعلن ظهوره وخروجه طلبا لإصلاح ما فسد[٦].

كانت الروايات التي رواها أمير المؤمنين علي (ع)من أخبار الملاحم حول ظهور المهدي المنتظر محل استقطاب كتب الصحاح والمساند من خلال التقاط كل ما نسب إليه وهذا مما يعطي صورة

للأثـر الـذي تركتـه تلـك الروايـات فضـلاً عـن تعـدد المصـادر التـي نقلتها[٧].

نهـج صـحابة الرسـول (ص)إلى تبيـان هـذا الأمـر وإيضـاحه إلى النـاس ، إذ ألمـح ابـن مسـعود أيضـاً في أحاديثـه التـي رواهـا إلى ملحمـة خروج المهدي ومـا يحـل عـلى الأرض مـن العـدل والرخـاء واعتـبر هـذا الأمـر مـن الشرـوط الحتميـة لقـرب السـاعة، إذ يصرـح بـالقول في ذكـر لحديث الرسـول(ص)"لا تقـوم السـاعة حتـى يملـك رجـل مـن ولـدي يوافـق اسـمه اسـمي يمـلأ الأرض قسـطا وعـدلا مـن بعـد أن تمـلأ ظلـما وجورا"[٨].

كانـت فكـرة المهـدي هـي الأخـرى مـن الجوانـب التـي تحـدث حذيفـة عنهـا في أخبـاره المتنوعـة عـن الملاحـم بـما سـمعه مـن رسـول الله(ص)، إذ نجـد في ثنايـا المصـادر اهتمامـا مـن قبـل حذيفـة بهـذه الفكـرة ومناقشـتها مـع الرسـول (ص) والصـحابة، فضـلا عـن الحـديث عـن صـفات المهـدي والحـروب التـي يخوضـها والمـدن التـي يفتحهـا[٩]. إذن أورد (ابن المنـادي) روايتـين في فـتح مدينـة بنلجـر ومـا قالـه حذيفـة مـن أحاديـث في فـتح هـذه المدينـة وارتباطهـا بأخبـار الملاحـم إذ سـأله أحـد المشـتركين في غـزو هـذه المدينـة عـن الصـعوبة التـي يلاقونهـا في فتح هذه المدينة.إذ قال لهـم حذيفـة بعـد أن عـين مـن قبـل الخليفـة عـثمان قائدا لهـذه الغـزوة " لا تفـتح بنلجـر ولا جبـل الـديلم إلا عـلى يـد رجـل مـن آل محمـد"[١٠]،وفي الروايـة الثانيـة قـال " لـن تفـتح هـي ولا جبـل الديلم إلا على يد رجل من بني أمية"[١١].

دلت القرائن على أنّ الرواية الأولى كانت ضعيفة وربما منحولة ، ولكن الثانية أكثر صحة ففتحت هذه المدينة سنة (١٠٤ هـ/ ٧٢٢م) أيام بني أمية[١٢]؛ وربما قال حذيفة هذا الحديث بعد أن لاقى المسلمون شدة وفشلا في فتحهم لهذه المدينة أيام الفتوحات الأولى ، رغم تكرر الحملات عليها[١٣].

كان أبو هريرة هو الآخر من الصحابة المهتمين بأخبار الملاحم[١٤]، ومن الذين تحدثوا عن فكرة المهدي بإسهاب ،إذ لم يكتفِ بالإخبار عن أحاديث وأخبار الملاحم المستقبلة المشتملة على ذكر فتنة الدجال وأخباره فقط،بل تناولت أحاديثه التي رواها فكرة المهدي ونزول عيسى بن مريم وخروج رجل من بني هاشم يملا الأرض قسطا وعدلا من بعد أن تملأ ظلما وجورا ،إذ كانت لهذه الفكرة صدى كبير في أحاديث أبي هريرة،حيث أسهم في الترويج لها وإشاعتها في أذهان المسلمين بما سمعه من تأكيدات حولها من فم الرسول (ص) ،إذ رصدت المصادر مجموعة من الأحاديث المتعلقة بالمهدي مسندة إلى أبي هريرة حيث كان عددها تسعة أحاديث ، إن هذه الأحاديث التي روتها تلك المصادر قد أردفتها أحاديث أخر مسندة هي الأخرى إلى أبي هريرة ودارت حول خروج المهدي،والمدن التي سيفتحها،وحال الناس في أيامه،إذ جمع أحد المحدثين تلك الأحاديث وبوبها ومن مضامنّها[١٥].

اختلف المحدثون في درجة صحة هذه الأحاديث وضعفها ، فقد رصد أحد الباحثين هذه الأحاديث فخرّج أربعة منها على إنها ذات درجة عالية من الصحة برأيه وخمسة كانت في عداد الضعاف والموضوعات التي لا يعتد بهن برأيه ، وإن كانت تخريجاته تلك

معتمدة على رؤية من جانب واحد وإسقاط باقي الأحاديث المروية في هذه الفكرة من باقي مصادر المسلمين الأخرى لأنها تخالف التوجه المذهبي الذي يعتنقه[١٥].

كان سلمان الفارسي هو الآخر من الصحابة الرواة لأحاديث المهدي والمروجين لهذه الفكرة في أذهان المسلمين ،لما أكد عليه الرسول(ص)من معرفته للشخص الذي وصف بالمهدي والرجل الذي يظهر من صلبه إذ قال سلمان للرسول (ص) بعدما أنبأهم به من أي ولدك يا رسول الله؟ فقال له (ص) " هو من ولدي هذا" وضرب بيده على الحسين(ع)[١٦].

روى الشيخ الصدوق(ت٢٨١ هـ) هذه الرواية من وجه آخر ولكن بالمضمون السابق نفسه[١٧]،فضلا عن كان كعب الأحبار قد روى روايات متعددة بأخبار الملاحم المستقبلية ،كان منها روايات كثيرة حول فكرة المهدي وظهوره في آخر الزمان[١٨].

وكانت هذه الروايات محل تناقل وتداول بين ألسنة الناس حتى ضمن الشعراء هذه الفكرة في قصائدهم مسندة إلى كعب إذ قال كثير عزه الشاعر[١٩]:

هو المهدي أخبرنا كعب اخو الأحبار في الحقب

تطرق كعب أيضاً إلى ذكر المسائل المتعلقة باشتراط الساعة من خروج الدجال والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم"والملاحم النازلة على العالم"والنقطة التي تستحق التوقف هي الترويج لفكرة القحطاني من أهل اليمن الذي يسبق خروج المهدي والملاحم الحادثة في خروجه ودور أهل اليمن في أحداثها[٢٠].

بـــدأت هـــذه الفكـــرة بـــالرواج والتـــداول في بـــدايات العصر الأُمـــوي ، فنجـــد في موقـــف الإمـــام الحســـن (ع)مـــن تركـــه الخلافـــة وتنازله عنهـا لمعاويـة ارتباطـاً في ذلـك الأمـر ، حتـى أنّـه قـد بـرر موقفـه هذا بقوله : " أن لـيس لبنـي هاشـم في هـذا الأمـر إلاّ في إمـام حـق يبعثـه الله في آخر الزمان"[٢١].

ونجد أيضـاً في محـاورة عبـد الله بـن عبـاس لمعاويـة بـن أبي سـفيان خـير شـاهد عـلى ذلـك وترديـداً لهـذه الفكـرة، إذ سـخر الأخـير مـن الأحاديث والأخبـار التـي تناقلهـا النـاس حـول ملـك هاشـمي سـيكون في آخر الزمان يسـمى بالمهـدي ، إذ قـال معاويـة لعبـد الله بـن العبـاس:" وقـد زعـتمم أن لكـم ملكـاً هاشـمياً ومهـدياً قـائماً والمهـدي عيسـى بـن مـريم ، وهـذا الأمـر في أيـدينا حتـى نسـلمه إليـه، ولعمـري لـئن ملكـتم مـا ريـح عـاد ولا صـاعقة ثمـود بأهلـك للنـاس مـنكم" ، فـما كـان مـن عبـد الله بـن عبـاس إلاّ أن رد عليـه قـائلاً : "وأمّـا قولـك إنـا زعمنـا أن لنا ملكـاً مهـدياً فـالزعم في كتـاب الله شـك ، والكـل يشـهد أن لنـا ملكـاً لو لم يبـق مـن الـدنيا إلاّ يـوم واحـد ملّكـه الله فيـه ، وأن لنـا مهـدياً لـو لم يبـق إلاّ يـوم واحـد بعثـه لأمـره يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كـما ملئـت جـوراً وظلـماً... وأمّـا قولـك أن المهـدي عيسـى بـن مـريم ، فـإنّما ينـزل عيسى على الدجال ، فإذا رآه ذاب كما تذوب الشحمة"[٢٢].

دلـل هـذين النصـين عـلى تـداول حـديث المهـدي بـين النـاس ولاسـيما عبـارة ابـن عبـاس (والكـل يشـهد) إذ بنيـت مسـاحة انتشـار هذا الحديث والحتمية بحدوث الأمر الذي بشر به.

وبالمقابـل فإنّنـا نجـد المجتمـع الإسـلامي آنـذاك قـد بـدأ ينظـر إلى فكـرة ظهـور المهـدي التـي بشـرت بهـا الأحاديـث النبويـة مـن وجهـة

مختلفة، وذلك بما يتوافق ورغباته وتطلعاته السياسية والمذهبية، حيث أخذت كل طائفة تحاول توظيف هذه الفكرة والشخصية التي تجسدها لتحقيق مكاسب سياسية واجتماعية حيث وظفها الكيسانيون (أتباع محمد بن الحنفية وابنه أبو هاشم) في نشاطهم السياسي، بعدِّهم محمد بن الحنفية هو المهدي الذي بشرت به الأحاديث[٢٣]، إذ أخذ المختار الثقفي بترويج هذه الدعاية بين الكوفيين بأن المهدي محمد بن الحنفية هو الذي أرسله وبعثه إليهم مع كتاب عليه اسمه[٢٤] حتى لاقت دعوته هذه من الرواج حداً أن أخذ الناس يلهجون به ليتطور الأمر إلى أن يغالي المختار في شخصية (المهدي) ابن الحنفية ويعطيه من الخصائص والصفات من حيث إن السلاح لا يؤثر فيه، فيقول لأهل الكوفة :" إن في المهدي علامة يقدم بلدكم هذا فيضربه رجل في السوق بالسيف ضربة لا تضره ولا تحيك فيه "[٢٥].

وصل الأمر بالترويج لمهدوية محمد بن الحنفية أن تقّول المؤمنون بهذه الفكرة أرجوزة على لسان الجن، حينما ذهبت مجموعة من أنصار المختار لإنقاذ ابن الحنفية من سجن عبد الله بن الزبير ونصرته، حينما أراد التضييق على الهاشميين وإحراقهم، إذ ادعوا إنهم سمعوا وهم في طريقهم إلى مكة هاتفاً يهتف ويقول[٢٦]:

يا أيها الركب إلى المهدي ❊ على عناجيج من المطي
أعناقها كخشب الخطي ❊ لتنصروا عاقبة النبي
محمدا رأس بني علي ❊ سمي كهل أيما سمي

دفعت هذه الأقاويل التي بدأت تتعاظم لتغالي في شخصية محمد بن الحنفية وسكوت الأخير عن تلك الأقاويل أن قام الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) بمحاججته في دعواه بالإمامة والمهدية، وسكوته عما تلهج بذكره العوام من الناس إلى أن أقر بضعف دعواه[٢٧].

ولكن هذه الاقتران بنعت محمد بن الحنفية بالمهدي قد استمر بعد وفاته ليروج الكيسانيين حقيقة بقاء ابن الحنفية على قيد الحياة وإنه متخفي في جبال رضوى بين المدينة ومكة إلى أن يأذن الله له بالظهور[٢٨].

بقيت هذه الفكرة مسيطرة على بعض أذهان الناس ولكن من خلال التعرف على طبيعة الشخصيات التي آمنت بهذه الآراء نجد هذه القرينة قد لاقت رواجا منقطع النظير بين أوساط الناس ، إذ أجمعت المصادر على أن كل من السيد الحميري[٢٩] وكثير عزة[٣٠] كانا من المؤمنين بمذهب الكيسانية حتى إن أشعارهم كانت طافحة بذلك ، فقد قال السيد الحميري[٣١] :

أيا شِعبَ رضوى ما حتى متى تخفى وأنتَ
يا ابنَ الوصيِّ ويا وكنيَّهُ نفسي عليك
لو غاب عنا عمرَ مِنَّا النفوسُ أنَّه

ويضيف في مكان آخر مبينا حقيقة دعواه[٣٢]:

ألا قُل للوصيِّ فدتك أطلتَ بذلك الجبل
أضرَّ بمعشرٍ والوك وسمَّوك الخليفةَ
وعادوا فيك أهلَ مقامُك عنهمُ ستين

وما ذاق ابنُ خولةَ ولا وارت له أرضٌ
لقد أوفى بمورقِ تراجعُهُ الملائكةُ
وإن له به لَمقيلَ صدقٍ وأنديةً تحدِّثُه كراما
هدانا الله إذ جرتُم به ولديه نلتمس التماما
تمامَ مودة المهديِّ تَروا راياتِنا تَترَى نظاما

وكان الأمر أيضا بالشاعر كثير عزة الذي آمن بمهدوية محمد بن الحنفية ونظم أشعاراً في ذلك بينت حقيقة خلجاته تلك ، إذ قال[٣٣]:

ألا إنَّ الأئمةَ من ولاةُ الحق أربعةٌ سواءُ
على والثلاثةُ من بنيه هُمُ أسباطُهُ والأوصياءُ
فسبطٌ سبطُ إيمان وبر وسبطٌ غيبته كربلاءُ
وسبطٌ لا يذوقُ يقودَ الخيلَ يقدمُهُ
تَغَيَّبَ لا يُرى عنهم برضوى عنده عسلٌ

ويضيف كثير في موضع أخر من شعره بعد أن جاءه نبأ موت محمد بن الحنفية[٣٤]:

ما مت يا مهدي يا أنت الذي نرضى به
أنت إبن خير الناس من بعد أنت إمام الحق لسنا نمتري

وصل الأمر من شدة تأثير هذه الفكرة على عقول الناس في السنوات اللاحقة أن أخذوا يطلقون اسم المهدي على بعض الشخصيات ،لمجرد التأثر بشخصيته وتقواه ، أو إن أنصار الزبيريين هم وراء هذا الشائعة لغرض سحب البساط من المختار بإيجاد

جماعات معارضة لـه مـن الشخصـيات البـارزة ، والتـي لهـا مـن المقبوليـة لـدى بسـطاء النـاس وعـوامّهم ، إذ أطلقـوا لقـب المهـدي عـلى موسـى بـن طلحـة بـن عبيـد الله لمـا رأوه مـن سـلوكه وتصرـفاته ، حتـى نقـل المؤرخون عن الشـهود الـذين وصـفوا حـال المجموعـة التـي هربـت مـن المختـار إلى البصرـة قـائلين : "فقـدموا علينـا هاهنـا البصرـة وفـيهم موسـى بـن طلحـة بـن عبيـد الله قـال وكـان النـاس يرونـه زمانـه هـو المهدي قال فغشـيهم نـاس مـن النـاس وغشـيته فـيمن غشـيه فـإذا شـيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة" [٣٥].

وظـف الأُمويـون فكـرة المهـدي أيضـاً بتطبيقهـا عـلى شخصـية عمر بن عبـد العزيـز، حتـى أن احـد كبـار التـابعين (سـعيد بـن المسـيب) قد كان يحلف بالله : "إن عمراً هو المهدي " [٣٦]..

اهـتم الخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز بفكـرة المهـدي كثـيراَ ، فنـراه يسـأل أحـد الرهبـان عـن حقيقـة انطبـاق نعـت المهـدي (ع)عليـه كـما تناقلتـه الألسـن والأفـواه فقـال الراهـب "لا ولكنـك رجـل صـالح فـرد عليه عمر الحمـد لله الـذي جعلنـي رجـلا صـالحا"[٣٧] ، وذلـك لمـا وجـده مـن ترديـد النـاس لهـذه الفكـرة في أيامـه، واعتبـاره المقصـود بهـذا النعت.

إن هذه النسـبة (المهـدي) إلى عمـر وإطـلاق هـذا النعـت عليـه، لـه ما يـبرره ، إذ تركـت سـيرة عمـر بـن عبـد العزيـز العادلـة ،والشـاذة عـن المسـار الـذي اختطـه أسـلافه مـن الأمـويين في التعامـل مـع الرعيـة ، أن شـاع بـين النـاس إن المهـدي هـو عمـر بـن عبـد العزيـز ، حتـى إن شخصيةً مرموقـة في مجتمعهـا ولهـا ثقلهـا العلمـي والفكـري (سـعيد بـن المسـيب) راحـت تـروج لهـذه الفكـرة بانطبـاق صـفة المهـدي عـلى

شخصية عمر بن عبد العزيز كما لاحظنا ، ولكن هذه المغالاة في شخصية عمر قد حاول تخفيف حدتها أحد التابعين (طاووس اليماني) حينما سأله أحد المسلمين عن ملازمة وانطباق صفة المهدي الذي بشر به رسول الله (ص)على عمر بن عبد العزيز، فرد عليه طاووس بالنفي مدعيا إن عمر لم يستكمل العدل كله[٣٨].

ويرد تابعي آخر على الإشاعات التي أثيرت حول شخصية عمر بن عبد العزيز بالقول "بلغنا من المهدي شيء لم يبلغه عمر " إذ يكثر المال في زمان المهدي فيسأله رجل فيقول له ادخل فخذ ..."[٣٩].

كذلك فقد أورد أبو نعيم الأصفهاني أيضا رواية مفادها أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقف على راهب في صومعة له وقد أتى عليه فيها عمر طويل ، وكان ينسب إليه علم من الكتاب فهبط إليه ولم يُرَ هابطاً إلى أحد قبله، فقال له: أتدري لم هبطت إليك ؟ قال: لا قال: بحق أبيك إنا نجده من أئمة العدل "[٤٠].

كذلك نجد إن وهب بن منبه قد روج لهذه الفكرة أيضا باعتبار عمر بن عبد العزيز هو المهدي إذ قال : "إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز"[٤١].

من النصوص آنفة الذكر نلاحظ إن هذه الفكرة (المهدي) قد كانت تشغل بال عمر حتى نرى تصرفاته وانفعالاته موضحة ذلك في أي موقف له مساس بها، إذ ذكر اليعقوبي إن عمر بن عبد العزيز قد منع أبا الطفيل عامر بن واثلة عطاءه لأنه كان يؤمن بالمهدي ويستعد له حتى يجد جنده على أهبة الاستعداد للخروج على

الظالمين من حيث صقله سيفه وشحذه سنانه ونصله سهمه فما كان من أبي الطفيل إلا أن رد عليه "إن الله سألك عن هذا فاستحيا عمر عند ذلك وأمر له بعطائه"[٤٢].

كانت فكرة السفياني الذي يتزامن ظهوره قبيل ظهور المهدي إحدى الأفكار التي ادعى أحد المؤرخين أنها من إختلاقات خالد بن يزيد وانه قد هول من هذه الفكرة وروج لها حتى يكون للناس فيهم طمع حين غلبه مروان وبنوه على الملك[٤٣].

علق أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) على هذه الدعوى من المصعب الزبيري أن قال وهذا وهم من مصعب فان (حديث) السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه روايات الخاصة والعامة" وأخذ يسرد الروايات في تبيان حقيقة هذه الشخصية بذكره بعض الأحاديث مسندة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في أثناء عرضهم لتصوراتهم عن شخصية السفياني[٤٤].

أكدت هذه الفكرة نصوص أخرى أوردتها المصادر في حقيقة السفياني ونسبته إلى خالد بن يزيد من حيث إن الشخص الملقب بالسفياني الذي سيظهر في لاحق الأيام هو من أحفاد خالد وليس من باقي أفراد البيت الأموي[٤٥].

وقف أئمة أهل البيت المعاصرين لتلك الحوادث موقفا صارما إزائها ، وذلك بتفهيم الناس حقيقة الشخص المنعوت بالمهدي وأوان خروجه وإسقاط الإدعات التي روجت للبعض من كونهم المهدي الذي بشرت به الروايات ، إذ أعطى الإمام الباقر(ع)لعقيدة (المهدي)والأخبار عنه اهتماما ملحوظا لما شكلته هذه العقيدة من خطورة بالغة على أذهان المسلمين فقد وظفت هذه

الفكـــرة في عـــصره مـــن قبـــل أصـــحاب المختـــار الثقفـــي وأتباعـــه (الكيسـانية) في عـدهم محمـد بـن الحنفيـة هـو المهـدي كـما لاحظنـا آنفـاً. وكـذلك اعتـبر بعـض النـاس عمـر بـن عبـد العزيـز هـو المهـدي حتـى وصـل الأمـر إلى أن عـد النـاس الإمـام محمـد بـن عـلي البـاقر(ع) هـو المهدي نفسـه ، إذ قـال(ع): لأصـحابه عـلى جمـع مـن النـاس :"يزعمـون أني المهـدي وان اجـلي أدنـى إلى مـا يـدعون لـو أن النـاس اجتمعـوا عـلى أن يـأتي العـدل مـن بـاب لخـالفهم حتـى يـأتي بـه مـن بـاب آخـر" [٤٦]، ويضـيف(ع)في مكـان آخـر أن قـال لـبعض أصـحابه الـذين ينعتونـه بالمهـدي: " قـد أمكنـت الحشـو مـن أُذنيـك والله مـا أنـا بصـاحبكم انتظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم"[٤٧].

وكـذلك الحـال بالإمـام الصـادق(ع)الـذي أعطـى هـو الآخـر لهـذه الفكـرة جانبـا مـن اهتماماتـه وتفكـيره ، إذ حـاجج العديـد مـن الـذين آمنـوا بمهدويـة محمـد بـن الحنفيـة مـن الكيسـانية محـاولا تبيـان فسـاد الـرأي الـذي هـم عليـه ، إذ أشـارت النصـوص إلى منـاظرة مهمـة جـرت بـين الإمـام الصـادق (ع)وبـين السـيد الحمـيري الشـاعر الكيسـاني المشـهور، فقـد روى الشـيخ الصـدوق(ت٣٨١هـ) نـص هذه المناظرة والتي أظهـر الصـادق فيهـا مـن هشاشـة العقيـدة التـي أمـن بهـا السـيد الحمـيري وأقرانـه مـن المـومنين بمهـدوية محمـد بـن الحنفية [٤٨].

أمـام هـذه الإرهاصـات الفكريـة التـي حركتهـا فكـرة ظهـور المهـدي وخروجـه التـي بـشر بهـا النبـي(ص)في أحاديثـه وتوظيـف المعارضـة لهـذه العقيـدة لغـرض تـأجيج الـرأي العـام ضـد الأمـويين أو

أن الأمويين أنفسهم قد أسهموا في الترويج لها لغرض إسكات الدهماء وذلك بالاتكاء على منقذ يظهر لتخليصهم من الظلم ، كل ذلك دفع الإمام الباقر (ع)إلى أن يأخذ على عاتقه تفهيم هذه العقيدة لشيعته وأتباعه خاصة والمسلمين عامة ، حتى لا يقعوا في مزالق الوهم والدعوات المضلة والتسرع في إطلاق هذا اللقب على كل من هب ودب ، ولأجل ذلك نجد الروايات المنسوبة إليه في تفهم عقيدة المهدي من الكثرة بمكان أن اعتمد عليها علماء المسلمين الدارسين لهذه الفكرة في مصنفاتهم، فقد جمع أبو الفضل السلمي (ت ٦٨٥ هـ) الروايات التي نسبت في المصادر الحديثة إلى الإمام أبي جعفر محمد بن علي في حق المهدي والتي بلغت أكثر من ثلاثين رواية بين طويلة مسهبة ومختصرة مقتضبة [٤٩].

أصبح حديث المهدي من الأحاديث التي أخذ أهل العلم بطلبها والتفتيش عنها ، فقد اتصل أبو قبيل بشعيب الحنائي وهذا الشخص هو الآخر من العارفين بأخبار الملاحم إذ قرأ الكتب القديمة وحدث عنها فقد قال لأبي قبيل بعد أن طلب الأخير أخباره بالمهدي وصفته؟ ومن أين يخرج ؟ فقال له:"والله لو شئت لحدثتكم باسم المهدي وصفته ومن أين يخرج ولكن أجد في الكتاب أن من اخبر به قبل أن يخرج لملعون" [٥٠].

ونتيجة لهذه المشاعر والأمنيات التي بدأت تأخذ مداها بين الناس تولدت في أذهانهم هواجس وأمنيات تمنيهم باقتراب الخلاص من بني أمية وأفول نجم دولتهم فكان من الثورة التي قام بها زيد بن علي عام ١٢١ هـ أكبر الأثر في تحفيز مخيلة المسلمين إلى تدارس أخبار الملاحم والبحث عن كتبها والسماع لتلك الأخبار ،

إذ أورد اليعقوبي (ت٢٩٢ هـ/ ٩٠٤م) نصا يوضح تلك الهواجس والتوجهات التي كان عليها الناس بعد هذه الثورة إذ يقول :"ولما قتل زيد كان من أمره ما كان ، تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل إليهم ، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية وما نالوا من آل رسول الله ، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر ، وظهر الدعاة ورؤيت المنامات وتدورست كتب الملاحم"[٥١].

حتى كان في ثورة الحارث بن سريج في خراسان عام(١٢٨ هـ/ ٧٤٥م) ونشاطه في أمره إلا كنتيجة من نتائج هذه الهواجس التي تفشت في الناس عن المنقذ لهذه الأمة من نير الأمويين وظلمهم إذ ادعى انه سيهدم سور دمشق على أهلها كما أخبرته بذلك كتب الملاحم ورواتها وهو صاحب الرايات السود التي بشرت بها الأحاديث ، وهو منقذ الناس من جور بني أمية وهذا ما استدعى والي خراسان نصر بن سيار أن يستخف برأيه هذا ويسخر منه قائلا :" إن كنت كما تزعم وأنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون أمر بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير واحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك وإن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك ، فقال الحارث : قد علمت أن هذا حق ولكن لا يبايعني عليه من صحبني فقال نصر فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ولا لهم مثل بصيرتك وأنهم هم فساق ورعاع فأذكرك "[٥٢].

نحتمل إن الحارث بن سريج قد وصل إلى سمعة الحديث الذي نسبت روايته إلى الإمام علي (ع)حول خارج يخرج في بلاد ما وراء النهر والذي مفاده :" قال رسول الله (ص)يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله (ص)وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته"(٥٣).

لم يقف التوظيف لفكرة المهدي والتثقيف لها في العصر الأموي فحسب ؛ بل نجد العباسين قد استغلوا هذه الفكرة لتمرير وإضفاء المشروعية عل دولتهم وسلطانهم ، إذ حاول خلفائهم الأوائل توظيف الأحاديث الغيبية ؛ولاسيما الأحاديث حول المهدي التي هي محل الشاهد التي ادعوا أن الرسول (ص)قد أنبأ بها والتي تضمنت إخباراً بدولتهم حتى رووا حديثاً منسوبا للرسول(ص)مفاده:"منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي "(٥٤).

بدأت هنالك مجموعة من المحدثين تروي عن البشائر بملك بني العباس في الأحاديث النبوية ، وما تناقله السلف حول هذا الأمر من الأخبار ، ليصل إلى جعل هذه الدولة هي الدولة الخاتمة للتاريخ بمقاتلتها الدجال ، وامتدادها إلى قيام الساعة ليسلموها إلى عيسى بن مريم (٥٥)، فقد ذكر المقدسي إن بني العباس قد أشاعوا الحديث المنسوبة روايته من طريق عبد الله بن عباس ، إذ قال : "إذا أقبلت الرايات السود من المشرق توطئون للمهدي سلطانه " فقد حاول العباسيون تأويل هذه الأخبار بخروج أبي مسلم الخراساني

وهو أول من عقد الرايات السود وسود ثيابه ، وخرج من خراسان فوطأ لبني هاشم سلطانهم [٥٦].

واجه المنصور مشكلة حقيقية في تمرير هذا الإدعاء يسبب توظيف محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) لهذا اللقب ونسبته إليه حتى استمال الناس به ليصل الأمر كما يقول أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) أن لهجت العوام بمحمد بن عبد الله تسميه المهدي (٥٧)، حتى وصل الأمر بأبيه أن قال لبني هاشم في اجتماع سبق الثورة العباسية يعرف باجتماع(الأبواء)أن قال :" قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه " (٥٨)، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل كان من مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أن وصلت إلى مسامعه هذه الأخبار فما كان منه إلا أن قال لأبيه عبد الله :" ما فعل مهديكم " [٥٩].

أمام هذا الإصرار من قبل عبد الله بن الحسن في عد ولده محمد هو المهدي الذي بشرت به الرواية ، كان من الإمام الصادق (ع) أن انبرى ليوضح حقيقة الوهم والحلم الذي كان يمني بها عبد الله نفسه وولده بهذا الأمر ، إذ قال له :"والله ما هو بمهدي هذه الأمة ! ولئن شهر سيفه ليقتلن" [٦٠].

لأجل ذلك كان شغل المنصور الشاغل هو أن يعلن محمد وأخوه إبراهيم البيعة له حين وصلت له الخلافة ([٦١]. حيث حققت دعوة محمد إقبالا منقطع النظير ليس من العوام فحسب ؛ بل ومن أهل العلم أيضا ، إذ أورد أبو الفرج الأصفهاني بعضاً من الروايات حول طبيعة الشخصيات التي بايعت محمد النفس الزكية ومدى

الأثر الذي تركه تلقيب نفسه بالمهدي بجمع الناس حوله ومبايعتهم إياه حتى كان من الدفوع التي برر بها أحد المبايعين لمحمد والخارجين معه من الفقهاء أنه ظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية.[٦٢].

إن المنصور كان يريد البيعة لابنه محمد وأطلق عليه لقب المهدي وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك فأمر بإحضار الناس فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله ومحاولة إسقاط الصفات والبشائر التي تحدثت بها الأحاديث عن المهدي على شخصية محمد بن المنصور(المهدي العباسي)، إذ ذكرت المصادر جانبا من هذه المجالس التي حضر فيها الشعراء وأهل الحديث والخطباء ، حيث كان من بينهم مطيع بن إياس فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي (ص)قال المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا فقال نعم مخافة من المنصور فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي ، قال ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به قال أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله (ص)حتى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفا وشهد كل من حضر علي بأني كاذب وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر وكان مطيع منقطعا إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته قال وكان جعفر ماجنا فلما بلغه قول مطيع هذا

غاظه وشقت عليه البيعة لمحمد فأغلظ له في القول بفحش الكلام لكذبه على الله ورسوله بتوصيف أخاه محمد بالمهدي [٦٣].

صرح المنصور لأحد خاصته بحقيقة القرار الذي إتخذه في أمر إطلاق نعت (المهدي) على ولده محمد ومبتغاه في ذلك ، إذ قال بعد أن خرج محمد بن عبد الله النفس الزكية بالحجاز وتسمى بالمهدي وذاع أمره :" والله ما هو به ، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ،ولكنني تيمنت به وتفاءلت به " [٦٤]. ، ولكنه في مجلس عام لم يصرح بهذا الشيء، إذ بقي على موقفه المعلن في عد ولده هو المهدي الذي بشرت به الأحاديث ، حيث وبخ أحد مواليه لأنه نقل مقالة محمد النفس الزكية حينما جمع أصحابه قائلا : " إنكم لا تشكون أني أنا المهدي ، وأنا هو " ، فما كن من لمنصور إلا أن قال :" كذب عدو الله ؛ بل هو ابني" [٦٥].

فضلا عن ذلك فإن المنصور قد أرسل في الآفاق من يروج لهذه الفكرة ، فقد أرسل إلى الحجاز أحد حجابه(الأعلم الهمذاني)رسولا منه إلى أهل الحجاز فقام فيهم خطيباً بمكة قائلا : " وقد بايع أمير المؤمنين لمحمد ابن أمير المؤمنين وهو عباسي النسبة يثربي التربة... يملك فلا يأشر ويقدر فلا يبطر... جاءت به الروايات وظهرت فيه العلامات "[٦٦].

لم يكن تلقيب المنصور ابنه بالمهدي موفقا ، فقد رماه المحدثون والمؤرخون بعبارات التوهين بسبب أن الشخصية التي تتصف بهذا اللقب يجب أن تكون على قدر عال من الأخلاق

والـورع والمقبوليـة لـدى النـاس ، إذ توضـح كلمـة عمـرو بـن عبيـد للمنصور هذا المعنـى ، إذ سـأل المنصـور عـن الفتـى الواقـف بقربـه ،فـرد عليه المنصـور :هـذا محمـد ابنـي، وهـو المهـدي ، وهـو ولي عهـدي ، قـال أمـا والله لقـد ألبسـته لباسـا مـا هـو مـن لبـاس الأبـرار ، ولقـد سـميته بإسم ما استحقه عملا "[٦٧].

ونجـد هـذا الأمـر في كلمـة ابـن تيميـة(ت ٧٢٨هـ) جانبـا مـن رأي المحـدثين في موقـف المنصـور في تسـمية ولـده بالمهـدي ، إذ قـال : "لمـا كـان الحـديث المعـروف عنـد السـلف والخلـف أن النبـي ﷺ قـال في المهدي يواطىء اسمه اسـمي واسـم أبيـه اسـم أبي صـار يطمـع كثـير مـن الناس في أن يكـون هـو المهـدي حتـى سـمى المنصـور ابنـه محمـدا ولقبـه بالمهدي مواطأة لاسمه بإسـمه واسـم أبيـه باسـم أبيـه ولكـن لم يكـن هـو الموعـود بـه "[٦٨]، وكـذلك في موقـف المـؤرخ ابـن كثـير الدمشـقي(٧٧٤هـ) مـن حقيقـة هـذه الخلجـات التـي انتابـت النـاس حـول شخصـية المهـدي العبـاسي ، إذ قـال:" وإنـما لقـب بالمهـدي رجـاء أن يكـون الموعـود بـه في الأحاديـث فلـم يكـن بـه وان اشـتركا في الاسـم فقـد افترقـا في الفعـل ذاك يـأتي آخـر الزمـان عنـد فسـاد الـدنيا فـيملأ الأرض عـدلا كـما ملئـت فجـورا وظلـما ،... وقـد جـاء في حـديث مـن طريق عثمان بـن عفـان أن المهـدي مـن بنـي العبـاس وجـاء موقوفـا عـلى ابن عبـاس وكعـب الأحبـار ولا يصـح وبتقـدير صـحة ذلـك لا يلـزم أن يكـون عـلى التعيـين وقـد ورد في حـديث أخـر أن المهـدي مـن ولـد فاطمة فهو يعارض هذا والله أعلم "[٦٩]

أمـام هـذه النصـوص التـي أظهـرت مـدى التـأثير الـذي مارسـته فكرة المهدي مـن أثـر بـارز مـن قبـل التيـارات المتصـارعة والشخصـيات

السياسية والدينية التي أرادت وضع هالة من القداسة عليها وعلى تصرفاتها من خلال توظيف هذا اللقب لما يحمله من معاني ودلالات حول شخصية بشر بها الرسول (ص) لكي تملأ الأرض عدلا من بعد أن تملأ بالجور ، وما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام من دور بارز وفاعل في تنبيه الناس من الانجرار وراء الذين أرادوا توظيف هذه الفكرة لمآربهم السياسية.

هوامش البحث

١. السلمي، عقد الدرر، ص ٥..
٢. ابن خلدون، المقدمة، ص٥٥٥..
٣. ابن المنادي ، الملاحم ، ص١٩.
٤. النعماني ، الغيبة ، ص١٤٣.
٥. ابن المنادي
٦. أُنظر، الفتن ،ص١٩٩، الملاحم ، ص ٢١٠، المتقي الهندي ،كنز العمال ،ج١٤،ص٥٩١. ـ ٢١٤.
٧. أُنظر، المبارفوكي ، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث، الصحيحة،ج١،ص٢٢.
٨. الطبراني ، المعجم الصغير ،ج٢ ، ص٨٠ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٥ ، ص٧٥
٩. ابن طاووس ، الملاحم والفتن، ص ٢٦٤، السلمي، عقد الدرر ، ص٣٤-٣٥.
١٠. ابن المنادي، الملاحم ،ص٣١٢.

١١. ابن المنادي، الملاحم ،ص٣١٢.

١٢. الطبري، تاريخ الرسل ، ج٧،ص١٤ـ ١٥

١٣. أنظر، البلاذري ، فتوح البلدان، ص٢٤١،ص٣١٨، الطبري، تاريخ الرسل، ج٤،ص٤٠٣-٤٠٧.

١٤. ابن المنادي ، الملاحم ، ص١٩.

١٥. أُنظر ، السلمي ،عقد الدرر ،ص١٨ـــ٢٠ ،٢٨ ،٥٦ ،٥٩ ،٦٤ ،٧٣ ،٨٤ ،١٥٦ ،٦٣ ، ١٧٧ ،٢٠٣ ،٢١٦.

١٦. أنظر، المبارفوكي ، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، ج١ .،ص١٠١ـ١٢٢.

١٧. السلمي ، عقد الدرر ، ص٢٤ ، ص٣٢.

١٨. أُنظر ، الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج١ ، ص٤٧ ـ ٤٨.

١٩. أنظر، السلمي ،عقد الدرر، ص٣٨، ص٤٠، ص٤١، ص٥١، ص٥٢، ص٥٤،ص٥٨،ص٦٦،ص٧٩.

٢٠. ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٥٤،ص٣٢١ – ٣٢٢.

٢١. أُنظر، ابن حماد ، الفتن ، ص٢٥٤ ـ ٢٥٦.

٢٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ،ج١٦،ص٤٤-٤٥..

٢٣. مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ، ص٥١-٥٢ ، ابن طاووس، الملاحم والفتن ، ص٢٣٨ – ٢٤٠.

٢٤. البلاذري، أنساب الأشراف،ج٣،ص٤٧٥..

٢٥. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥،ص١٠١.

٢٦. ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج٩، ص١٦ـ ١٧.

٢٧. أنظر ، الصدوق ،كمال الدين وإتمام النعمة، ج١ ، ص٦٦ ، الطوسي، الغيبة ، ص١٨ـ١٩.

٢٨. أنظر، مقالات الإسلاميين:ج١ ،ص٩٢،البغدادي، الفرق بين الفرق:٣٦ ،الشهرستاني، الملل والنحل :ج١ ، ص١٥٠.

٢٩. هو إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري ، أبو هاشم ، شاعر متقدم ، أكثر شعره في مدح آل البيت (عليهم السلام) كان ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، لقي الإمام الصادق عليه السلام ، في نعمان سنة ١٠٥ هـ ومات ببغداد سنة ١٧٣ هـ. أنظر، الأغاني : ج٧، ٢٤٨ ،الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج٨ ، ص٤٤.

٣٠. هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة ، أبو صخر، شاعر متيم مشهور من أهل المدينة أكثر إقامته في مصر- ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته إلى أنها ذكرت إنه توفي في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٥ هـ في الحجاز، اشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي : عزة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب، أنظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج ٩، ص٢٠ ،ابن خلكان، وفيات الأعيان ،ج٤، ص١٠٦.

٣١. ديوان السيد الحميري :ص ٦٨-٦٩.

٣٢. ديوان السيد الحميري :ص٣٧٩-٣٨٠.

٣٣. أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني : ج٩،ص٢٠ ، ديوان كثير عزة ،ص٥٢١ وفيه (لا تراه العين).

٣٤. ديوان كثير عزة ،ص٤٩٦.

٣٥. أنظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٦٢.

٣٦. ينظر ،ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج ٥ ص ٢٤٥.

٣٧. ابـــن عســـاكر : تـــاريخ دمشـــق ، ج٦٨،ص ٦، الملاحـــم والفـــتن ، ابـــن طاووس ،ص٢٤٤.

٣٨. ابن حماد ، الفتن ،ص٢٢٢.

٣٩. السلمي ،عقد الدرر ،،ص١٦٨

٤٠. حلية الأولياء ج٥ ،ص ٢٥٥.

٤١. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،ج٤٥ ،ص١٨٧

٤٢. اليعقوبي ،التاريخ، ج٢،ص٢١٥

٤٣. المصعب الزبيري، نسب قريش ، ص١٢٩.

٤٤. أنظر، الأغاني، ج ٧، ص٣٤٢.

٤٥. أُنظر،الفتن، ابن حماد، ص١٦٦ ، ص١٦٩.

٤٦. ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج٥٤، ص٢٩١.

٤٧. الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج١ ،ص٣٢٥.

٤٨. أنظر ، كمال الدين وإتمام النعمة، ج١ ،ص٦٣ ـ ٦٥.

٤٩. أنظـر، عقـد الـدرر في أخبـار المنتظـر ، ص٢٦-٣٩-٤٣-٤٩-٥١-٦٢-٦٤-٦٦.

٥٠. ابن طاووس ، الملاحم والفتن ،ص ٢٢٧.

٥١. تاريخ اليعقوبي ،ج٢،ص ٢٢٨.

٥٢. الطبري، تاريخ الرسل ، ج٧،ص٣٣١.

٥٣. ابـــن المنـــادي ، الملاحـــــم ، ص١٨٥ ، المتقـــــي الهنـــدي ،كنـــز العـــمال ،ج١١،ص١٦٧.

٥٤. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،ج٣٢ ، ص٢٨٠.

٥٥. ينظر ابن حماد ، الفتن ،ص ٥٢، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٤ ،ص٢٦٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٦٤ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،ج٣٢ ، ص٣٠٥ـ٣٠٦.

٥٦. البدء والتاريخ ، ج٢، ص١٧٤ـ١٧٥.

٥٧. مقاتل الطالبين ،ص١٨٤.

٥٨. أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ،ص١٨٥.

٥٩. أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ،ص٢٢٩.

٦٠. أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ،ص١٨٧.

٦١. الطبري، تاريخ الرسل ، ج٧،ص٥١٨.

٦٢. مقاتل الطالبين ، ص٢٥٤.

٦٣. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج ١٣ ، ص٣١٣.

٦٤. مقاتل الطالبين ، ص٢١٨.

٦٥. مقاتل الطالبين ، ص١٨٤.

٦٦. أنظر، البلاذري،أنساب الأشراف ج٤،ص٣٤٦.

٦٧. المسعودي ، مروج الذهب ،ج ٣ ، ص٣١٣.

٦٨. منهاج السنة النبوية ، ج ٤، ص٩٨.

٦٩. البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص١٥١.

المصادر والمراجع

ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد بن هبة الله(ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٨٥م)

١) شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢(القاهرة ،دار أحياء الكتب العربية ،١٩٦٥).

البلاذري ، أحمد بن يحيى(ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

٢) أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار ، ط١ ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٦).

ابن تيمية ، عبد الحليم بن محمود(ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٦م)

٣) منهاج السنة النبوية،تحقيق محمد رشاد ،ط١ ،(الرياض، مؤسسة قرطبة ،١٤٠٦هـ).

ابن حماد ، أبي عبد الله نعيم المروزي(ت ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢م)

٤) الفتن ، تحقيق سهيل زكار ،ط١ ،(مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ، ١٩٩٢).

الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي(ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٨٢م)

٥) معجم البلدان ، (بيروت، دار صادر ،لا.ت).

الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي(ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٤٤م)

٦) تاريخ بغداد ،ط١ ، (القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣١).

إبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد(ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)

٧)المقدمة ،(بيروت، دار إحياء التراث العربي ، لا. ت).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٨١هـ وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة – لبنان (د.ت)

الزبيري ، الزبير بن بكار(ت ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧م)

٨)جمهرة نسب قريش، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض،١٩٩٦).

ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي ،(ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م)

٩) الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت، دار صادر ، ١٩٦٧).لسلمي ، يوسف بن يحيى(ت بعد عام ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م)

١٠) عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر ، تحقيق عبد الفتاح أحمد الحلو،ط١، (القاهرة، مكتبة اليقضة المصرية ، ١٩٦٢).

السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد الحميري (ت١٧٣هـ/)

الديوان: تحقيق: شاكر هادي شكر ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د. ت).

الصدوق ، محمد بن الحسن(ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١م)

١١) عيون أخبار الرضا ،تحقيق فضل الله الطباطبائي ، (قم ، المدرسة الفيضية ، ١٣٧٨/ ١٩٥٨م).

١٢) كمال الدين و إتمام النعمة، تحقيق علي اكبر غفاري، (قم،موسسة النشر الإسلامي١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

ابن طاووس ، علي بن موسى بن جعفر(ت ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م)

١٣) الملاحم و الفتن ، (أصفهان ، مؤسسة صاحب الأمر ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م).

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ،(ت ٣١٠ هـ/ ٨٨٥ م)

١٤) تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ط٥،(القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧).

ابن عساكر ، علي بن الحسين ،(ت٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)

١٥) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري و آخرون ، (دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠).

أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين(٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

١٦) ألاغاني ، تحقيق علي شيري ،ط١،(دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢).

١٧) مقاتل الطالبين ، تحقيق سيد أحمد صقر ،ط٢ (قم، المكتبة الحيدرية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

كثير عزة ، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي(ت١٠٥هـ) .

١٨) الديوان ،جمعه وشرحه إحسان عباس، ط١ (بيروت ،دار الثقافة ، ١٩٧١).

إبن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م)

١٩) البداية و النهاية ،(بيروت، دار صادر ، ١٩٦٧).

المبارفوكي ،عبد العليم.

٢٠) المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة،ط١(بيروت ،دار ابن حزم ،١٩٩٩).

المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين(ت ٩٧٥هـ)

٢١) كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ،(بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩).

المسعودي ، علي بن الحسين(ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

٢٢) مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٨).

المقدسي ، مطهر بن طاهر(من أعلام القرن الرابع الهجري)

٢٣) البدء والتاريخ،تحقيق كليمان هوار،(بغداد ، مكتبة المثنى،لا.ت)

المنادي ، أحمد بن جعفر بن محمد(ت ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)

٢٤) الملاحم ، تحقيق عبد الكريم العقيلي ،(قم ، دار السيرة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

مؤلف مجهول ، (من أعلام القرن الثالث الهجري)
٢٥)أخبار الدولة العباسية،تحقيق،عبد العزيز الدوري وعبد الجبارالمطلبي ،ط١،(بيروت،دار الطليعة،١٩٧١).
النعماني ، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب
٢٦) الغيبة ، تحقيق فارس حسون كريم ،(قم ، دار أنوار الهدى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله(ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)
٢٧) حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ،مصر ، مطبعة الخانجي ، ١٩٣٢.
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح(ت بعد سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)
٢٨) التاريخ ، تحقيق ادوارد سخاو ،(بيروت ، دار صادر ، ١٩٨).

دلالة النص القرآني على أهل البيت

الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه (أنموذجا)

أ.م. د صالح جبار القريشي

كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على عبده ورسوله وحبيبه وصفيِّه وحافظ سره ومبلِّغ رسالاته سيدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين المعصومين).

وبعد : فإنَّ القرآن الكريم هو الدستور السماوي الحاكي عن محتويات ومضامين ومتعلقات الإنسان وكل ما يحيط به وأخبر بأن الله سبحانه وتعالى قد سخر له كل شيء من اجل ان يكون مكرَّماً كما أوعدته السماء بهذا التكريم حيث قال جلَّ وعلا ذكره ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[1] ، ويُعتبر المعتقد من أهم الأمور التي تقوِّم حياة الإنسان وتركِّز موقفه في حياته، ومن اجل ذلك صرَّح الكتاب العزيز جلياً بأن الدين هو العامل المشترك بين هذه الحياة الممتدة منذ ولادة الإنسان وحتى انتقاله إلى بارئه وبين مقومات حياته التي أراد له الله سبحانه وتعالى من خلالها ترصين واقعه الاجتماعي والعمل على سموه ورفعته.

و(نظرية الإمام المهدي ـ عج ـ) واحدة من أهم النظريات الكبرى التي صرّح بها القرآن الكريم ومن خلال العديد من نصوصه المشرَّفة والتي سنتطرق لذكرها خلال مفاصل البحث ان شاء الله، قد انبثقت من صميم الإسلام لأنها عبَّرت عن ضمير الكثير من الذين اعتنقوه على اختلاف مللهم ومذاهبهم، وان الطرح الذي تضمنته منظومة الفكر لدى كل ذوي العقول بأن هذه المنظومة تستند إلى الأسس الفكرية الرصينة في الإيمان بمضامين هذه النظرية هذه النظرية التي أرسى أسسها وتكفَّلها النص القرآني المشرف، فإذا ما درست بفكر متوازن ودقة متناهية ثرية فأن هدفها سيكون حتماً وفق مسيرة واعية ونتيجة هادفة لأن ((كل مسيرة واعية لها هدف وكل حركة حضارية لها غاية تتجه نحو تحقيقها))٢.

وهذه النظرية – أعني نظرية الإمام المهدي(عج) – بشَّر بها القرآن الكريم بأكثر من موضع من آياته الكريمة لبناء دولة العدل الإلهي من خلال صناعة الإنسان الذي تجلت فيه رسالات السماء ليكون قدوة بظل هذا العدل الإلهي المستديم.

وبناءً على هذه المناحي فقد تضمن هذا البحث المتواضع محوران كان الأول منهما مندرجاً تحت مضامين النص القرآني الذي تشتمل دلالته على مفهوم أهل البيت(ع) عموماً والآيات التي دلت على هذا الاتجاه، اما المحور الثاني فقد احتوى على الإشارات القرآنية التي دلت على الإمام المهدي(عج) مع إحاطة هذه الدلالات بالنظر والتحليل الذي يجب ان يكتنف هذه الدراسات

مع الدعوة إلى إحيائها بشكل فكري يخضع إلى التحليل والتمحيص والمتابعة.

المحور الأول :

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

لم يترك القرآن الكريم شيئاً يدفع بالإنسان إلى بناء مجتمع فاضل، نزيه، كريم إلا وذكره، حيث أوضح بأكثر من موضع اهتمامه ببنية المجتمع على أسس رصينة، ولعل هذا المعنى تضمنته اغلب النصوص القرآنية هادفة إلى توفير الجنبة الإنسانية التي يتصف بها المجتمع السليم الذي يؤدي إلى تصحيح كل معوقات بناء الأمة المثالية، وقد أشار القرآن الكريم بكل صراحة للدعوة إلى هذا البناء فهو القائل جلَّ وعلا﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[٣].

وأهل البيت عليهم السلام هم عِدل القرآن، وهم الذين أشار إليهم القرآن الكريم بعديد من المواضع بأنهم الدعامة الكبرى للعدل الإلهي وأنهم الامتداد الطبيعي لحبيبه المصطفى(ص)، وأن المسلمين قاطبة يقدسونهم لأنهم شريعته ورسالته السمحاء في الحياة ، حيث يستلزم من كل مكلف ان يعمل بما جاء به القرآن الكريم والسير على هداه.

وقد اختلف الأسلوب القرآني بالتعبير عنهم، فتارة يسميهم (أهل البيت) كما ورد ذلك في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٤]، وتارة يطلق عليهم لفظ (القربى) كما ورد ذلك في قوله تعالى ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ**

عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٥] وقد ازدحمت السنة المشرَّفة بإيضاح مفهوم أهل البيت عليهم السلام من خلال الكثرة الكاثرة من الأحاديث المروية عن النبي الكريم(ص) في مختلف الأحداث التي لا يفتأ عن ذكرهم ودعوة الناس بالتمسك بهم واعتبارهم القدوة وأن لا ينفك المجتمع عن عدِّهم السنام الأعظم في أمورهم كلها.

وتارة يذكرهم القرآن الكريم بتوكيد آخر من خلال آية المباهلة في قوله تعالى ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٦]، كما ذكرتهم الآيات المشرفة من خلال قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٧].

كذلك ورد ذكرهم في آية الإطعام من سورة الإنسان في قوله تعالى ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾[٨].

وقد ذكرت هذه الآية في أعلاه المعاني الواضحة التي لا تقبل الشك في دلالتها على أهل البيت(ع) وأهل البيت(ع) هم الذين أشارت كلمات النبي(ص) في العديد من المناسبات والأحداث والوقائع بأنهم الامتداد الرسالي لأبناء الحسين(ع) الذين نزلوا من صلبه فيصبح عدد الأئمة من الحسين(ع) تسعة عصموا عن الزلل والسهو والنسيان وبهم يبلغ عددهم اثنى عشر كلهم من قريش مضافاً اليهم النبي الكريم(ص) والصديقة الطاهرة فاطمة

الزهـراء(س) ليصـبح عـدد المعصـومين أربـع عشـرة وهـذا بطبيعـة الحال معتقد الإماميـة الـذي لا شـبهة فيـه ولا إشـكال وهـو مـا أوضـحه النبي(ص) مـراراً وأمضـت عليـه السـماء وأصـبح حـديثاً متـواتراً يسـمى بـ(حـديث السلسـلة الذهبيـة)، ومـن أراد ان يلـوِّح بتشـويهاته فـلا يضر إلا نفسـه لأنـه مصـاب بقلـبٍ مـريض وأحاسـيس ميتـة أودت بحياتـه جراء الحقـد الأعمـى ((لأن المكـان الـواقعي الحقيقـي للإيـمان هـو قلـب الإنسـان وفـؤاده))[٩] مـا في قولـه تعـالى ﴿**أُوْلَئِـكَ كَتَـبَ فِـي قُلُـوبِهِمُ الْإِيمَـانَ**﴾[١٠] أو ان تلـك الانفـس جحـدت نعمتهـا الواضـحة، حيـث نـور الشـمس لا يحجـب يومـاً بغربـال، كـما قـال جـلَّ وعـلا في كتابـه الكـريم ﴿**وَجَحَـدُوا بِهَـا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُـهُمْ**﴾[١١] ((فـاذا لم يغـير الإنسـان نفسـه لمصـلحة العـدل، فكيـف يمكـن ان يغـيِّر الواقـع ؟ فالإنسـان في الحقيقـة، صـانع الواقـع، لأن الله سـبحانه أوكـل اليـه مهمـة صـنعه))[١٢] وقـد أوضـح الله جـلَّ وعـلا ذلـك بقولـه ﴿**إِنَّ اللّـهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١٣].

وفي هـذا المحـور مـن البحـث سـنركز عـلى آيـة التطهـير في دلالتهـا العامـة عـلى أهـل البيـت(ع) عمومـاً ومـن الطبيعـي إن مـنهم خـاتمهم وهـو الإمـام الثـاني عـشر المهـدي المنتظـر(عـج) الـذي سـتملأ بمقدمـه الأرض عدلاً وقسطاً بعد إن تملأ ظلماً وجوراً.

فآيـة التطهـير التـي ذكرناهـا آنفـاً تتـزاحم بهـا الـدلالات ازدحامـاً على أن المـراد بهـا هـم الإمـام أمـير المـؤمنين والصـديقة الطـاهرة فاطمـة الزهـراء (س) وولـديها سـبطي رسـول الله(ص)الإمـامين الحسـن والحسين (عليهم صلوات ربي جميعاً).

يقول السيد محمد تقي الحكيم(ص) بصدد الاستدلال بهذه الآية على عصمة أهل البيت(ص) ما نصه ((وتقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت(ص) ما ورد فيها من حصر إرادة إذهاب الرجس – أي الذنوب – عنهم بكلمة (إنما) وهي من اقوي أدوات الحصر واستحالة تخلف المراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله عز وجل وقرأ في كتابه العزيز ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[١٤] وتخريجها على أساس فلسفي من البديهيات أيضاً لمن يدرك أن إرادته هي العلة التامة أو آخر أجزائها بالنسبة لجميع مخلوقاته، واستحالة تخلف المعلول عن العلة من القضايا الأولية، ولا اقل من كونها من القضايا المسلمة لدى الطرفين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك وليس معنى العصمة إلا استحالة صدور الذنب على صاحبها عادة))[١٥].

وقد اثيرت حول هذه الآية الكريمة شبهات من قبل مرضى القلوب رغم الدلالة القطعية لمضامينها على أهل البيت(ع) وحصر هذه الدلالة بهم بشكل لا يقبل الشك[١٦].

وقد طفحت كتب التفاسير بما مضمونه ان آية التطهير قد قُطع الاستدلال بها على أهل البيت(ع) حيث أورد ابن كثير الدمشقي في تفسيره ست عشرة رواية بخصوص دلالة هذه الآية على صحة هذا الاتجاه في تفسيرها ونزول الآية في آل بيت النبوة(ع) خاصة من دون غيرهم[١٧].

يقول السيد عبد الحسين شرف الدين ((وكفاك هذا برهاناً على انهم – أي بمن نزلت بحقهم آية التطهير – أفضل ممن أقلته الأرض يومئذ ومن أظلته السماء، ألا وهم رسول الله(ص) وصنوه الجاري بنفس الذكر مجرى نفسه، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب أهل الجنة، فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية البينة))[١٨].

وهذا بطبيعة الحال يؤكد صحة معتقدنا من ان منزلة آل محمد(ص) كمنزلة آل إبراهيم(ع)سواء في الفضل ام في النسب الوضاح١٩ ، كما قال سبحانه وتعالى فيهم ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً**﴾[٢٠].

ونظراً لمحدودية البحث وعدم التمكن من التفصيل خلاله نكتفي بآية التطهير كأنموذج رائع يشير في دلالته على أهل البيت(ع) ومادام الإمام المهدي(عج) هو الامتداد الصادق لهذا البيت الكريم فسنشير في محور البحث الثاني إلى دلالات النصوص القرآنية عليه ان شاء الله تعالى فإلى هناك.

المحور الثاني :

الإمام المهدي(عج) في النصوص القرآنية

القرآن الكريم هو الدستور السماوي المتكامل الذي لو عُمل بمحتواه لارتقت البشرية إلى أعلى مراتب السمو والكمال والرفعة وذلك لاحتوائه على كل ما من شأنه ان ينال فيه الإنسان سعادته ورقيه، حيث ((ان الهدف الوحيد الذي يضمن للتحرك الحضاري

للإنسان ان يواصل سيره واشعاعه وجذوته باستمرار هو الهدف الذي يقترب منه الإنسان باستمرار ويكشف فيه كلما اقترب منه آفاقاً جديدة وامتدادات غير منظورة تزيد الجذوة انتقاداً والحركة نشاطاً والتطور إبداعاً))[٢١].

وهذا الإبداع لدى الإنسان انما جاء بفضل العقل الذي منحه الله سبحانه وتعالى اليه لأنه عندما خلق الإنسان أعطاه عقلاً يميز من خلاله بين الحق والباطل، والخير والشر، والنافع والضار، ويصل به إلى درجات التقدم والرقي الحضاري[٢٢].

فلابد ان أن تستنير العقول بمعرفة أهم نظريات القرآن الكريم وهي نظرية وفكرة الإمام المهدي(عج) الذي هي امتداد لنظرية الإسلام العظمى المتعلقة بجده المصطفى(ص) الذي انبلج ظلام الدنيا على يديه فأنيرت الأرض بنوره وسناه وانتقلت ومضة النور هذه عبر صلبه إلى أولاده الأئمة(ص) من بعده لأنهم ((أهل بيت النبي الذين نزل القرآن في بيوتهم))[٢٣].

نعم إنها ومضة النبوة ممن سبقوهم في هذه الدنيا فكان ذلك النور سيماءً بوجه ((الأنبياء مثل نوح وآدم وسليمان وغيرهم، وفي الأولياء مثل الخضر وأصحاب الكهف، فما المانع منه في مثل الأئمة المعصومين الذي يترتب على بقائهم بقاء الدين، اذ هم لطف في حق المكلفين))[٢٤]، وعليه فأن فكرة الإمام(عج) تتجسد في عدم بقاء الأرض بغير مقوِّم ومسؤول ذلك هو من يتول الامر بعد رسول الله(ص) وهو الإمام المعصوم، فعن محمد بن الحسين عن أبي داود

المسترق عن احمد بن عمر قال : قلت لابي الحسن : هل تبقى الأرض بغير امام ؟ فانّا نروي عن أبي عبد الله(ص) انه قال : لا تبقى إلا ان يسخط الله على العباد، قال : لا تبقى، اذاً الفساد[٢٥].

وتأسيساً على الذي ذكرناه باقتضاب في اعلاه لابد لنا ان نشير في هذا المحور من البحث إلى مجموعة من الآيات الكريمة التي دلت على نظرية العدل الإلهي المتجسدة بشخص الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(عج) حيث سنركز البحث على واحدة من هذه الآيات كانموذج وذلك لمحدودية البحث كما ذكرنا ذلك آنفاً.

وهذا الجمع من الآيات الدالة عليه(عج) يمكن درجه وكما يلي :

١ – قوله تعالى ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[٢٦].

يقول صاحب مجمع البيان : والمروي عن أهل البيت(ع) انه في المهدي من آل محمد(ص)، وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين(ع) إنه قرأ الآية وقال : هم والله شيعتنا أهل البيت(ع) يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهدي هذه الأمة... وروى مثل ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله(ع)فعلى هذا يكون المراد بـ(**الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) هم النبي واهل بيته صلوات الرحمن عليهم، وتضمنت الآية البشارة اليهم

بالاستخلاف والتمكن في البلاد، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي(ع) منهم[٢٧].

هذا وقد بذل النبي(ص) جهداً غير اعتيادي في بيان خصائص الأئمة وأدوارهم ووظيفتهم ومهامهم وأوضح مراراً بأنهم حملة الدين والشريعة، وهم سفن النجاة، وأمان الأمة، وعصمتها من الضلال والزلل وهذا ما يؤكد عصمتهم[٢٨].

فوعد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة وعدٌ صادق، وهل اصدق من الله تعالى وعداً حيث وعد المؤمنين الصالحين الخائفين في كتابه المبين بأن يستخلفهم في الأرض على المكلفين وهنا وصفهم بالخوف بعد كونهم آمنين وأن يجعلهم بعد ذلك آمنين، وهذا مصداق ما عليه فكرة الإمام(عج) كما قيل في الدعاء ـ اللهم اخلفه من بعد خوفه أمناً ـ وهذه ميزة لم يحصل عليها أحد من الأولياء تولى امر المسلمين قبله(عج) حيث هي صفة للقائم خاتم الأئمة المعصومين(ع)لذلك كان وصفهم من قبل الله جلَّ وعلا بأنهم عن الشرك منزهون وهذه من صفات الأئمة الميامين (عليهم صلوات ربي أجمعين)، لأن النبي(ص) هو صادق القول وقد اخبر بقوله: ((دبيب الشرك في امتي كدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء))[٢٩].

٢- قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٣٠].

ففي هذا النص القرآني المشرف الذي ورد في سورتين كريمتين هما، سورة التوبة وسورة الصف، أنما يخبر فيه سبحانه وتعالى ظهور وانبلاج دين الله في أرضه وهو دين الإسلام على أديان الأنام فوعده حق لابد من حصوله وصدق لابد له من حلوله[٣١].

فعن المفضل عن الإمام الصادق(ص) قال: يا مولاي فقوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ما كان رسول الله(ص) ظهر على الدين كله؟ قال: يا مفضل لو كان رسول الله(ص) ظهر على الدين كله ما كانت هنالك مجوسية، ولا يهودية ولا صابئية ولا نصرانية، ولا فرقة، ولا خلاف، ولا شك، ولا شرك، ولا عبدة أصنام، ولا أوثان ولا اللات والعزى، ولا عبدة الشمس والقمر، ولا النجوم، ولا النار، ولا الحجارة، وانما قوله **(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)**، في هذا اليوم، وهذا المهدي، وهذه الرجعة[٣٢] وهو قوله **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾**[٣٣].

ويذكر المجلسي بأن وعد الله في أمر ظهور الإسلام على الأديان كلها أمر لا يمكن حصوله في عهد النبي الكريم(ص)٣٤ ولم يسبق لمن تولى أمر المسلمين قبله، في حين ثبت أن القائم(عج) يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ولا عدل أعظم من إظهار الشريعة المحمدية والملة الإسلامية، فيكون ان الإمام الحجة(عج) هو الموعود به في الكتاب وهو نص لا يقبل الإشكال والشبهة بلا منازع.

ومـن الجـدير ذكـره ان في هـذا الـنص الكـريم اشـارة إلى ((ان كـل انسان في هذه الدنيا سيتبع هذا الدين))[٣٥].

٣- قوله تعالى ﴿**وَنُرِيـدُ أَن نَّمُـنَّ عَلَـى الَّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِـي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[٣٦].

وبصـدده فعـن محمـد بـن احمـد الايـادي عـن الإمـام أمـير المـؤمنين(ع)انـه قـال : ان المستضـعفون في الأرض المـذكورون في هـذا الـنص الشـريف الـذين يجعلهـم الله أئمـة نحـن أهـل البيـت يبعـث الله مهديهم فيعزهم ويذل عدوهم[٣٧].

وقـد احتـوى الكتـاب العزيـز عـلى شـذرات أخـرى تتضـمن نصوصـه المشـرفة دلالات أخـرى عـلى الإمـام القـائم(عـج) ولمحدوديـة البحـث كـما ذكرنـا سـنكتفي بـذكر نصوصـها فقـط دون التعرض لشرحها أو لبيان دلالتها وهذه النصوص الكريمة هي :

٤- قوله تعالى ﴿ **وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾[٣٨].

٥- قولـه تعـالى ﴿ **اعْلَمُـوا أَنَّ اللَّـهَ يُحْيِـي الْـأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا**﴾ ,[٣٩]

٦- قوله تعالى ﴿ **أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً**﴾ ,[٤٠]

٧- قولـه تعـالى ﴿ **إِن نَّشَـأْ نُنَـزِّلْ عَلَـيْهِم مِّـن السَّـمَاء آيَـةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** ﴾ ,[٤١]

٨- قوله تعالى ﴿ **قُل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**﴾ ,[٤٢]

٩- قوله تعالى ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ! الْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾ ,[٤٣]

١٠- قوله تعالى ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ ,[٤٤]

١١- قوله تعالى ﴿ **وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[٤٥].

وهنالك نصوص أخرى تحمل دلالات وايماءات واضحة تشير إلى الإمام القائم(عج) تجنبنا عن ذكر التفاصيل في هذا البحث خوفاً من الاستطالة والسعة.

محيلين من أراد الإطلاع على تلك التفاصيل إلى الكتب المختصة، والحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث وأهدافه

يمكن استنتاج الخصائص التالية بعد إكمال هذا البحث المتواضع وهي كما يلي :

١- إن فكرة الإمام المهدي(عج) تم طرحها من قبل النص القرآني بشكل علمي دقيق لا يمكن لذي لب أن يتغافل عن عنها أو ينكرها.

٢- إن فكرة الإمام المهدي(عج) قد حازت على اتفاق العالم بأسره من حيث مصداقيتها لأن العقل يبني على صحة ما هو

مقبول عقلاً ونبذ ما هو مردود ومرفوض أصلا، فلابد من من الاستخلاف الصحيح الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها.

٣- إنها دعوة لكل شعوب الدنيا بالالتفات إلى دقة المسألةأي نظرية الإمام(ع) خوفاً من انجرار أهدافها السامية إلى مآرب خاصة من خلال التشويهات العدائية للإسلام، ويجب أن يكون المسلمون على غاية من الاستيقاظ والانتباه، لأن فكرة الإمام القائم(عج) يمكن أن تستغل للتمويه على البسطاء والمغلوبين كسلاح ذو حدين.

٤- وكل ما ورد في أعلاه لا يتأتى إلا من خلال الالتزام بالقرآن العظيم والمواظبة على تلاوته ومدارسته بتمعن وتدبر وتفكر ليكون للجميع ملاذاً وسلاماً من هذه التخرصات والتهويشات.

هوامش البحث

١- الاسراء / ٧٠.
٢- محمد باقر الصدر، منابع القدرة، ٧.
٣- الاسراء / ٧٠.
٤- الاحزاب / ٣٣.
٥- الشورى / ٢٣.
٦- ال عمران / ٦١.
٧- المائدة / ٥٥.
٨- الإنسان، الدهر / ٨
٩- جعفر سبحاني، العقيدة الإسلامية : ٢٥٩.

١٠- المجادلة / ٢٢.
١١- النمل / ١٤.
١٢- محمد حسين فضل الله : العدل المنتظر : ١٣.
١٣- الرعد / ١١
١٤- يس / ٨٢.
١٥- محمد تقي الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن : ١٤٣.
١٦- م.ن : ١٤٤.
١٧- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٥٨٥.
١٨- عبد الحسين شرف الدين : الفصول المهمة : ٢٠٣.
١٩- احمد راسم النفيس : الطريق إلى مذهب أهل البيت : ٤٩.
٢٠- النساء / ٥٤.
٢١- محمد باقر الصدر : منابع القدرة : ٩.
٢٢- فاضل الجابري الموسوي : وسطع نور الحقيقة : ٧٨.
٢٣- مقاتل بن عطية : مؤتمر علماء بغداد : ٢٢.
٢٤- النيلي النجفي : منتخب الأنوار المضيئة : ١٧٢.
٢٥- الصفار : بصائر الدرجات : ٤٢٤.
٢٦- النور / ٥٥.
٢٧- الطبرسي : مجمع البيان : ٤/ ١٥٢. وانظر / الرازي : كفاية الأثر : ٥٩ وما بعدها
٢٨- محمد باقر الصدر : بحث حول الإمام المهدي (عج) : ٣٤.
٢٩- الطبرسي : اعلام الورى : ٢/ ١٤٣.
٣٠- التوبة / ٣٣، الصف / ٩.
٣١- النيلي النجفي : منتخب الأنوار المضيئة : ٢٨.
٣٢- المجلسي : بحار الأنوار : ٥٣/ ٣٤. وانظر / النوري : كشف الاستار : ٣٨٣.
٣٣- البقرة / ١٩٣.
٣٤- المجلسي : بحرا الأنوار : ٥٣ / ٣٤.
٣٥- مرتضى مطهري : سيرة أهل البيت(ع): ٢٣٦.
٣٦- القصص / ٥.

٣٧- المجلسي : بحار الأنوار : ٥١/ ٦٣. وانظر / الطوسي : الغيبة : ١١٣.
٣٨- الذاريات / ٢٢.
٣٩- الحديد / ١٧.
٤٠- البقرة / ١٤٨.
٤١- الشعراء / ٤.
٤٢- الملك / ٣٠.
٤٣- التكوير / ١٥ – ١٦.
٤٤- لقمان / ٢٠.
٤٥- الحديد / ١٦.

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم
٢- الحراني (أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة من اعلام القرن الرابع الهجري : تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ط٤ إيران – قم.
٣- الحكيم محمد تقي الأصول العامة للفقه المقارن، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ط٤ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م لبنان – بيروت.
٤- الرازي (علي بن محمد بن علي الخزاز القمي): كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر انتشارات بيدار إيران – قم.
٥- السبحاني، جعفر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت(ع) نقله إلى العربية جعفر الهادي دار التعارف للمطبوعات سوريا.

٦- السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ) : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، الطبعة بالاوفسيت ، إيران – قم.
٧- شرف الدين ، عبد الحسين : الفصول المهمة في تأليف الامة ، دار النعمان ، ط٤ ، العراق – النجف الأشرف.
٨- الصدر ، محمد باقر : بحث حول الإمام المهدي(عج) ، دار التعارف للمطبوعات ، ط٦ – ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، لبنان – بيروت.
٩- المؤلف السابق : منابع القدرة في الدولة الإسلامية ، العراق – بغداد.
١٠- الصفار (أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ ت٢٩٠هـ) : بصائر الدرجات الكبرى في آل محمد ، تحقيق محمد حسين المعلم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، ط١ ، مطبعة الشريعة ، ١٤٢٦هـ ، إيران – قم.
١١- الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ) : أعلام الورى ، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، ط١.
١٢- المؤلف السابق : مجمع البيان في تفسير القرآن ، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية ، إيران – طهران.
١٣- الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ) : الغيبة ، منشورات المكتبة الإسلامية ، إيران – قم.
١٤- عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
١٥- ابن عطيه ، مقاتل : مؤتمر علماء بغداد ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ.
١٦- فضل الله ، محمد حسين ، العدل المنتظر ، بحث حول الإمام المهدي(عج) ، منشورات المكتب الإعلامي ، ١٤٣٣هـ ، إيران – قم.

١٧- القمي (علي بن إبراهيم بن هاشم ت بعد ٣٠٧هـ) : تفسير القمي، دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران – قم.
١٨- ابن كثير (الحافظ أبو الفداء الدمشقي) : تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، لبنان – بيروت.
١٩- المجلسي(محمد باقر بن محمد تقي ت ١١١١هـ) : بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، المكتبة الإسلامية، إيران – طهران.
٢٠- مطهري، مرتضى : سيرة أهل البيت(ع)، ترجمة مالك وهبي، رابطة أهل البيت العامة الإسلامية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، سوريا – دمشق.
٢١- الموسوي، فاضل الجابري : وسطع نور الحقيقة – مطارحات في الفكر والعقيدة، منشورات نصائح، ط١، مطبعة القلم، ١٤٢٦هـ، إيران – قم.
٢٢- النفيس، الدكتور احمد راسم : الطريق إلى مذهب أهل البيت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، مطبعة فروردين، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، إيران.
٢٣- النيلي (بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد ت بعد٨٠٢هـ) : منتخب الأنوار المضيئة في ذكر القائم(عج)، تحقيق مؤسسة الإمام الهادي(ع)، ط١، مطبعة الاعتماد، ١٤٣٠هـ، إيران – قم.

اجماع الامة الاسلامية في مفهوم المهدوية

د. بلاسم عزيز شبيب
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

لا شك ان مفهوم المهدوية مفهوم مشترك يؤمن به المسلمون كافة وعلى مختلف مذاهبهم وطوائفهم، بل تؤمن به كافة الديانات السماوية وغيرها بعنوان المنقذ أو المخلص، أو المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان وينقذ الامة من حيرة الضلالة والتيه والفساد الذي يظهر في البر والبحر.

ويؤمن به الكثير من الفلاسفة والعباقرة في الغرب والشرق وعلى اختلاف أفكارهم وآرائهم ومتبنياتهم العقائدية والفلسفية والسياسية، وهو عنوان لطموح اتّجهت إليه البشرية منذ القِدم، ولا زال هذا الطموح قائماً، وهذا الإعتقاد لا يبعد أن يكون من تبشير الأديان بظهور المهدي عليه السلام وإن اخفي اسمه أو نسبه عناداً وتكبّراً، كما أُخفي اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبشّرَ به في التوراة والانجيل وغيرها من الكتب السماوية قبل ظهور الاسلام.

ويدل على هذا الانتظار أو التبشير ما ورد في أسفار التوراة عن المهدي عجل الله تعالى فرجه[1].

---

١ - ظ: المهدي المنتظر في الفكر لاسلامي:٩، المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه:٦.

والنصارى يؤمنون بعودة عيسى عليه السلام ، وهو مطابق لما نؤمن به من ظهور عيسى في زمن ظهور المهدي عليه السلام، والزرادشتيون ينتظرون عودة (بهرام شاه)،وينتظر المجوس (اشيدر بابي) أحد أعقاب زرادشت،ويترقّب مسيحيّو الأحباش عودة ملكهم (تيودور)، ويعتقد الهنود بعودة فيشنو)، وينتظر البوذيون ظهور (بوذا)، وينتظر الأسبان ملكهم (روذريق)، وقد وجد هذا المعتقد عند قدامى المصريين، كما وجد في القديم من كتب الصينيين١.

وتقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل: (إنّنا نؤمن ـ كمسيحيين ـ أنّ تاريخ الانسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى (هرمجدون)، وأنّ هذه المعركة سوف تتوّج بعودة المسيح الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حدّ سواء٢.

وهذا الكلام ينطبق على ما نعتقده بالمهدي عج.

أمّا هال لندس فيقول: (الجيل الذي ولد منذ عام١٩٤٨ سوف يشهد العودة الثانية للمسيح٣.

فالبشرية تنتظر منقذاً لها سيظهر في آخر الزمان لينقذها من الواقع المأساوي الذي تعيشه، ولا اختلاف في أصل الاعتقاد بظهور المنقذ فكل يدعي بخروج شخص في آخر الزمان يخلص الناس من الشقاء والضلال ويبسط العدل والاستقرار، إنّما الاختلاف في مصداقه العملي، فالنصارى يرون أنّه المسيح، والمسلمون يرون أنّه

١- المهدي المنتظر في الفكر لاسلامي:٩، المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه:٦.
٢- عمر الامة الاسلامية :٣٧ لمحمد جمال الدين، مكتبة المجد العربي القاهرة: ١٤١٧.
٣- عمر امة الاسلام: ٥٢، النبوة والسياسة:٥.

المهدي عليه السلام ، وهم في نفس الوقت لا ينكرون ظهور المسيح عليه السلام بل يرونه مسانداً للإمام المهدي عليه السلام بل تابعاً له، كما أشارت إليه روايات الشيعة والسنّة على حدّ سواء.

وعليه لو قلنا بإجماع الامم الانسانية كلها على مفهوم المهدي ووظائفه لم نكنمغالين في هذا الادعاء، نعم أنهم يختلفون في مصداقه، والمسلمون كذلك يتفقون في مفهومه ويختلفون في مصداقه، وعليه فالإعتقاد بالمهدي عج الله فرجه كالاعتقاد برسول الله صلى الله عليه وآله وأنه موحد للامة بل للبشري، ومن هذا المنطلق يتضمن البحث المطالب التالية:

المبحث الاول:

اتفق المسلمون في اسم الامام المهدي عج الله فرجه ونسبه ووظائفه

المطلب الأول: اتفق المسلمون في اسمه.

المطلب الثاني: اتفق المسلمون في نسبه.

المطلب الثالث: اتفق المسلمون في دولته ووظائفه.

المبحث الثاني:

مفهوم ومصداق المهدي عج الله فرجه عند المسلمين.

المطلب الأول: مفهوم المهدي عجل الله تعالى فرجه عن المسلمين.

المطلب الثاني: مصداق المهدي عجل الله تعالى فرجه عن المسلمين.

الحمد لله

المبحث الاول:

اتفق المسلمون في اسم الامام المهدي عج الله فرجه ونسبه ووظائفه

المطلب الأول: اتفق المسلمون في اسمه وكنيته

اتفق المسلمون على اسم مهدي هذه الامة وأنه اسمه اسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وكنيته كنيته، ودل على ذلك رواية العامة والخاصة وكما يلي:

ما روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله :(لو لم يبق من الدنيا الا ساعة واحدة لطول الله تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتي ، اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا)١.

ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:(لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)٢.

وروي أيضا (يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي)٣

(المهدي يواطئ اسمه اسمي)٤.

وأمثال هذه الروايات الصحيحة كثير وبأسانيد وألفاظ مختلفة إلا أنها تتحد (اسمه اسمي) وكذا لفظ (كنيته وكنيتي) وفي بعض الروايات (خلقه خلقي)

١- الكليني / الكافي١: ٤٦٩، القاضي ابن البراج/ جواهر الفقه:٢٥٠.
٢ظ: أخرجه الترمذي كتاب الفتن رقم(٢٢٣١)وقال حسن صحيح ، وظ الهندي/ كنز العمال١٦: ٢٦٢ رقم الحديث٣٨٦٥٥.
٣- كنز العمال١٤: ٢٦٤ رقم٣٨٦٦١،
٤- كنز العمال١٤: ٢٦٤ رقم٣٨٦٦٨

١. ويبدو أن هذه الروايا على كثرتها إن لم نقل أنها متواترة في مستفيضة وعليها إجماع الامة الاسلامية بمختلف مذاهبها.

ولو أعدنا النظر في هذا الحديث نجد فيها صفة لُقب بها الامام عجل الله تعالى فرجه وهي(المهدي) وتعني الذي يهدي الامة بعد ضلالها وكما أن النبي كان هو الهادي والمهدي للبشرية من الضلال فكذلك حفيده صاحب العصر والزمان، والأجمل ما فيها هذا الحديث وهو الترابط بين قوله صلى الله عليه وآله (المهدي) وقوله(اسمه اسمي)، وهذا يدل على أن المراد من المصلح في آخر الزمان وهو المهدي الذي يعتقد به أكثر المسلمون مفهوما ويعتقد به الامامية مفهوما ومصداقا خارجيا.

وعليه اسم المهدي (محمد) وأكثر الروايات المجمع عليها لم تصرح باسم أبيه وما صرح بذلك فهو شاذ نادر، بل ضعيف كما في ومانسب الى النبي صلى الله عليه وآله(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

قال الكنجي : وقد ذكر الترمذي الحديث في جامعه ولم يذكر " واسم أبيه اسم أبي " وذكره أبو داود وفي معظم روايات الحفاظ والثقات من نقله الاخبار " اسمه اسمي " فقط.

والملاحظة أن عددا من علمائنا الشيعة أورده أيضا كما رأيت ، كالشيخ أبي جعفر الطوسي والسيد رضي الدين بن طاووس وغيرهم ، مع أنهم نصوا على أن المهدي عليه السلام هو الامام

---

١ – ظ المتقي الهندي/ كنز العمال١١ : ٣٩٧.،تفسير ابن كثير٣: ٢٤، الذهبي/ ميزان الاعتدال٤٢٧.

الثاني عشر ـ وإسمه محمد وإسم أبيه الحسن ، بل ذلك من ضرورات مذهبنا ، ولكنهم أوردوا هذا الحديث المخالف لمذهبهم لامانتهم في النقل عن الرواة والمصادر. وقد تعرض عدد من علماء الحديث من الفريقين لنقد هذه الزيادة (وإسم أبيه إسم أبي).

ولعل أقوى نقد من علماء السنة ما قاله الشافعي صاحب كتاب البيان ، وخلاصته : أن الامام أحمد ، والترمذي وغيرهما من الحفاظ رووه إلى قوله " إسمه إسمي " بدون هذه الزيادة ، وأن الحافظ أبا نعيم الاصفهاني أورد له أكثر من ثلاثين طريقا لم ترد هذه الزيادة في واحد منها.

فيتعين أن تكون من فعل " زائدة " الذي ضعفه أهل الجرح والتعديل وشهدوا أنه كان يزيد في الحديث.

قال الشافعي ما نصه " وفي معظم روايات الحفاظ والثقات من نقلة الاخبار إسمهإسم أبي فقط ، والذي رواه إسم أبيه إسم أبي فهو زائدة ، وهو يزيد في الحديث.

والقول الفصل في ذلك أن الامام أحمد مع ضبطه وإتقانه روى هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع : وإسمه إسمي ".

وقد اتجه بعض العلماء إلى تأويل هذه الزيادة ، كالشبلنجيوالاربلي والهروي والنوري والمجلسي ـ وغيرهم ، وأحسن ما قيل في ذلك أنه ربما كان أصلها " وإسم أبيه إسم نبي " كما في رواية ابن حماد ، أو إسمإبني أي الحسن ، ثم صحفت كلمة نبي أو إبني بكلمة أبي ، وهو كثير في النسخ المخطوطة المستنسخة عبر مئات السنين.

ولكـن بعضـهم كالشـافعي يـرى أن ذلـك تكلـف لا لـزوم لـه في تأويل هذا الحديث ، وهو الرأي القوي.

ومما يقـوي القـول بوضـع هـذه الزيـادة أن المهديـة ادعيـت في مطلـع القـرن الثـاني لاثنـين إسـم كـل مـنهما محمـد وإسـم أبيـه عبـد الله ، وهما:محمد بن عبـد الله بـن الحسـن المثنـى ، ومحمـد بـن عبـد الله المنصـور المعـروف بالمهـدي العبـاسي ، وقـد حـرص أنصـار كـل مـنهما عـلى أن يطبقوا أحاديـث المهـدي الموعـود عـلى صـاحبهم ، ولكـن مغـامرة إدعـاء المهدية سرعـان مـا تنكشـف عنـدما لا يسـتطيع مـدعيها أو المـدعاة لـه أن يعمـم الاسـلام عـلى العـالم ويمـلا الارض عـدلا ، أو يعطـي المـال حثيـا بغير عد.

فمن المـرجح أن تكـون هـذه الزيـادة في الحـديث لمصـلحة أحـدهما ، ويؤيد ذلـك مـا روي في الموضـوعات مـن الاحاديـث التـي تـنص عـلى أن المهـدي الموعـود مـن أولاد العبـاس أو مـن بنـي أميـة ، والتـي تـبرأ منهـا علـماء الحـديث وشـهدوا بأنهـا مكذوبـة عـن لسـان النبـي صـلى الله عليه وآله.

وعليـه فـإن الزيـادة مـورد اخـتلاف بـين المسـلمين، والاصـل مـورد اتفـاق، وعليـه يقـدم مـورد الاتفـاق عنـد التعـارض، والزيـادة مشـكوك فيهـا ، والشـك هنـا لا يغنـي مـن الحـق يؤيـد ذلـك الروايـات القائلـة ان المهـدي مـن أهـل البيـت كـما في قولـه صـلى الله عليـه وآلـه :(المهـدي مـن هـل البيـت ، يصـلحه الله في ليلـة)١، وقولـه (المهـدي رجـل مـن ولـدي ، وجهـه كالكوكـب الـدري)٢، وقـد ثبـت في محلـه أن

١- كنز العمال١٤: ٢٦٤ رقم ٣٨٦٦٤،
٢- كنز العمال١٤: ٢٦٤ رقم٣٨٦٦٦

أهـل البيـت هـم أولا عـلى وفاطمـة، وأن أولا النبـي هـم أولا فاطمـة فقط.

المطلب الثاني: اتفق المسلمون في نسبه.

هو: المهـدي المنتظـر :محمـد بـن الحسـن بـن عـلي بـن محمـد بـن عـلي بـن موسى بن جعفر بـن محمـد بـن عـلي بـن الحسـين بـن عـلي بـن أبي طالـب بن عبد المطلب بن هاشـم بـن عبـد منـاف بـن قصي- بـن كـلاب بـن مـرة بن كعب بن لؤي بن غالب بـن فهـر بـن مالـك بـن قـريش بـن كنانـة بـن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضربن نزار بن معد بن عدنان.

وعليـه لا شـك أن نسـب الامـام المهـدي يرجـع الى رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وأنـه قـرشي، وكـما لا شـك أنـه مـن ولـد فاطمـة هـذان الامـران متفـق عليهما، واتفقـت الاماميـة وأغلـب بقيـة مذاهب المسلمين عـلى أنـه مـن ولـد الحسـين عليـه السـلام، وأنـه التاسـع من ولد الحسين عليه السلام.

أولا: المهـدي مـن عـترة ونبيـا صـلى الله عليـه وآلـه ومـن ولـد فاطمة عليها السلام

ويـدل عـلى ذلـك أخبـار كثـيرة صـحيحة اتفـق عليهـا المسـلمون جميعاً إلا مع شذّ ولا يعتنى بمخالفته، وهي ما يلي

١- روى البخاري حديثاً صريحاً في المهدي في تاريخه الكبير،(عن أمّ سلمة، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حديث «المهدي حقّ، وهو من ولد فاطمة)١.

٢- (المهدي من عترتي من ولد فاطمة(٢.

وفي الرواية دلالة واضحة وصريحة على أنه من ولد فاطمة، فهو من ولد رسول الله لأن ولد فاطمة هم أولاد أبيها بدليل قوله تعالي: قل تعالو ندعوا أبنائنا وأبناءكم....) واتفق المسلمون على أن المقصود بهذهالاية هم الحسين والحسين.

وقد وردت هتان الروايتان بأسانيد مختلفة وألفاظ متنوعة لكن مضمونها واحد وهو أن المهدي من ولد فاطمة.

٣- المهدي من ولد الحسين عليه السلام

قال رسول الله ضلى الله عليه وآله: (...ومنكم القائم يصلي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلى الارض من ذرية علي وفاطمة من ولد الحسين(عليهم السلام)٣

عن النبي صلى الله عليه وآله : (لا تذهب الدنيا حتى يقوم رجل من ولد الحسين يملاها عدلا كما ملئت ظلما وجورا)٤.

---

١ - تاريخ البخاري٨: ٤٠٦. وروى مسلم هذا الحديث في صحيحه، صرّح بذلك ابن حجر الهيثمي في صواعقه، والمتّقي الهندي الحنفي في كنز العمّال، والشيخ محمّد علي الصبّان في إسعاف الراغبين، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي المكّي في مشارق الأنوار وهم أربعة من علماء أهل السنّة الموثوق بنقلهم عن صحيح مسلم صراحةً، لكننا نرجع إلى صحيح مسلم في طبعاته المتداولة حاليّاً فلا نجد لهذا الحديث أثراً، ويبدو أن الحقد الأموي رفع تلك الكرامة المضيئة لأنها تعمي أبصارهم وهكذا شأن الخفافيش تعمى أبصارهم في الظلام.

٢ - كنز العمال١٤: ٢٦٤ رقم ٣٨٦٦٢،

٣ - الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ٥٠

٤ - عيون أخبار الرضا(ع) - الشيخ الصدوق ج ١ ص ٧١

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تذهب الدنيا حتى يقوم على أمتي رجل من ولد الحسين يملا الارض عدلا كما ملئت ظلماوجورا)١.

المطلب الثالث: اتفق المسلمون فى دولته ووظائفه.

اتفق المسلمون أن الامام أو الخليفة والذي اسمه اسم النبي سوف يقيم دولة اسلامية دستورها القرآن ونظامها العدل، وهذا مت يطمح اليه المسلمون بل الناس جميعا، وقد دلت الروايات على ذلك وكما يلي:

-قال النبي صلى الله عليه وآله: (المهدي مني ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، يملك سبع سنين)٢.

وأما دعوى أنه من ولد الحسن عليه السلام أو من ولد العباس فهي باطلة جملة وتفصيلا وكما يلي:

١- الرواية القائلة ان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من ولد الإمام الحسن عليه السلام بعد البحث والفحص تبيّن لنا انها رواية واحدة فقط، وقد رواها ابو داوود في سننه ، عن هارون بن المغيرة قال حدثنا عمرو بن ابي قيس عن شعيب بن خالد عن ابي اسحق قال: ((قال علي رضي الله عنه (ونظر إلى ابنه الحسن) فقال: ان ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجلٌ

---

١ - ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي ج ٢ ص ٣١٧.
٢- ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي ج ٢ ص ١٠٣.

يسمى باسم نبيكم يشبهه بالخلق ولا يشبهه بالخلق، ثم ذكر قصة: يملأ الارض عدلاً))١.

وهذا الحديث ساقط عن الاعتبار من وجوه:

ثانياً: ان ابي داوود يقول حدثت عن هارون بن المغيرة ولم يذكر لنا من هو الذي حدثه عن هارون بن المغيرة.

ثالثاً: الحديث معنعن والرواية منقطعة.

رابعاً: قال بن القيم الجوزية في المنار المنيف في الصحيح والضعيف في هامش رقم ٢ هذا حديث منقطع لان ابا اسحق السبيعي في سنده رآى علياً رؤيةً، ولم تثبت له رواية عنه كما قال المنذري في مختصر سنن ابي داوود الجزء الثاني ٢.

خامساً: ذكر الجزري الدمشقي الشافعي : (والاصح انه من ذرية الحسين ابن علي لنص امير المؤمنين على ذلك)٣.

وبعد بطلان هذا الحديث من هذه الوجوه التي ذكرناها، والذي يعتبر الدليل الوحيد لمن يدعي ان الإمام المهدي عليه السلام من ولد الإمام الحسن عليه السلام.

وذكرت استدلالات غير الامامية لأن ماعند الامامية انه منن ولد الحسين ولا يوجد من يخالف في ذلك، وهذا الاختلاف عند بعض فرق المسلمين الاخري وعليه ثبت ان الإمام المهدي عليه السلام هو من ولد الحسين عليه السلام اما لوجود روايات تحدد

---

١ – سنن ابن داوود٢: ٣١١ في كتاب المهدي الحديث تحت الرقم ٤٢٩٠ .
٢ – بن القيم الجوزية / المنار المنيف في الصحيح والضعيف في هامش رقم ٢
٣– الجزري الدمشقي الشافعي في اسمى المناقب في تهذيب اسمى المطالب١٥٦ .

ذلك من مصادر ابناء العامة ومصادرنا وهي كثيرة جداً وتقدم ذكر بعضها من الفريقين.

أو لان الثابت من خلال الروايات ان الإمام المهدي من ولد فاطمة عليها السلام وبعد بطلان الدليل الوحيد لاثبات انه عليه السلام من ولد الإمام الحسن عليه السلام لا يبقى إلا ان يكون عليه السلام من ولد الإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الثاني:

مفهوم ومصداق المهدي عج الله فرجه عند المسلمين.

المطلب الأول: مفهوم المهدي عجل الله تعالى فرجه عند المسلمين.

ووردت روايات تدل على أن خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله اثنا عشر وكلهم من قريش ونحن نعتقد أن الامام الثاني عشر هو الامام المهدي ، وقد تواتر نقل مثل هذه الروايات عند العامة والخاصة ونذكر بعضا منها:

سمعت جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (يكون اثنا عشر اميرا فقال كلمة لم اسمعها فقال أبي انه قال كلهم من قريش) ١.

عن جابر بن سمرة قال دخلت مع ابى على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول (ان هذا الامر لا ينقضى حتى يمضى

---

١ - صحيح البخارى - البخاري ج ٨ ص ١٢٧ .

فيهم اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بكلام خفى على قال فقلت لابي ما قال قال كلهم من قريش)١.

عن جابر ابن سمرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثنى عشر ـ خليفة)قال : فكبر الناس وضجوا ، ثم قال كلمة خفية ، قلت لابي : يا أبة ما قال ؟ قال : كلهم من قريش)٢.

عن النبي صلى الله عليه وآله يقول (يكون اثنا عشر ـ أميرا فقال كلمة لم أسمعها فقال القوم كلهم من قريش)٣.

وهذه الروايات تنطبق مع معتقد الامامية مفهوما ومصداقا، وأن المصداق الثاني العشر ـ هو عند الامامية، ولم يتحقق هذا المفهوم عند غير الامامية.

ما نسب الى ابن خلدون

ومن الشبه التي تعلق بها المنكرون لأحاديث المهدي ما اشتهر عن ابن خلدون من تضعيفه لهذه الأحاديث حيث قال – بعد أن استعرض كثيراً من أحاديث المهدي وطعن في كثير من أسانيدها– : (فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان. وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه)٤.

ولو رجعنا لكلام ابن خلدون لوجدنا أنه صدَّر الفصل الذي عقده عن المهدي في مقدمته بقوله : (اعلم أن في المشهور بين

١– صحيح مسلم – مسلم النيسابوري ج ٦ ص ٣ .
٢ – سنن أبي داود – ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣٠٩ .
٣– مسند احمد – الامام احمد بن حنبل ج ٥ ص ٩٠ :
٤– ابن خلدون / تاريخ ابن خلدون/ المقدمة ١: ٣١٢.

الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته ، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرّجها الائمة ، وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الاخبار....)١.

وهي شهادة منه على أن اعتقاد خروج المهدي في آخر الزمان هو المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الاعصار ، فهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ ؟ مع أن الأمر يتعلق بأمر غيبي لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا يسوغ لأحد إثباته إلاّ بدليل من كتاب اللهّ أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله سلم ، هذا أمر.

ولو سلمنا أن ابن خلدون اعتقد بهذا الكلام وقال به كيف يسوغ لنا أن نعتمد على كلام ابن خلدون في التصحيح والتضعيف مع أنه ليس من فرسان هذا الميدان ، ونطرح كلام أئمة الحديث قبل ابن خلدون وبعده الذين تكلموا على أحاديث المهدي ونقدوها وبينوا صحيحها من سقيمها ، واحتجوا بكثير منها ، بل حكى بعضهم تواترها تواتراً معنوياً.

الاسباب في نفي مفهوم المهدوي

---

١ – ابن خلدون / تاريخ ابن خلدون/ المقدمة ١: ٣١١.

ومن الشبه التي أثيرت حول أحاديث المهدي أن صاحبي الصحيح لم يعتدا بهذه الروايات ، ولذلك لم يذكرا شيئاً منها في كتابيهما ، مع أنهما في المقابل أخرجا حديث القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه ، والذي أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الساعة لا تقوم حتى يخرج ، مما يدل على ضعف هذه الأحاديث عندهما ، ولو كان شيء منها صحيحاً لذكروه كما ذكروا غيره.

والجواب: لو سلمنا ان كل ما ذكر في الصحيحين لا نسلم أن عدم إيراد الشيخين شيئاً من الأحاديث المتعلقة بالمهدي لا يدل على ضعفها ، لأنه كما هو معلوم أن السنة لم تدون كلها في الصحيحين فقط ، بل ورد في غيرهما أحاديث كثيرة صحيحة في السنن والمسانيد والمعاجم وغيرها من دواوين الحديث.

ولم يقل أحد - حتى صاحبا الصحيح أنفسهما - أنهما قصدا استيعاب الصحيح كله في كتابيهما ، حتى يحكم بأن كل ما لم يخرجاه ضعيف عندهما ، بل جاء عنهما التصريح بخلاف ذلك - كما نقل عنهما الأئمة -.

قال ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث ١ : (لم يستوعبا - يعني البخاري و مسلم - الصحيح في صحيحيهما ، ولا التزما ذلك فقد روينا عن البخاري أنه قال : (ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح ، وتركت من الصحيح لحال الطول)٢ ، وروينا عن

---

١ - عثمان بن عبد الرحمن/ مقدمة ابن الصلاح: ٢١.
٢ - ابن حجر العسقلاني/ مقدمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري:٥

مسلم أنه قال : (ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا - يعني في كتاب الصحيح - إنما وضعت هنا ما أجمعوا عليه)١.

وقال النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم- بعد أن ذكر إلزام جماعة لهما إخراج أحاديث على شرطهما ولم يخرجاها في كتابيهما- : " وهذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح ، بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعباه وإنما قصدا جمع جُمَل من الصحيح كما يقصد المصنف في الفقه جمع جُمَل من مسائله لا أنه يحصر جميع مسائله)٢.

ولذلك نجد أنهما قد يصححان أحاديث ليست في كتابيهما كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده بل في السنن وغيرها.

ومن المعلوم أيضاً أن المقبول عند المحدثين أعم من الصحيح فهو يشمل الصحيح لذاته ، والصحيح لغيره ، والحسن لذاته ، والحسن لغيره ، والصحيح موجود في الصحيحين وفي غيرهما ، أما الحسن فمظانه في غير الصحيح.

والعلماء رحمهم الله قسموا الصحيح بحسب القوة إلى مراتب سبع :

١. صحيح اتفق الشيخان على إخراجه.
٢. صحيح انفرد بإخراجه البخاري عن مسلم.
٣. صحيح انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري.

---

١ - صحيح مسلم٢: ١٥.
٢ - النووي : شرح صحيح مسلم١: ٢٤.

٤. صحيح على شرطهما معاً ولم يخرجاه.
٥. صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه.
٦. صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.
٧. صحيح لم يخرجاه وليس على شرطهما معاً، ولا على شرط واحد منهما.

وليس في الصحيحين من هذه المراتب إلا الثلاث الأولى، أما الأربع الباقية فلا وجود لها إلا خارج الصحيحين.

ولم يزل دأب العلماء في جميع العصور الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة بل والحسنة الموجودة خارج الصحيحين، والعمل بها مطلقاً، واعتبار ما دلت عليه، من غير حط من شأنها أو تقليل من قيمتها، سواء أكان ذلك في أمور الاعتقاد أو في أمور الأحكام.

وعليه فما لم يذكر في الصحيحين لا يؤثر في الاعتقاد بالمهدوية وهذا قاله أبناء السنية بالإجماع.

المطلب الثاني: مصداق المهدي عجل الله تعالى فرجه عن المسلمين.

بعد ان اتضح الاتفاق علي مفهوم المهدوية بين كافة المذاهب الاسلامية، وأنه لا بد من خروجه آخر الزمان، اختلفوا في مصداقة الخارجي، وذهبت العامة في جميع مذاهبها الى أن المهدي يولد الى الآن، ولم يعرف هو ولا أبوه، وكل ما يعرف أنه من قريش ومن بني هاشم ومن ولد فاطمة واخلتفوا على قولين في أنه هل هو من ولد الحسن بن علي بنن أبي طالب أم من الحسين والأكثر على الثاني.

واتفقت الشيعة الامامية الاثنى عشرية على أنه هو محمد بن الحسن العسكري ولد في سنة٢٥٦هـ وغاب الغيبة الصغرى وبعد سبعة عقود غاب الغيبة الكبرى، وهو الآن في الغيبة الكبرى والامة تنتظره وسوف يظهر ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما مليئة ظلما وجورا.

وذُكرت علامات لظهوره ويبدو قد تحقق الكثير منها.

الخاتمه والنتائج

بعد الانتهاء من هذا البحث العقائدي الفكري والتاريخي تبين لي ما يلي:

١- أن فكرة المهدوية فكرة عالمية اممية يؤمن بها كل أصحاب الديانات، وأجمع المسلمون على الاعتقاد بمفهوم المهدوية، وأجمع الامامية خاصة على مفهوم ومصداق الامام المهدي عج الله تعالى فرجه.

٢- اتفق المسلمون على أن الامام المهدي اسمه اسم النبي الأكرم وهو من قريش ومن ولد فاطمة ، والأكثر على أنه من الحسين عليه السلام.

٣- عدم ذكره في البخاري ومسلم لا يقدح في الايمان به لأنها أقرها بعد نقد كلما هو صحيح، بل نقل الصحيح المجمع عليه عندها

الحمد لله رب العالمين

الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) والإشارات القرآنية

د. وفقان خضير محسن الكعبي
كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين ، وبعد فإنّ البحث ينتظم حول العلاقة بين الإمام المهدي – عجل الله تعالي فرجه – والقرآن الكريم منذ نزوله، وإلى يوم ظهوره ، وما يتعلق بعصر الغيبة.

والتأمل في كتاب الله الذي لا يضلّ صغيرة ولا كبيرة غلاّ أحصاها ، بل لا يفرّط في شيء إلا وبيّن حقائقه الاجتماعية والإيمانية ، وهو يتساوق ويتكيّف مع كل عصر.

على أن الدلالة في القرآن الكريم يمكن أن تستند إلى قرائن لفظية من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، ومن الدليل العقلي الذي يؤمن بضرورة وجود حجة لله في الأرض لهداية الأمم والشعوب تستند للقرآن والسنة المتمثلة بالنبي(ص) أو الأئمة من بعدهم. وتستمد ظاهرة المصلح والمنتظر في آخر الزمان من النص الشرعي في القرآن والسنة الشريفة.

والإمام المهدي هو أحد الأئمة الإثني عشر الذين أخبر النبي(ص) عنهم في السنة الشريفة وأشارت إليهم الآيات المباركة.

ويحاول البحث أن يقتصر على إيراد بعض الآيات الشريفة ، وكيفية الاستدلال بها على الإيمان والعقيدة المهدوية. كما يبين الإشارت والدلالات الظاهرة في الآيات بنقاط مهمة:

أولا: التلاوة باللذكر اللساني فقط. وهذا لا ينفع المؤمن في حياته إلا الأجر والثواب فقط.

ثانيا: التلاوة مع التدبر والعمل الفعلي إذ نجعل دواء للقرآن يشفي داء قلوبنا،وخصوصا في تعجيل فرج الإمام بأن نجعله نصب كل عمل نقوم به.

ثالثا: الارتباط القلبي ،والذكر الخفي فهو أمام قلب كل مؤمن ومؤمنة في الحياة لا يغيب عنا لحظة.

وإذا تأمل العبد المؤمن هذه الحقائق الإيمانية كان مستحقاً؛لأن يكون منتظراً حقاً ، فالإمام لا يريد ارتباطاً عاطفياً بدون أن يكون معتمداً على البرهان النقلي والعقلي ، وصحة ما يعتقد به ، ويجسد ما يعتقده بالعمل في إتباع نهج أهل البيت عليهم السلام وخصوصا المنقذ والمصلح البشرية الموعود. على أننا سنعرض مجموعة من الآيات الدالة على أن يكون في كل زمان إمام حق يهدي الناس إلى الله تعالى. ويشهد على أعمالهم ليكون حجة لله على خلقه، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً وأهمية الاعتقاد بهديه، ونستعين بالروايات والتفسير بالمأثور على بيان معنى النص وانطباقه على هذه الفكرة.

أوّلاً- الأئمة في القرآن :

بعد التأمل في الظواهر القرآنية التي تحدد الأئمة، ومن يقتدى بهم من الأفراد. قال تعالى:(نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)(١)

في هذه الآية مجموعة من النقاط نبيها اختصارا ؛لأن التفصيل في البحث التفسيري.

١- ما المقصود من الإرادة، أما الإرادة التكوينية لنصرة أهل الحق على الظالمين،أو الإرادة التشريعة، وهنا لا تشريع في هذا الاعتبار الإلهي.

٢- من هم المستضعفون في الأرض، أي ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض بالظلم عليهم وغصب حقوقهم ونجعلهم أئمة في الدين ونجعلهم الوارثين لعلوم الأنبياء والمرسلين ، وفي جعل الأرض ظرفا للاستضعاف تنبيه على أنهم ذووا قوة عظيمة في الباطن حتى لو أرادوا إهلاك الخلق دفعة وإزالة الجبال والسماء بغتة لقدروا على ذلك.(٢)

٣- جعلهم أئمة حق،وسيأتي توضيح وبيان أخر لهذه النقطة.

٤- الوراثة لهم. وراثة الأرض تقتضي عمرانها وإدارتها تكوينا ، وتشريعا بالحكم فيها. وبالجملة ، يستفاد من هذه الآيات الشريفة أن للإنسان أن يزاول العمران و التصرفات التكوينية في الأرض ،

---

١ - سورة القصص:٥-٦

٢ - شرح أصول الكافي :٦/ ١٧٢

وكـذا الحكومـة فيهـا والقيـادة الاجتماعيـة بسـبب خلافتـه عـن الله تعـالى ووراثته للأرض(١)

٥- العلاقـة مـع فرعـون وهامـان.هنـاك نعمـة مـن الله عـلى الأقـوام المستضـعفة أن تكـون قويـة أمـام المتجـبرين والأقويـاء ومنهـا الأمـة المرحومة أمة محمد(ص).

والروايـات مـن طـرق الإماميـة كثـيرة(٢) ومشـهورة بـين الفـريقين في كـون الآيـة خاصـة بأئمـة أهـل البيـت عليهم السـلام وهـم الوارثـون لـلأرض، وإن كـان السـيد الطباطبـائي يقـول:(يظهـر أنهـا جميعا من قبيـل الجـري والانطبـاق)(٣) ، فهـي تجـري وتنطبـق عـلى أهـل البيت وخصوصا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

ويـرى آخـرون : أنـه إشـارة إلى حكومـة المهـدي(عـج)الـذي يخضـع لـه الشـرق والغـرب في العـالم ، ويجـري حكـم الحـق في عهـده في جميـع أرجـاء العـالم ، ويـزول الاضـطراب والخـوف والحـرب وتتحقـق للبشرية عبادة الله النقية من كل أنواع الشرك.

ولا ريـب في أن هـذه الآيـة تشـمل المسـلمين الأوائـل ، كـما أن حكومة المهـدي(عـج)مصـداق لهـا ، إذ يتفـق المسـلمون كافـة مـن شـيعة وسـنة عـلى أن المهـدي(عـج)يمـلأ الأرض عـدلا وقسـطا بعـد أن ملئـت جورا وظلما. ومع كل هذا لا مانع من تعميمها.

---

١ - دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية:٢ ٥٠

٢ - الكافي:١/ ٣٠٦ ؛ الأمالي- الصدوق:٥٦٦ ؛ كمال الدين وإتمام النعمة:٤٢٦ ؛ معاني الأخبار:٧٩؛دلائـل الإمامة:٤٥٠؛بحار الأنوار:٢٤/ ١٦٨/ ٢

٣ - الميزان في تفسير القرآن:١٢/ ١٢

وينتج من ذلك تثبيت أسس الإيمان والعمل الصالح بين المسلمين في كل عصر وزمان ، وأن لهم الغلبة والحكم ذا الأسس الثابتة.(١).

ثانياً- الوعد الإلهي :

قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (٢)

تحقق الوعد الإلهي بحكومة الأئمة المعصومين(ع) في آخر الزمان أمر موعود في يوم ما ،والله لا يخلف وعده الحق. ففي هذه الآية أقوال للمفسرين (٣) ونبين قول المتعلق بالبحث وهو خصوص التفسير بدولة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.فهي لا تخص مجموعة من المؤمنين، ولا الصحابة وإنما تشير إلى الوعد الإلهي بفرج الإمام عليه السلام ،(قيل : إنها في المهدي الموعود عليه السلام الذي تواترت الأخبار على أنه سيظهر فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وإن المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي والأئمة من أهل بيته عليهم السلام).(٤)

والرأي الراجح أنها تنطبق على الموعود المنتظر عجل الله تعالى فرجه فهو الذي تنطبق عليه صفات الإيمان والعمل الصالح وخليفة الأرض ، والمرضي عند الله ومن جحده أهل الفسوق ،(فالحق أن

---

١ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:١١/ ١٥١

٢ - سورة النور:٥٥

٣ - الميزان في تفسير القرآن:١٥/ ١٦٤

٤ - الميزان في تفسير القرآن:١٥/ ١٦٦

الآيـة إن أعطيـت حـق معناهـا لم تنطبـق إلا عـلى المجتمـع الموعـود الـذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام)(١).

ويؤيـد هـذا المعنـى مـا ورد في الأخبـار التـي بينـت أن الآيـة في أهل البيت وأنها في المهدي من آل محمد(ص).(٢)

روى العيـاشي بإسـناده عـن عـلي بـن الحسـين عليـه السـلام : أنـه قـرأ الآيـة وقـال :(هـم والله شـيعتنا أهـل البيـت يفعـل ذلـك بهـم علـى يـدي رجـل منـا ، وهـو مهـدي هـذه الأمـة ، وهـو الـذي قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم : لـو لـم يبـق مـن الـدنيا إلا يـوم لطـول الله ذلـك اليـوم حتـى يـأتي رجـل مـن عترتـي اسـمه اسـمي يمـلأ الأرض عـدلا وقسـطا كمـا ملئـت ظلمـا وجـورا وروي مثـل ذلـك عـن أبـي جعفـر وأبي عبد الله عليهما السلام).(٣)

وبـذلك وردت الأخبـار عـن أئمـة أهـل البيـت علـيهم السـلام(٤) مـع اخـتلاف سـندها وألفاظهـا ومتنهـا ومصـادر صـدورها من المعصومين عليهم السلام.

ثالثاً – في كل زمان إمام :

مـن المعـروف عقائـديا أن في كـل زمـان لـه حجـة وإمـام يحـتج الله بـه عـلى عبـاده،ويكون شـاهدا علـيهم يـوم القيامـة وتعـرض أعمالهـم الدنيويـة عليـه. وإمـام زماننـا هـو الحجـة المنتظـر عجل الله تعـالى فرجـه

---

١ – الميزان في تفسير القرآن:١٥/ ١٦٩؛ الغيبة – الطوسي:١١٠

٢ – مجمع البيان في تفسير القرآن:٧/ ١٥٢؛تفسير البرهان:٣/ ١٤٦ ؛ الاحتجاج:١/ ٣٨٢؛الإمام المهدي في القرآن:٣٠٨-٣١٢

٣ – تفسير العياشي:٢/ ١٣٦؛ كفاية الأثر:٥٦-٦١؛تفسير فرات:٢٨٩ح ٣٩٠؛شواهد التنزيل:١/ ٤١٢؛تفسير الصافي:٣/ ٤٤٣

٤ –الكـافي:١/ ١٩٣ح ٤؛ الغيبـة – الـنعماني:١٢٦؛ بحـار الأنـوار:٥١/ ٥٨؛تأويـل الآيـات الظاهرة/ ١/ ٣٦٩ح ٢٢ح ٢١؛تفسير القمي:١/ ١٤

في هـذا الزمـان الـذي يجـب معرفتـه والاعتقـاد بـه. قـال تعـالى :(يـوم نـدعو كـل أنـاس بإمـامهم فمـن أوتي كتابـه بيمينـه فأولئـك يقـرءون كتـابهم ولا يظلمـون فتـيلا ومـن كـان في هـذه أعمـى فهـو في الآخـرة أعمى وأضل سبيلا)(١)

فمعرفـة إمـام الحـق الـذي يجتبيـه الله لعبـاده في كـل زمـان لهدايـة الناس في عصره ويكـون حجـة علـيهم ، فمـن اعتقـد واقتـدى بـه يكـون كتابـه بيمينـه في يـوم القيامـة ومـن عمـي عنـه ولم يعـرف إمـام عصـره وأعرض عنه وإقتدى بغيره وأعرض عنه فهو في خيبة وخسران.

وهـذه الصـفات تنطبـق عـلى إمـام عصرـنا وزماننـا الـذي يكـون هاديـاً وشـاهداً ومعصـوماً ، وهـو موجـود ولكنّـه مغيـب ، وهـو مـا امتـازت بـه مدرسـة أهـل البيـت علـيهم السـلام وقـد ثبتـت غيبتـه الصغرى والكبرى.

ويؤكـد هـذا المعنـى الروايـات التـي دلـت عـلى وجـوب معرفتـه والدعاء له بالفرج وتسهيل ظهوره وتعجيل فرجه.

روي الكلينـي ، عـن الحسـين بـن محمـد ، عـن معـلى بـن محمـد ، عـن محمـد بـن جمهـور ، عـن صـفوان بـن يحيـى عـن محمـد بـن مـروان ، عن الفضيل بن يسـار قـال : سـألت أبـا عبـد الله عليـه السـلام عـن قـول الله تبارك و تعالى : [يوم ندعو كل أناس بإمامهم] (٢).

فقـال :(يـا فضـيل اعـرف إمامـك ، فإنـك إذا عرفـت إمامـك لم يضرك ، تقدم هذا الأمـر أو تـأخر ، ومـن عـرف إمامـه ثـم مـات قبـل ان يقوم صـاحب هـذا الأمـر ، كـان بمنزلـة مـن كـان قاعـدا في عسـكره ، لا

---

١ – سورة الإسراء:٧١-٧٢
٢ – سورة الإسراء:٧١

بل بمنزلة من قعد تحت لوائه ، قال : وقال بعض أصحابه : بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله).(١)

والروايات بهذا المعنى كثيرة جداً مع اختلاف متنها وسندها وألفاظها(٢).

رابعاً- الإمام عجل فرجه شاهد على الأمة :

تحدثت مجموعة من ظواهر الآيات الكريمة على كون الإمام شاهدا على الآمة، والشهادة ثبتت في الآيات لرسول(ص) يوم القيامة ،ولبعض الجوارح،يوم تشهد عليهم أيديهم والالسنتهم.

قال تعالى :(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)(٣)

فالخطاب للنبي(ص) هو شهيد على أمته، والأمم الأخرى ، وقاعدة كلامية بأن كل أمة شهيد والشهيد على أمة الإسلام في آخر الزمان المهدي الموعود.

وما زال الوحي يؤكد على كون الحساب يوم القيامة يحتاج إلى شاهد على الأمة وليس كل فرد واحد بعد واحد. وأما الأمم الكافر والشعوب الضالة فلا تحتاج لذلك لتحقق العقوبة عليهم.

قال تعالى : [ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون] (٤).

---

١ - الكافي:١/ ٣٧١ ح٢

٢ - الكافي:١/ ٣٧٢ ح٧؛ بحار الأنوار:٥٢/ ٣٥/ ١٤٢؛بصائر الدرجات :٥٣؛ مسند زيد :٤٩٥؛ إثبات الهداة:١/ ٨٩ ؛ الإمام المهدي في القرآن والسنة:٢٣٩؛ نصوص القرآن في أمناء الرحمن:٥١١-٥٤٦

٣ - سورة النساء:٤١

٤ - سورة النحل:٨٤

وما يصطفيه الله ويختاره من الشهيد هو من الأمة التي يعيش فيها ولكن يتميز بخصائص وميزات من العصمة والطهارة والعفة وما إليها من مؤهلات علمية ونفسيه وإيمانية. يمثل قمة في الكمالات الروحية.

ولذا حدد المراد من الشهيد بقوله تعالى : [يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين] (١)

يمثل الرسول(ص) والأئمة من أهل بيته الأطهار (عليهم السلام) فهم الشهداء على الخلق وخصوصا المؤمنين. وهذا هو الاعتقاد الحق والبرهان الناصح الذي لا افتراء فيه ولا ضلالة. قال تعالى :(نزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون)(٢)

وهناك أبحاث مفصلة في الشهيد وما هي صفاته في القرآن (٣) ويمكن أن نبين بعض تلك الصفات ونلخصها.

- وجود من يحتج الله به على العباد في كل زمان وهو إمام الزمان الشرعي ،ومن قومه.وهذا أمر مفروغ عنه.
- وفي عصرنا الحالي بعد عصر النبوة والصحابة والأئمة من بعدهم ،لإطلاق الآية بذلك وتشمل كل زمان ومنه زماننا.

---

١ – سورة النحل:٨٩

٢ – سورة القصص:٧٥

٣ – الميزان في تفسير القرآن:١١/ ٣٨٧؛ شواهد التنزيل:١/ ٤٠٠

- وهـو حـي مـع القـوم كـما ورد في قصـة عيسـى عليـه وعـلى نبينـا السلام.
- ولابد أن يكـون عنـده مـؤهلات علميـة وعنايـة ربانيـة يتميـز بهـا عن غيره من علم الكتاب والسنة الشريفة.
- ولا يشترط ظهـوره بـل وجـوده وتحقـق غيبتـه الظاهريـة لا يمنـع من كونه له فضل من الله ويعرف أعمال الأمة وتعرض عليه.
- ونضـيف أن الروايـات مـن طـرق الفـريقين نصـت عـلى اتصـاف الإمـام عـلي عليـه السـلام وأهـل بيتـه وأولاده الأئمـة علـيهم السـلام عـلى وجـود العلـوم عنـدهم بـل علـم الغيـب الـذي تعلمـوه مـن النبـي(ص) ومـن الـوحي ونقلـوه بأمانـة وصدق.(١)

فهـذه المواصـفات المـذكورة في الآيـات تنطبـق عـلى أئمـة أهـل البيـت علـيهم السـلام ، ولم توجـد في غـيرهم فانحصرـت بهـم. ومنهم الإمـام المهـدي المنتظـر عجـل الله تعـالى فرجـه ، وهـو الغائـب الموعود والذي قام بمهـام الإمامـة ، ومـا تقتضـيه الشـهادة عـلى أهـل زمانه المغيب ،فهو المقصود بالآيات الشريفة ، وحتمية وجوده.

خامساً – الأئمة يهدون للحق :

النبـي(ص) والإمـام مهمتـه هدايـة الخلـق إلى تعـاليم السـماء والعمـل بـما يقتضـيه أمـر السـماء ، هـو السـعادة الأبديـة ، والفـوز بـالخلود الأخـروي. وهـذه النقطـة أردنـا إيضـاحها وبيـان حقيقتهـا.

---

١ – أعلام الهداية : ٦٩:١٤

قال تعالى :(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)(١)

فالجعل والاعتبار الشرعي بالوصية من النبي(ص) إلى الأئمة الأطهار لهداية البشرية ، وإنقاذها من أيد الآخرين.

وقال تعالى :(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)(٢)

فمن ذرية إبراهيم النبي(ص) وأولاده الطيبين وهم معصومون من الخطأ والعصيان ومن الراسخين في العلم وأئمة حق.

وقال تعالى :(الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)(٣)

فالتأمل بظواهر الآيات الكريمة يعطي نسبت اعتبار الإمامة من الله لعباده مباشرة.وهذا الإمام يصدق على عدة مصاديق في القرآن الكريم من الأنبياء والكتب السماوية واللوح المحفوظ والأئمة من ذرية الرسول(ص).

ومن هنا فإن الإمامة عهد رباني للأشخاص توفرت فيهم المعاجز والكرامات ولديهم ينابيع العلوم من طريق الوحي الإلهي ومن ثبتت عصمتهم من الله. والإمام المهدي المنتظر عجل فرجه هو أحد هؤلاء الأئمة الطيبين.

---

١ – سورة الأنبياء:٧٣
٢ – سورة البقرة:١٢٣
٣ – سورة الفرقان:٧٤

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(قم- إيران)
- الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي (بيروت- لبنان)
- شواهد التنزيل الحاكم الحسكاني (ت : ق ٥) تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي(ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)
- أعلام الهداية الإمام المهدي المنتظر المجمع العلمي،قم، ط٥/ ١٤٣٠هـ)
- الكافي الشيخ الكليني(ت : ٣٢٩)تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري (الطبعة : الخامسة ، ١٣٦٣ش ، دار الكتب الإسلامية – طهران)
- بحار الأنوار، محمد تقي المجلسي(ت : ١١١١هـ) ، طهران- المكتبة الإسلامية.
- بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار(ت : ٢٩٠هـ)تصحيح وتعليق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي ، مطبعة الأحمدي – طهران ،١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش /
- الإمام المهدي(ع) في القرآن والسنة سعيد أبو معاش(ط :١٤٢٢هـ ،مشهد)
- شرح أصول الكافي مولي محمد صالح المازندراني(ت: ١٠٨١هـ) تحقيق : السيد علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي للطباعة ، بيروت ، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.
- أمالي الصدوق محمد بن علي (٣٨١هـ) (مطبعة الآداب- النجف)

- كمال الدين وإتمام النعمة الصدوق (ت:٣٨١هـ)(المطبعة الحيدرية ١٣٩٠هـ)

- معاني الأخبار ،الصدوق (ت:٣٨١هـ) (المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٠هـ)

- الغيبة ، محمد بن الحسن الطوسي(ت:٤٦٠هـ) (المطبعة الحيدرية- النجف)

- تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)(الطبعة : الأولى(١٤١٥هـ - ١٩٩٥م / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان)

- تفسير البرهان هاشم البحراني (بيروت- لبنان)

- الاحتجاج، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) (مشهد- المرتضى/ ١٤٠٣هـ)

- تفسير العياشي (ت:٣٢٠هـ) (المكتبة الإسلامية –طهران / ١٣٨٠هـ)

- تفسير فرات الكوفي (ت: ٣٥٢هـ) (ط ١/ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م/ مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – طهران)

- التفسير الصافي الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ) ، مؤسسة الهادي - قم المقدسة ، الطبعة : الثانية: ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش.

- تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي(ت : ن٣٢٩) السيد طيب الموسوي الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر- قم ، ط: الثالثة ، ١٤٠٤هـ.

الإمام المهدي (عج) في سورة النساء

د. صادق فوزي النجادي
د. عدنان كاظم مهدي شعبان

كلية الآداب / جامعة الكوفة

توطئة

ضمن الإسلام بمبادئه وقيمه وضعا فكريا يؤدي إلى تطور حالات الإنسان وتقدمه الحضاري، يرفع بمن امتلك قدرة الفكر وموهبة العلم إلى مناها المعرفة والأخذ بمضامينها، فكان التفاعل الفكري والعطاء العلمي سمة المجتمع الإسلامي وصفة الدعوة المحمدية التي بدلت أحوال البشر وأحدثت الثورة في حياة الشعوب التي آمنت بها وأنشدت الخلاص إليها.

نحن عندما نستعرض جوانباً وصوراً من هذا الواقع ـ بعد قرون عديدة ـ نهدف إلى كشف عوامل ذلك وعواقبه في مرحلة يتصاعد فيها وعي نشئنا المسلم وأجيالنا الواعية. ومن الأمور التي ثبتت واستقرت على أسسها، واحتفظت بملامحها الأصلية، وقاومت موجات العداء هي سيرة الأئمة الأطهار من أهل البيت (عليهم السلام) فظلت شخصياتهم الفذة مصادر إلهام تستمد من الأئمة العبر والدروس.

وقد واجه أتباع أهل البيت حملات ظالمة وموجات عنيفة تزعمها رجال مختلفون على مر الدهور وإن لم تكن مثل سياسية الحكام وموجات ظلمهم الممنهج ضد أهل البيت وأتباعهم أعني

بذلك العلماء الذين يرقون المنابر ويحاولون أن يفسدوا المجتمع بعدم وجود منقذ للبشرية ؛حيث أنهم يخالفون كتاب الله ورسوله ﷺ اللذان ركزا على الأحداث المهمة والتي تترتب عليها آثار وضعية تخص مصير البشرية وأهم هذه الآثار وجود المنقذ (الإمام الموعود) الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً.

هذا الإمام الذي اتفقت عليه كل المذاهب وأطلق على تسميته بـ (المهدي).وكان الاهتمام منصبا من قبل رسول الله ﷺ على قضية المهدي لكل من يطالع أحاديث النبي وأهل بيته مما جعل ابن حجر يقول :(والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة) (١) ، لكن التساؤل المطروح هنا لماذا لم يذكر اسم المهدي بصورة صريحة في الأحاديث أو القرآن الكريم ولعل ذلك عائد إلى :

أ- إتباع قاعدة كلموا الناس على قدر عقولهم فمن غير المعقول أن أتكلم بشيء لا يفهمه المتلقي ولا يتصوره فأئمة أهل البيت (عليهم السلام)يخاطبون الناس على قدر عقولهم ، كما هو المفروض في كل كلام بليغ ، فهم يأخذون المستوى العقلي والثقافي الإيماني لمجتمعهم بنظر الاعتبار حين يتحدثون(١).

ب- بساطة الحياة ونمطها وانعدام المفاهيم المصطلحات عند المتلقي مما يجعل الأمر صعباً على القرآن والنبي بأن ينقل إليهم أموراً غيبية متوقعة الحصول في أزمان قادمة فهم لا يعرفون عنها شيئا.

---

(١) الصواعق المحرقة : ٢/ ٢١١ .

(١) ينظر : موسوعة الإمام المهدي : ٢/ ١٣ - ١٤ .

وانطلاقاً من ذلك التساؤل وإجابته حاولنا استقراء وجود الإمام المهدي(عليه السلام) في النص القرآني من خلال سورة النساء موضحين ذلك بالدليل القاطع الذي لا يصل إليه الريب أو الشك.

فسورة النساء كلها مدنية باستثناء الآية (٥٨) منها وعدد آيها مائة وست وسبعون آية وتقع من حيث ترتيب النزول بعد سورة الممتحنة وهي أطول السور بعد سورة البقرة وسميت بسورة النساء لاحتوائها عل حديث مفصل حول أحكام المرأة وحقوقها وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية التي تنظم عقود الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين وهي تعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية وقد تحدثت السورة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والأسرة والدولة والمجتمع. وهناك من يسميها أو يطلق عليها سورة النساء الكبرى في مقابل سورة النساء الصغرى التي عرفت في القران بسورة الطلاق.

أما فضل تلاوتها فعن أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : من قرأها فكأنما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثا، وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً، وبريء من الشك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عندهم(٢). وفي بحثنا هذا سنتناول أربع آيات من هذه السورة المباركة للتدليل على الإمام المهدي (عج).

الآية الأولى :

---

(٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ١ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ٤٦ .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾

[النساء/ ٥٩]

ولننظر إلى هذه الآية التي تتحدث عن مسألة قيادة المجتمع الإسلامي وتعيين القادة للأمة الإسلامية.فقد ابتدأت بيا(أيها الذين آمنوا)وليس بيا أيها الناس فالكلام موجه إلى المؤمنين حصراً إذ إن حيثية الطاعة لله ورسوله نشأت من الإيمان بالله وبالرسول إذ لا يكلف الله أحداً أن يفعل فعلاً إلا إذا كان قد آمن به مكلفا، أما من لا يؤمن به فهو لا يقول له أفعل كذا.وأفرد الأمر بطاعة الرسول وإن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله مبالغة في البيان وقطعاً لتوهم من توهم أنه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر.

وذكر الطبرسي نقلا عن الكلبي أن معنى الآية(أطيعوا الله)في الفرائض و(أطيعوا الرسول)في السنن(١)، فأمر الطاعة مقسم على ثلاثة أركان الأول : إطاعة الله في أمرنا به وفيما نهانا عنه. والثاني إطاعة الرسول وهو النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والثالث إطاعة أولي الأمر القائمين على حفظ بيضة الإسلام والذين يحفظون للناس أمر دينهم ودنياهم.

ويلحظ أن الأمر بطاعة أولي الأمر قد جاء بالعطف على المطاع دون أمرٍ بالطاعة مما يدل على أن طاعة ولي الأمر ملزمة إن

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ١ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ٤٦

كانت من بطن طاعة الله وطاعة رسوله، وفي ذلك عصمة للمجتمع الإسلامي من الحكام المستبدين الذين يقولون إنهم أولي الأمر ويدعون إلى طاعتهم الواجبة من قبل الله سبحانه وتعالى. وفي هذا دليل على عدم استحقاق أكثر الذين حكموا الأمة الإسلامية لأن طاعتهم غير مقرونة بطاعة الله ورسوله.

ثم لننظر من هم أولي الأمر وقد الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الحديث عنهم إذ يقول : ثمة كلام كثير بين المفسرين في المقصود من أولي الأمر في هذه الآية، ويمكن تلخيص أوجه النظر في هذا المجال فيما يأتي :

١ - ذهب جماعة من المفسرين من أهل السنة إلى أن المراد من أولي الأمر هم الأمراء والحكام في كل زمان ومكان. وهذا لا يجوز لأنه لا يتناسب مع روح التعاليم الإسلامية إذ قد يكون الحاكم ظالما أو فاسداً.

٢ - ذهب البعض من المفسرين من أمثال السيد قطب إلى أن المراد من منهم ممثلوا كافة الطبقات من حكام وقادة وعلماء وأصحاب مناصب. وهذا لا يجوز لأنه لا يناسب إطلاق الآية الكريمة.

٣- القادة المعنويون والفكريون أي العلماء والمفكرون العدول العارفون بمحتويات الكتاب والسنة. وهذا لا يجوز إذ قد يكون القادة ممن يرتكبون الخطأ ويعملون بخلاف الكتاب والسنة.

٤ - الخلفاء الأربعة الذين شغلوا الخلافة بعد استشهاد الرسولﷺ وهذا غير ممكن لأن النص القرآني يطلق الحكم في كل وقت وزمان

ولا يحصره على فترة زمنية معينة وكذلك الحال في التفسير الخامس والسادس

٥- صحابة الرسول ممن انتهجوا نهجه.

٦- القادة العسكريون المسلمون وأمراء الجيش.

٧- الأئمة المعصومون (عليهم السلام) الذين أنيطت إليهم قيادة الأمة الإسلامية باتفاق علماء الشيعة كلهم وهذا هو المراد من الآية إذ إنهم خلفاء الله في أرضه ومقام العصمة تمنعهم من كل معصية وخطأ وبهذا يكون أمرهم مثل أمر رسول(ﷺ) واجب الطاعة دون قيد أو شرط ويوضع في مستوى طاعة الله عز وجل لأنهم الأدلاء عليه(١).

وقد أقر الفخر الرازي بهذه النتيجة حيث يقول : من يكون معصوماً ((إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابد أن يكون معصوما من الخطأ، إذ لو لم يكن معصوما عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهيا عنه، فهذا يفضي- إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما عن الخطأ))(٢).

وأثار الشيخ الشيرازي تساؤلاً مهما على هذا التفسير وذلك أن كلمة أولي الأمر إن كانت تدل على أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وهي صيغة مبالغة فإن في كل عصر إمام واحد لا أكثر

---

(١) ينظر : والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ١٧٥ -١٧٦ .
(٢) التفسير الكبير ١٠/ ١٤٤ .

وهـذا لا يتناسـب مـع الصـيغة. لقـد ورد هـذا الإشـكال بـالقول إن الإمـام المعصـوم وإن كـان في كـل عصر ـ شخصـا واحـدا لا أكثـر إلا أن الأئمـة المتعـددين في العصـور المختلفـة يشـكلون جماعـة، فالأئمـة (علـيهم السـلام) يمثلـون وحـدة هـدف وتعـداد دوار والآيـة المباركـة لا تحدد وظيفة الناس في عصر واحد(٣).

وقـد روى الإمـام البـاقر والصـادق(علـيهما السـلام) أن أولي الأمـر هـم الأئمـة مـن آل محمـد أوجـب الله طـاعتهم بـالإطلاق كـما أوجب طاعتـه وطاعـة رسـوله ولا يجـوز أن يوجـب الله طاعـة أحـد عـلى الإطـلاق إلا مـن ثبتـت عصـمته وعلـم أن باطنـه كظـاهره وآمـن منـه الغلط والأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأمراء والعلماء(٤).

وقـد وردت في المصـادر الإسـلامية مـا يؤيـد مـا ذهبنـا إليـه مـن أن المـراد بـأولي الأمـر هـم الأئمـة الهـادون ومنهـا ماجـاء في البحـر المحـيط لأبي حيـان الأندلـسي في تفسـيره لهـذه الآيـة إذ يقـول : ((إن هـذه الآيـة نزلـت في حـق عـلي عليه السلام وأهـل بيتـه))(٥). وذكـر الشـيخ سـليمان الحنفـي أن هـذه الآيـة نزلـت في أمـير المـؤمنين عـلي عليه السلام (٦). وروى أبـو بكـر بـن مـؤمن الشـيرازي عـن ابـن عبـاس ((أن الآيـة نزلـت في عـلي عليه السلام عنـدما خلّفـه الرسـول صلى الله عليه وآله في المدينـة في غـزوة تبـوك فقـال عـلي عليه السلام: يارسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ١٧٩ .
(٤) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ٦٤ .
(٥) البحر المحيط : ٣/ ٤٢٥
(٦) ينظر : ينابيع المودة : ١٣٤ .

ترضى بأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال : اخلفني في قومي وأصلح فقال عز وجل وأولي الأمر منكم))(١).

وروى العلامة البحراني عن العالم الشافعي إبراهيم بن محمد بإسناده المذكور قال: ((عن سليم بن قيس الهلالي في حديث المناشدة أن عليا ناشد أكثر من مائتي رجل من الأصحاب والتابعين في أيام عثمان بن عفان فقال فيما قال لهم : أنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فقال الناس يا رسول الطاعة خاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم ؟ فأمر الله رسوله أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية مافسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم إذ قال لهم ﷺ : هم علي أخي ، ووزيري، ووارثي ، ووصي، وخليفتي في أمتي ، وولي كل مؤمن بعدي ، ثم ابني الحسن والحسين ، ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحداً بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن ، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا علي الحوض فقالوا كلهم : نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء))(٢).

وعليه فالمقصود من أولي الأمر الأئمة المعصومون وآخرهم المهدي المنتظر (عج) فهذه إشارة إلى ذكره في الآية وإن طاعته مفروضة على الخلق مطلقا ومقرونة بطاعته الله ورسوله ﷺ.

الآية الثانية

---

(١) ينظر : إحقاق الحق : ٣/ ٤٢٥ .

(٢) فرائد السمطين : ١/ ٣١٢ ، وينظر: ينابيع المودة : ١٣٦-١٣٧ ، وتفسير البرهان : ١/ ١٢٠ .

قال تعالى:﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء / ٦٩].

فقيل في سبب نزولها ((أن أحد الصحابة يدعى ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب للنبي ﷺ قليل الصبر عنه فآتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال له النبي ﷺ : يا ثوبان ما غير لونك ؟ فقال : يا رسول الله ما من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك حتى ألقاك. ثم ذكرت الآخرة فأخاف أني لا أراك ، وأني إن أُدخلتُ الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة فذاك حتى لا أراك أبداً. فنزلت هذه الآية ، ثم أن النبي(ﷺ) قال : والذي نفسي ـ بيده لا يؤمنن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين))(٣).

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن الرسول معطوف على الحق بدون تكرير الفعل (يطع) أي أن الأمر واحد قول من الله وتطبيق من الرسول لأنه القدوة والأسوة. والآية جاءت خاصة بثوبان ؛ لكن الأمر لا يقتصر عليه بل أنعم الله على أربع طوائف هي :

١ ـ الأنبياء : أي الرسل والقادة في سبيل نشر الدعوة الإلهية.

٢ ـ الصادقون: وهم الذين يصدقون في الفعل والقول بما أمرهم الله به.

---

(٣) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ١٩١ ومجمع البيان ٢/ ٧٢ .

٣ ـ الشهداء : وهم الذين حاربوا في سبيل نشر الإسلام والتعاليم والعقيدة واستشهدوا من أجل رفعة الحق.

٤ ـ الصالحون : وهم الذين بلغت أعمالهم الصالحة لدرجة تجعلهم في مراتب متقدمة وعالية من مقامات الأئمة والمعصومين والأنبياء.

ولهذا نجد علماء الشيعة ذهبوا إلى تفسير الآية على أنها نزلت بالصفوة المختارة من أصحاب الأئمة (عليهم السلام). وأشار الشيخ ناصر مكارم إلى نقطة جديرة بالاهتمام وهي أن هذه المراحل الأربع يمكن أن تكون إشارة إلى أنه لابد لبناء المجتمع الصالح السليم من أن يبدأ بالأنبياء وهم القادة والهداة بحق الهداية ،ثم يتبعهم المبلغون الصادقون بالقول والفعل ، وهم الصادقون الذين يصدق عملهم قولهم وفعلهم دعواهم فينشروا الحقائق في كل مكان. ثم بعد مرحلة البناء الفكري و الاعتقادي يقوم جماعة في وجه العناصر الفاسدة ومن يريدون الوقوف في طريق الحق ، فيضحون بأنفسهم ويقدمون أجسادهم وحياتهم قرابين للحق والعدل فيكون حاصل هذه الجهود والمساعي ظهور الصالحين واستقرار المجتمع الطاهر السليم(١).

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ((يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فالنبي رسول الله ﷺ ونحن الصدّيقون والشهداء وأنتم الصالحون فاتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى(٢). وفُسِّرَ الصدّيق في بعض الروايات والأخبار

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ١٩٣ .
(٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ٧٥ .

بعلي عليه السلام والأئمة من أهل بيت النبوة. والصدّيق كما هو معروف صيغة مبالغة وهي بمعنى الصادق. أي ومن يعمل بما أمره الله به ورسوله ويجتنب ما نهى الله عنه ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته في دار الخلد مع المقربين من الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين أي مع أصحاب المنازل العالية في الآخرة(٣).

وقد أخرج الحافظ الحسكاني الحنفي بقوله : ((أخبرنا أبو العباس الفرغاني بسنده المذكور عن حذيفة بن اليمان قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وقد نزلت عليه هذه الآية فأقرأنيها فقلت يا نبي الله فداك أبي وأمي من هؤلاء؟. إني أجد الله بهم حفيا. قال صلى الله عليه وآله (يا حذيفة أنا من النبيين) الذين أنعم الله عليهم، أولهم في النبوة وآخرهم في البعث، ومن (الصدّيقين) علي بن أبي طالب، ولما بعثني إليه عز وجل برسالته كان أول من صدّق بي، ثم من (الشهداء) حمزة وجعفر ومن (الصالحين) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة و(حسن أولئك رفيقا) المهدي في زمانه))(١).

أي ونعمت رفقة هؤلاء وصحبتهم، ففي عهد الرجعة (رجعة الإمام المهدي) فإنهم يجتمعون معه وتكون الدنيا مؤلفة بهم من خيرة الصالحين والأولياء والرفق هو إدخال اليسر ـ والأنس والراحة. ويكون الإنسان الذي أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وآله بصحبة الإمام المهدي (عج) مصدقا به مستشهدا بين يديه صالحا في عمله وقوله.

---

(٣) ينظر : صفوة التفاسير : ١/ ٢٦٣ .

(١) شواهد التنزيل : ١/ ١٥٥ .

فهـذه الطاعـة والمحبـة لله ورسـوله هـي مـن يسـعى إليهـا العبـد بقولـه اللهم اجعلني من من أنصاره وأعوانه.

الآية الثالثة :

قـال تعـالى: ﴿ وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْـرِ مِـنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

سورة النساء / ٨٣.

فـالله عـز وجـل حـذر مـن النفـاق والمنـافقين وأوحـى بطاعـة الله ورسوله وذكر مواقف المنـافقين المخزيـة فـإذا مـا جـاءهم خـبر خـبر عـن المـؤمنين بـالظفر والغنيمـة أو النكبـة والهزيمـة أفشـوه وأظهـروه وتحـدثوا بـه قبـل أن يقفـوا عـلى حقيقتـه إذ ربـما يكـون فيـه مفسـدة عـلى المسـلمين ولـوترك هـؤلاء المنـافقون ذلـك الكـلام وردّوه إلى الرسـول(ﷺ) وإلى مـن ارتضـى الرسـول(ﷺ) عنـه. وهـذا مـا حصـل في غـزوة الفـتح إذ أمـر الرسـول المسـلمين بـالتجهيز لغـزوة مكـة حتـى إذا ما أبصر أهـل مكـة أن الرسـول(ﷺ) جـاء لهـم بجنـود لا قبـل لهـم بهـا، يستسلمون فلا يحـاربون وذلـك رحمـة بهـم. وكـان حاطـب بـن أبي بلتعـة قد سـمع بهـذه الحكايـة فكتـب كتابـا إلى قـريش بمكـة يعلمهـم بـالغزوة فأخذتـه امـرأة وركبـت بعيرهـا إلى مكـة، فعلـم رسـول الله وبعـث عـلي بـن أبي طالـب خلفهـا ليأخـذ منهـا الكتـاب فوصـل إليهـا فطالبهـا بـه فـأنكرت وجـوده معهـا فاسـتخرجه الإمـام(عليه السلام) مـن عقائصـها أي من – ظفائر شعرها –.

وعـلى أي حـال فـإن مـن واجـب أي مسـلم أن يوصـل الأخبـار إلى الرسـول(ﷺ) أولا وإلى مـن يحـددهم رسـول الله الـذين لهـم الفضـل فـيما يقـال ومـا لا يقـال لعلمـه بالـذين يسـتنبطونه مـنهم. والاسـتنباط

مأخوذ من النبط وهو ظهور الشيء بعد خفائه واستنبط أي استخرج الماء مجتهدا في ذلك والنبط هو أول مياه تخرج عند حفر البئر فنقلت الكلمة من المحسّات في الماء إلى المعنويات في الأخبار. وعليه فالاستنباط استخراج الحقيقة من الأدلة والشواهد والوثائق سواء كانت العملية في الفقه أم في سائر فروع العلم.

والسؤال المطروح من هم أولي الأمر في الآية والمراد بهم المحيطون بالأمور والقادرون على أن يوضحوا للناس ما كان حقيقيا منها وما كان إشاعة غير صحيحة ولا ينطبق الأمر إلا على رسول الله(ﷺ) وعلى خلفائه من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وقد روي عن الإمام الباقر(عليه السلام) في تفسيره لهذه الآية قائلا هم الأئمة المعصومون(١). وقد روى الحافظ القندوزي الحنفي بإسناده عن ابن معاوية عن محمد الباقر(عليه السلام) أنه قال: في الآية مدار البحث أن أمر الناس قد رد إلى أولي الأمر منهم الذين أمر الناس بطاعتهم وبالرد إليهم. وروي عن الصادق(عليه السلام) في تفسير كلمة أولي الأمر أنه قال في حديث ((فكان علي، ثم صار من بعده حسن، ثم حسين، ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، وهكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام))(٢). ثم أنظر إلى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لولا إيصال مواد الألطاف من جهة الله. واختلف في فضل الله ورحمته فقيل إن فضل الله الإسلام ورحمته القرآن. وعن ابن عباس قيل فضل الله النبي

---

(١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ٨٢ وتفسير : نور الثقلين : ٣/ ٢١٠ .
(٢) ينظر : الدر المنثور : ٦/ ٥٠ .

ورحمته القرآن عن الضحاك والمسدي. وقيل: إن فضل الله ورحمته علي بن أبي طالب عن أبي جعفر وأبي عبد الله(عليهما السلام)(٣).

وأثار الشيخ ناصر مكارم الشيرازي تساؤل مهم على من يعترض على أن تفسير (أولي الأمر)هم الأطهار بقوله إن الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) لم يكونوا موجودين في زمن نزول هذه الآية ولم يتعين أحد منهم في ذلك الوقت بمنصب الإمامة أو الولاية ، فكيف يمكن القول بأنهم هم المعنيون في هذه الآية ؟.

والجواب على هذا الاعتراض من قبيل إن هذه الآية مثل سائر الآيات القرآنية الأخرى، لا تقتصر على زمن الرسولﷺفقط ؛ بل يشمل كل الأزمنة والقرون التالية لمواجهة الإشاعات يبثها الأعداء أو البسطاء من المسلمين بين الأمة(٤). وبذلك يكون من الواجب أن نرد أي أمر إلى الإمام المهدي (عج) وأن نعرض عليه الأشياء فهو موجود بيننا فالأرض لا تصلح إلا بإمام موجود فتكون من معطيات هذه الآية أن أولي الأمر يشمل أهل البيت(عليهم السلام) وآخرهم الإمام المهدي.

الآية الرابعة:

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء / ١٥٩.

و(إن)هنا نافية وليست شرطية فمعنى قوله تعالى ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن به قبل موته وهذا شرح لمعنى إن النافية. ورب قائل يقول ما حكاية الضمائر في هذه الآية ؟ فالآية بها أكثر من

---

(٣) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ٨٢ .
(٤) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣/ ٢١٢ .

ضمير وعلى ما يعود الضمير في (به) وعلى ما يعود الضمير في (موته) وهل يعود على موت نبي الله عيسى أو موت أي واحد من أهل الكتاب. فالمذكور عيسى وكذلك أهل الكتاب فيصح حينئذ أن يكون المعنى : لن يموت واحد من أهل الكتاب إلا بعد أن يؤمن بنبي الله عيسى عليه السلام، ويصح أيضا أن يكون المعنى : لن يموت عيسى إلا بعد أن يؤمن به كل واحد من أهل الكتاب. ولأن الضمير لا يعرف إلا بمرجعه، والمرجع يبين الضمير فإن كانت هناك ألفاظ سبقت فكل منها يصح أن يكون مرجعا ؛ أو أن يعود الضمير على بعض مرجعه.

والآية التي نحن بصددها ، نجد أنه قد تقدم فيها شيئان هما المسيح عيسى وأهل الكتاب أو فيهما ضميران اثنان ، فهل يعود الضميران على عيسى عليه السلام أو يعودا على أهل الكتاب ؟ أو يعود ضمير منهما على عيسى والآخر على أهل الكتاب ؟ وأي منهما الذي يرجع عل عيسى، وأي منهما الذي يرجع على أهل الكتاب ؟ ، أو أن هناك مرجعا ثالثا لم يذكر ويعلم من السياق هو الإمام المهدي (عج) ونجد أن الضميرين قد يرجعان إلى المرجع الثالث أي إلى الإمام المهدي(عج) الذي تواترت الأحاديث من أن عيسى يوشك أن ينزل فيكسر الصليب ويصلي خلف واحد من أحفاد رسول الله ﷺ ألا وهو الإمام المهدي(عج). ولنبين ذلك فقد ذكر الشيخ الطبرسي ثلاثة أقوال في تفسير هذه الآية نبيّنها بصورة مجملة :

١ - أن كلا الضميرين يعودان إلى المسيح أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا ويؤمن بالمسيح قبل موت

المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الإسلام.

٢- أن الضمير في (به) يعود إلى المسيح والضمير في (موته) يعود إلى الكتابي ومعناه لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا ويؤمن بعيسى قبل موته إذا زال تكليفه وتحقق الموت ؛ ولكن لا ينفعه الإيمان حينئذ وإنما ذكر اليهود والنصارى لأن جميعهم مبطلون اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في أمره.

٣- أن يكون المعنى ليؤمنن بمحمدﷺ قبل موت الكتابي وقد أضعف الطبري هذا الوجه بأن قال : لو كان ذلك صحيحا لما جاز إجراء أحكام الكفار عليهم إذا ماتوا وهذا لا يصح لأن إيمانهم بمحمدﷺإنما يكون في حال زوال التكليف فلا يعتد به وإنما ضعّف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنبيناﷺهاهنا ولا ضرورة توجب رد الكناية إليه وقد جرى ذكرى عيسى فالأولى أن يصرف ذلك إليه(١).

وقد نقلت هذه الفكرة عن عكرمة ورواه بعض الشيعة وربما التبس فأهل الكتاب إنما يؤمنون بالإمام المهدي الذي اسمه كاسم جده محمد ﷺ.

وعليه فالآية تؤكد أن أي إنسان يمكن أن لا يعد من أهل الكتاب ما لم يؤمن قبل موته بالمسيح عيسىعليه السلامفالضمير في (قبل موته) في هذا التفسير يعود لأهل الكتاب. في حين لو كان التفسير أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بعيسى قبل موته ، فالنصارى يتخلون

---

(١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ١٣٧ .

عن فكرة الربوبية بعيسى عليه السلام واليهود يؤمنون بنبوته ويحدث هذا عند نزول النبي عيسى عليه السلام من السماء عند ظهور الإمام المهدي(عج) ويعلن انضمامه إلى الإسلام ؛ لأن ما جاء به عيسى عليه السلام يعد منسوخا بنزول الإسلام بعده ، وبناءً هذا على التفسير فإن الضمير في (قبل موته) يعود إلى المسيح عليه السلام.

وقد نقلت كتب الصحاح والحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله :((كيف بكم إذا فيكم ابن مريم وإمامكم منكم))(١). أي الإمام المهدي(عج). وقد نقل عن شهر بن حوشب أن الحجاج ذكر يوماً أن هناك آية في القرآن قد أتعبته كثيراً وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله إني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يحمل ولا أجد أثراً لمثل هذا الإيمان.ففسر شهر بن حوشب له الآية وقال ليست على ما فسرت وإنما تفسيرها أن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ولا يبقى أهل ملة ـــ يهودي أم نصراني أو غيره ـــ إلا وآمن به قبل موت عيسى ويصلي خلف المهدي ، قال الحجاج : ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به ، قال شهر حدثني به الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(صلوات الله عليهم) قال الحجاج : جئت والله بها من عين صافية(٢).

---

(١) ينظر : مسند أحمد وصحيح مسلم : ٨/ ١٩٥ .
(٢) ينظر : تفسير البرهان :١/ ٤٢٦ .

أي أن كل أهل الكتاب وبضمنهم عيسى عليه السلام قبل موته يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله عن طريق حفيده الإمام المهدي(عج) وتصبح ملة الإسلام هي الملة الوحيدة في الكون.

وقد روى الحافظ القندوزي بإسناده قال :عن محمد الباقر عليه السلام في تفسيره لهذه الآية أنه قال : إن عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة إلا _ يهودي ولاغيره _ إلا آمنوا به قبل موتهم ويصلي عيسى خلف المهدي(٣). وكذلك جاء ما يقارب هذا الكلام عن ابن الصباغ وغيره(٤).

وعليه فإن الضمير في قوله تعالى :(ليؤمن به) عائد في التأويل إلى الإمام المهدي والضمير في قوله تعالى :(قبل موته) يعود على كل فرد من أهل الكتاب وبضمنهم نبي الله عيسى عليه السلام والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. يعني أن عيسى يشهد للأمام(عج) بالتسليم وأنه قد بلغ رسالات ربه ويقر نفسه بالعبودية وأنه لم يدعهم إلى أن يتخذوه إلهاً ويبلغهم بأن الإمام المهدي(عج) إمام العصر ـ ومكلف من قبل الله وعز وجل. فهو شاهد عليهم.

الخاتمة

إن قضية الإمام المهدي(عج)تتأثر باهتمام المسلمين والعالم أكثر فأكثر ،وقد لوحظ في الأخبار الدالة عليه مجيئها بطريقة لم يألفها الناس من قبل ، إذ ربما كانت صعبة وغير مفهومة عند الكثير منهم ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتماد أغلب الأحاديث الواردة

---

(٣) ينابيع المودة : ٥٠٦ .
(٤) ينظر : الفصول المهمة : الباب ١٢ .

بشأنه على الرموز والإشارات إليه دون تسميته بصورة صريحة، ففكرة ظهور المصلح في آخر الزمان هي فكرة إنسانية غير مختصة بالمسلمين بل يوجد عند المسيحين واليهود. وقد توصل البحث إلى نتائج نوجزها بالتالي:

١ـ يجب اعتماد المنهج الاستشعاري فضلا عن تحريك العقل والفكر من خلال الشعور والتعايش مع الإمام المهدي(عج)تعايشا مستمراً كأنه موجود بيننا.

٢ ـ التقية التي عاشها الأئمة الأطهار جعلتهم يقصدون التورية والكناية في أحاديثهم لجعلها تحتمل أكثر من معنى واحد مما يدفع الخطر عن الإمام المهدي(عج)وعليه فإن رمزية تلك الأحاديث والآيات فيه نوع من توفير الحماية والأمن للإمام من جانب والتمويه على الكفار والذين لا يريدون نور الله من جانب آخر.

٣ـ إن القرآن الكريم هو مصدر معرفة الأحكام والقصص والأحاديث والسير فقد أولى عناية كبيرة بكل التفاصيل وهذا يملي علينا الرجوع إليه كمصدر أول لمعرفة ما نريد أن نعرفه من تفاصيل حول الإمام المهدي(عج)والأحداث التي ستحصل في زمانه فالقرآن لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها.

٤ ـ الإمام المهدي(عج)عدل القران الكريم وبما أن القرآن نزل تبيانا لكل شيء وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين فإن هذه الصفات تنقل إلى الإمام المهدي(عج)فهو الذي يبين الحق من الباطل ويوضح تعاليم الإسلام ويهدي الناس إلى الصراط المستقيم ويكون رحمة لمن اتبعه وآمن به مرسلا من قبل الله.

المصادر والمراجع

١ - القران الكريم

٢ - الأمثل في كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣- إحقاق الحق : برهان الدين بن أحمد البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٥٨م.

٤ - البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي، الناشر مكتبة وطابع النصر الحديثة، الرياض.

٥ - تفسير البرهان : السيد هاشم البحراني، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة، إيران.

٦ - التفسير الكبير للرازي (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٧- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي العروسي، المطبعة العلمية، قم، ط٢، ١٣٨٣ هـ.

٨- تفسير الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، مطبعة بهشتي، إيران.

٩ - شواهد التنزيل، الحافظ الحسكاني الحنفي، المكتبة الإسلامية، طهران.

١٠ - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مطبعة محمد صبيح، القاهرة، مصر، د. ت.

١١ - صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧ م.

١٢- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٣- فرائد السمطين، فاضل الغرائي، مطبعة الغري، النجف الأشرف، ١٩٨٦م.

١٤- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، دار العلوم الإنسانية، دمشق، سوريا، د. ت

١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

١٦- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ت.

١٧- موسوعة الإمام المهدي، السيد محمد الصدر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

١٨- ينابيع المودة، القندوزي الحنفي سليمان بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.

الإمام المهدي(عج)وعلامات الظهور

د.سلوى خضير بوهان القريشي

كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل للناس علامات ، وبالنجم هم يهتدون ، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ليخرجهم من ظلمات الغي والعمى إلى نوره الذي به يستضيئون ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي الأكرم الذي ختم به الأنبياء والمرسلون الذي لولاه لما كانت سماوات في الوجود ولا أرضون ، وعلى صفيه ووليه أمير المؤمنين(عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم)، وعلى أهل بيته سفن النجاة وسر الحياة والمهات ، والأنوار التي يهتدي بها السالكون سيما قطب دائرة الوجود ، مهديهم الحجة بن الحسن العسكري الذي به ينجو المنتظرون.

وبعد : فلا يختلف اثنان في أن فكرة المهدي والمصلح شغلت حيزا مهما من أفكار عموم الناس على مر التاريخ ، وبقي حلما ورديا يداعب مخيلتهم حتى أشرقت الشمس الأحمدية ، ونشرت أشعة الإسلام الذهبية على أرجاء المعمورة ، فانقشعت سحب الظلام التي خيمت ردحا من الزمن على العقول بما نشرته من قيم إلهية

سامية ، ومبادئ أصيلة أزالت الباطل ومحقته ، وأشاعت الحق وأحقته ، وأحالت الخيال والوهم إلى محسوس وملموس ، ومنها فكرة المهدي المصلح ، حيث بين رسول الله ﷺ في مناسبات جمة عبر عدد من الأحاديث الشريفة والنصوص المنيفة خلفاءه وعددهم ، وأنهم اثنا عشر ـ إماما ، وأن خاتمهم هو الإمام المعصوم المهدي ابن الإمام الحسن العسكري(صلوات الله عليهم)، وأكد عليه الأئمة المعصومون(عليهم السلام)من بعده ، وبينوا أن حياة الإمام المهدي(ع)ستمتاز بغيبتين : الأولى،وهي الصغرى ، والثانية ، وهي الكبرى ، التي ستمتد زمنا طويلا حتى يأذن الله له بالظهور ثانية لنشر الرسالة المحمدية الحقة ، كما أراد الله سبحانه وتعالى حيث قال :(هو الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله...).

إذ يستفاد من كلام الله المجيد ، وكذا أحاديث رسوله ﷺ والأئمة المعصومين من آله(عليهم السلام)أن الناس سينقلبون على أعقابهم بعد شهادة الرسول (ص) إلا من رحم الله ، قال تعالى :(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)، وإنهم سيتركون كتاب الله وراء ظهورهم ، وأيضا عدله أي الثقل الآخر ، وهم عترة الرسول ﷺ في حديثه المشهور حد التواتر المعروف بحديث الثقلين :(كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)(١).

---

(١) سنن الترمذي : ٥/ ٣٢٨ ، مسند أحمد بن حنبل : ٥/ ١٨٩ ، سنن النسائي : ٥/ ١٣٨ .

وصفوة القول أن انحرافاً خطيراً سيطول المجتمع الإسلامي يضعضع أركان الغيبة وأن انتكاسة كبيرة ستصيب الفكر الإسلامي تضعف أسسه الوليدة ، وستهتز من جرائه ذات العقيدة الإسلامية ، ويتزلزل أصلا مهما من أصولها سببه ومنشأه التهاون بكلام الله تعالى ووصايا رسوله التي أمره الله بها لاسيما أمر وصيه ووزيره وخليفته والأئمة من بعده ، وأن ذلك الانحراف سوف يصلحه الله بعد حين على يدي ذلك الإمام الثاني عشر ـ المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)بعد أن تكمل أيامه ، وبعد أن تسبقه جملة من العلامات بينها رسول الله ﷺ وذكرها الأئمة (عليهم السلام) من بعده لتتم الحجة على الناس ، ويحيى من حي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة ، وليميز الله الخبيث من الطيب ، وليعلمُن الله الذين صدقوا ، وليعلمُن الكاذبين.

وبناء على ذلك فقد صار لزاما على كل مسلم أن يطلع على تلك العلامات ، وحريا به معرفتها وصولا ليعيش حالة الانتظار التي حث عليها خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين ﷺلما لها من أثر بالغ في إدامة وتقوية علاقة المسلم بالله ورسوله وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، وخلق أرضية صلبة أصيلة يقيم عليها إيمانه الحق لمواجهة التحديات المناوئة ، وعواصف التيارات المنحرفة في عصر ـ الغيبة ، وفي ذلك لطف من الله تعالى كبير لعباده ، فقد روي عن الإمام علي ابن الحسين (ع)قوله(من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله عز وجل أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد)(١).

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة : ١/ ٣٢٣ ، ميزان الحكمة : ٢/ ١٤٨٨ .

أضف إلى ذلك فان معرفة علامات الظهور تهيب بالإنسان المسلم أن يهيئ نفسه ، ويهذب خلقه ، ويقوم سلوكه ، ويصقل روحه ، ليكون بمستوى المسؤولية والمواجهة بالشكل الذي يؤهله أن يحمل صفة المنتظر لإمام زمانه الذاب عن رايته والقاتل بين يديه ، وهذا لا يلقاه إلا ذو حظ عظيم قد حارب هوى نفسه ، وعمل بما أراد الله تعالى ، والتزم بأحاديث الرسول وأهل البيت (صلوات الله عليهم)ناهيك عن أن معرفة تلك العلامات يتضمن وجوب معرفة الإمام ، وفي ذلك ضرورة إيمانية ملحة لإكمال العقيدة الإسلامية ، والحفاظ على سلامتها ، فقد روي ﷺعنه قوله :(من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)(٢) ؛ ولأجل هذا فقد اهتم المسلمون بهذا الأمر مذ نطق به رسول اللهﷺيوم كان بين ظهرانيهم ، وتداولوه وتدارسوه ، وسألوا رسول الله عنه ، وكذا من جاء بعده من الأئمة(عليهم السلام). وما قوله (عج) في كتابه للمؤمنين :(فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ، ويتخذ ما يدينه من كراهتنا وسخطنا)(٣) ، إلا دليل واضح على اهتمامهم (صلوات الله عليهم)بهذا الأمر أيضا لعلمهم بجلاله ، وحرصهم على توجيه وإرشاد المؤمنين ، وتسديدهم لبلوغ الصراط المستقيم .

وقد استمر اهتمام المسلمين في العصور المختلفة بعلامات الظهور ، وكتبوها وتابعوها ولو على نطاق محدودة وأفردوا لها

---

(٢) الكافي : ١/ ٣٧٦ ، الإيضاح لابن شاذان : ٧٥ ، مجمع الزوائد : ٥/ ٢٢٤ ، سنن أبي داود : ٢٥٩ ، كنز العمال : ١/ ٢٠٣ ، صحيح مسلم : ٦/ ٢٢ ، سنن النسائي : ٨/ ١٥٦ .
(٣) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي : ١/ ٣٨ .

بعض الدراسات الخاصة ، أما سعيا لإشباع رغبة علمية بحتة أو محاولة جادة لمعرفة إمام زمانهم.

والإمام(عج)لا يظهر إلا بكمال تلك العلامات ليكون العالم مستعداً لقدوم المخلص المنتظر، وهذا ما تناولناه في دراستنا هذه وذلك في مبحثها الثاني ، أما المبحث الأول فقد تناول معالم شخصية الإمام(عج)مع استجلاء صفحات من سيرته العطرة المكللة بالتضحية والعطاء.

المبحث الأول

ملامح عن حياة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)

أولاً – حياته :

الإمام الحجة ابن الحسن المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري (ع) الذي سيخرج آخر الزمان فيملئ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، ولد بسُر من رأى يوم الجمعة ليلا خامس عشر ـ شعبان سنة (٢٥٥هـ) ، وأمه نرجس ، وقيل مريم بنت زيد العلوية(١).

أحاط الإمام العسكري (ع) ولادة المهدي بستار من السرية التامة ، وساهمت إرادة الله عز وجل في أن تكون ولادته إعجازي ، إذ لم تظهر آثار الحمل على والدته إلا في الليلة التي ولد فيها (صلوات الله عليه) ، وذلك لان هذا الأمر أثار مخاوف السلطة العباسية آنذاك ، فشددوا المراقبة وأقاموا العيون والجواسيس حول

---

(١) ينظر : الكافي ، من لا يحضره الفقيه ، التهذيب ، الاستبصار .

أسرة الإمـــام العســـكري (ع) تحســـبا لـــولادة الإمـــام المنتظـــر الموعـــود المقيم لدولة العدل الإلهي.

كـما وشـاركت شخصـية (جعفـر الكـذاب) عـم الإمـام في لعـب دور مضلل ومدعوم مـن قبـل السـلطة التـي قدمتـه للصـلاة عـلى جنـازة الإمـــام العســـكري (ع) بصـــفته الوريـــث الشـــرعي الوحيـــد للإمـــام ، ولكـن المفاجـأة كانـت عنـدما تقـدم فتـى في الخامسـة مـن عمـره يخـرج من الـدار ويأخـذ بـرداء عمـه جعفـر إلى الـوراء قـائلا : تـأخر فأنـا أحـق منـك بالصـلاة عـلى أبي ، فيتـأخر جعفـر مـن دون أن تبـدر منـه أيـة معارضـة ، وبـاءت جهـود السـلطة بالفشـل ، وأحبطـت المخططـات التـي حاولـت النيـل مـن إمامـة الإمـام الحجـة (عجـل الله تعـالى فرجـه الشريف).

ثانيا – الغيبة الصغرى :

تـوارى(عـج) عـن الأنظـار في غيبـة سـميت (الغيبـة الصـغرى) نتيجـة لإلحـاح السـلطة الحاكمـة عـلى تعقبـه بعـد وفـاة أبيـه مبـاشرة ، واسـتمرت الغيبـة الصـغرى أربعـة وسـبعين سـنة ، كـان خلالهـا يلتقـي بسـفرائه الـذين نصـبهم الواحـد تلـو الآخـر ، يلتقـي بهـم ويجيـب عـلى مسـائلهم ومـا يحتـاجون إليـه ، وكـانوا يرونـه رأي العـين ، وربـما رآه غـيرهم ، وكـانوا يتواصـلون عـلى خدمتـه ، وتخـرج عـلى أيـديهم توقيعـات منـه إلى شـيعته في أجوبـة مسـائل وأمـور شـتى و السـفراء أربعة هم :

١ – عثمان بن سعيد العمري

٢ – محمد بن عثمان بن سعيد العمري

٣- أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي.

٤- أبو الحسن علي بن محمد السمري.

وقد قام السفراء الأربعة بجهود عظيمة في سبيل الحفاظ على خط ونهج أهل البيت (عليهم السلام) من خلال المحافظة على بقاء الإمام (عج) في الخفاء إلا في الحالات الضرورية وإزالة الشكوك التي أثيرت بشأن الإمام، والتصدي للغلاة ، فعملوا على تهيئة أذهان الأمة وتوعيتها لمفهوم الغيبة الكبرى ، وتعويد الناس تدريجيا على الاحتجاب ، بالإضافة إلى رعاية شؤون الأمة والتوسط بينها وبين الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ثالثا - الغيبة الكبرى :

امتدت الغيبة الصغرى منذ وفاة الإمام العسكري (ع) سنة (٢٦٠هـ) حتى سنة (٣٢٩هـ) ، بعد أن حققت أهدافها فحصَنت الشيعة من الانحراف وجعلتهم يتقبلون فكرة النيابة التي تحولت من أفراد منصوص عليهم إلى خط عام هو خط المرجعية.

بدأت الغيبة الكبرى بوفاة السفير السمري سنة (٣٢٨هـ) أو (٣٢٩هـ) حيث توقفت النيابة وخرجت رسالة من المهدي على الناس أنه لن يكون هناك نائبا عنه مباشر ، وبالرغم من أن البعض ادعى النيابة بعد السمري ، إلا أنهم لم يلاقوا تجمعا أو نجاحا.

وأوصى الإمام في فترة الغيبة الكبرى أن يرجع الناس إلى الفقهاء والحافظين والعلماء العارفين وهو ما سيتحول إلى ما يعرف بالمرجعية الشيعية ، وستبقى هذه الغيبة حتى يأذن الله.

ومن رسائله (ع) التي أوردها الشيخ الطوسي:(ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد

عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة ، وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ، ولا نؤثره منه ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم)(١).

رابعاً - دور الأئمة(عليهم السلام)في التمهيد لعصر الغيبة :

كان الهدف الأول والأخير للأئمة (عليهم السلام) هو إقامة حكومة الإسلام الأصيل ، وقد انصبت جهودهم في إطار تأهيل الأمة وتثقيفها وإعدادها لهذا الأمر ، مما جعلهم عرضة للملاحقة والتنكيل من قبل خلفاء الجور ، وتركزت جهود الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) حول موضوع التمهيد لإقامة حكم الله وخلافة الإنسان في الأرض، هذه الخلافة التي قدر لها أن تمر بمرحلة طويلة وصعبة هي مرحلة غيبة ، لحكمة اقتضتها إرادة الله عز وجل كمقدمة لإيجاد حكومة العدل الإلهي ، فكان لابد من التمهيد لهذه الغيبة لتعتاد الأمة على هذه المرحلة الجديدة ؛ ولذلك اتخذ الإمامان الهادي والعسكري (عليهما السلام) أسلوبا غير في الاتصال بالأمة وذلك عبر الوكلاء والنواب تعويدا للأمة وتمهيدا لمرحلة الغيبة.

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة (الانتظار) التي يكون الإنسان فيها دائما مستعدا لظهور الإمام (ع) بالبعد عن المعاصي ، وترقية النفس عن الدنيا ، والحفاظ على الصلوات والصيام ، ونشر-

---

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي : ١/ ٤٠ .

علوم أهل البيت (عليهم السلام) ، وأن يدعو الله دائما بتعجيل الفرج وخصوصا حين يرى الظلم والفساد قد استشرى في المجتمع.

ولأن دولة المهدي (ع) هي دولة العدل والمساواة ، قال الإمام الباقر (ع) : (إذا قام القائم حكم بالعدل ، وأرتفع في أيامه الجور ، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض ورد كل حق إلى أهله ، ولم يبق أهل دين حتى يظهر الإسلام ، وحكم بين الناس بحكم داوود وبحكم محمد ، فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها ولا يجد الرجل يومئذ موضعا لصدقته وبره ، وتقضي العجوز الضعيفة في المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد ، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله(ﷺ)(١).

المبحث الثاني

علامات الظهور

إن تكاليف المؤمنين في عصر غيبة الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تأمر بانتظار ظهوره وتوقعه في كل آن ، وهذا تكليف تربوي يهدف إلى جعلهم ساعين باتجاه تحقيق الاستعداد الكامل وباستمرار لنصرته عندما يظهر.

وهناك مجموعة من الحوادث والأمور يهتدي بها المؤمنون لترسيخ وتسريع استعدادهم لنصرته والمساهمة في انجاز مهمته الإصلاحية الكبرى متى ما شاءت الإرادة الإلهية ، وبهذا تتحصل

---

(١) روضة الواعظين : ١/ ٢٦٥ .

للمؤمنين الثمار المرجوة من الأمر بوجوب توقع ظهوره (عج) في كل حين.

والبحث في علامات الظهور طويل لا يسعه هذا المختصر، لذا سنكتفي بذكر إشارات بسيطة لكل علامة :

العلامة الأولى : اجتماع اليهود في أرض فلسطين :

قال تعالى : ﴿... فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾الإسراء / ١٠٤

قال تعالى : ﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُن في الأرض مرتين ولتعلُن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وأن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا**﴾ الإسراء / ٤-٧ .

١ - تشير الآيات الكريمة إلى أن وقت ظهور الإمام يكون فيه اليهود مجتمعين ومسيطرين على المسجد الأقصى ، لأن عملية الدخول سوف تكون بالقوة إلى المسجد(دخول الفاتحين).

٢ - إن قبل الظهور مباشرة توجه ضربات لليهود في فلسطين(ليسوؤا وجوهكم)أي أن هناك ضربات مؤلمة ومذلة سوف يتعرض لها اليهود قبل الظهور.

٣- من المعروف في الروايات الإسلامية والمتفق عليها عند الطرفين أن المسلمين سينتصرون في المعركة الأخيرة ، وسيكونون بقيادة المهدي.

إذاً هناك أربع إشارات تشير إليها الآيات الكريمة :

١ - اجتماع اليهود في فلسطين(جئنا بكم لفيفا).

٢ - احتلالهم للمسجد الأقصى والقدس(وليدخلوا المسجد)

٣- (وليسوؤا وجوهكم) ضربات موجهة من المقاومة قبل التحرير.

٤-قيادة الإمام المهدي للمسلمين في هذه الحرب ، وهذا ما ينتظره الآن المسلمون.

العلامة الثانية : خروج رجل من قم :

رجل من قم يدعو الناس إلى الحق يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح والعواصف ، لا يملون من الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين(١).

العلامة الثالثة : قوة عسكرية وإعلامية للإمام قبل الظهور :

في تفسير قول القرآن : (بعثنا عليكم عبادا منا أولي بأس شديد)

عن الإمام الصادق(ع) : (قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وترا (أي عدوا) للآل محمد(ص) إلا قتلوه)(٢)

العلامة الرابعة :(المهدي مبدأه من المشرق)

---

(١) بحار الأنوار : ٦/ ٢٩٦ .

(٢) روضة الكافي : ٢/ ٢٢٠ .

أي تبدأ عملية الظهور من المشرق من قبل بلاد فارس ،(تخرج من بلاد خراسان رايات سود فلا يردها شئ حتى تنصب بإيلياء القدس(٣). وهي تشير إلى أن الجيش الذي ينطلق مع الإمام يبدأ تحضيره في خراسان ، ويكون هو الجيش الذي يتوجه مع الإمام إلى القدس.

وفي حديث عن الإمام الباقر (ع):(كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ، ثم يطلبونه فلا يعطونه ، فإذا رؤوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم(أي المهدي (عج) ، قتلاهم شهداء ، أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر(أي المهدي (عج)(٤).

العلامة الخامسة - العمائم السود من ذرية الرسول(ﷺ) يقاتلون أعداء الإمام قبل الظهور :

عن أبان بن تغلب ، عن الإمام الصادق (ع) قال :(إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل الشرق وأهل الغرب ؛ أتدري لم ؟ قلت : لا ، قال : للذي يلقى الناس من أهل بيته(٥).

من الواضح أن الذرية من بني هاشم سيكون لهم دور سياسي كبير ومميز في العالم الإسلامي لما لهم من النفوذ والقوة ، بحيث يزعج العالم بأجمعه في الشرق والغرب، وواضح أيضا أن هذه العمائم السود التي هي من ذرية النبي (ص)تطلب الحق وستزعج

---

(٣) سنن الترمذي : ٤/ ٧١ ، كنز العمال : ١٤/ ٣١٧ .
(٤) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢٤٣- ٣٤٣ .
(٥) الغيبة ، للشيخ الطوسي : ٢٩٩ .

العالم لأنها لا تستسلم كالآخرين ، وكأن رأيهم واحد ، فهم من مدرسة واحدة ، وهي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي تعلمهم هيهات منا الذلة ، فتسلم الراية للإمام المهدي في آخر الزمان.

العلامة السادسة - أبواب القدس :

أناس يقاتلون على أبواب بيت المقدس يلقون عناية الإمام الحجة (ع) قبل الظهور ، عن النبي (ص) : (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة – الظهور – (١).

العلامة السابعة – العراق :

دخول قوات غربية إلى العراق ، (ورود خيل من قبل الغرب حتى تربط بفناء الحيرة (٢)...

العلامة الثامنة - العراق :

استشهاد نفس زكية في النجف مع (٧٠) من الصالحين ،(قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين)(٣).

العلامة التاسعة – العراق :

انتقال العلم من النجف إلى قم قبل الظهور ، يقول الإمام الصادق(ع) : (ستخلو الكوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها ، ثم ليظهر العلم ببلد يقال لها قم ، وتصير

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي : ١٠/ ٦٠ .
(٢) الإرشاد : ٣٣٦ ، بحار الأنوار : ٥٢/ ٢١٤ .
(٣) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢٢٠

معـدنا للعلـم والفضـل حتـى لا يبقـى في الأرض مستضـعف في الـدين حتى المخدرات ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا)(٤)

وعنـه أيضـا(ع) :(وأن البلايـا مرفوعـة عـن قـم وأهلهـا ، وسـيأتي زمان تكون قـم وأهلهـا حجـة عـلى الخلائـق ، وذلـك زمـان غيبـة قائمنـا إلى ظهوره)(٥).

العلامة العاشرة - العراق :

خـروج السـفياني ، وهـو شـخص يجهـز جيوشـه للـبطش بأتبـاع آل البيت (ع)قبل ظهور المهدي (عج).

عن جابر بـن زيـاد الجعفـي ، قـال سـألت أبـا جعفـر الإمـام البـاقر (ع) عـن السـفياني ، فقـال :(وأني لكـم بالسـفياني حتـى يخـرج قبلـه الشيصباني ، يخـرج بـأرض كوفـان ، ينبـع كـما ينبـع المـاء فيقتـل وفـدكم ، فتوقعوا بعد ذلك السفياني ، وخروج القائم).

العلامـة الحاديـة عشـرة : سـقوط العـراق بيـد قـوات أجنبيـة وتعـم الفوضى في بغداد :

ورد في روايـة خطبـة البيـان عـن أمـير المـؤمنين (ع): (ألا يـا ويـل بغداد من الري من مـوت وقتـل وخـوف يشـمل أهـل العـراق ، إذا حـلَ بهم السيف فيقتـل مـا شـاء الله...فعنـد ذلـك يخـرج العجـم عـلى العـرب ويملكون البصرة)(١).

العلامة الثانية عشـرة - الحجاز :

---

(٤) مستدرك سفينة البحار : ٣٦٥ .
(٥) بحار الأنوار : ٦٠/ ٢١٣ .
(١) إلزام الناصب : ٢/ ١١٩ .

آخر حكام الحجاز اسمه عبد الله ، عن الإمام الصادق(ع):(من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم(أي ظهور الإمام)، ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام....)(٢).

العلامة الثالثة عشرة – العالم :

خوف الناس قبل الظهور من الأوبئة والزلازل والأعاصير ، وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع)يشير إلى علامات الظهور :(نعم قتل فظيع وموت سريع وطاعون شنيع)(٣).

العلامة الرابعة عشرة – الكون :

دخول مذنب إلى مدار الأرض فيغير كل الطبيعة الفلكية على الأرض.

ذكر نعيم بن حماد عن الوليد قال : بلغني أنه قال يطلع نجم من قبل المشرق قبل خروج المهدي له ذنب يضيء لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر(٤).

العلامة الخامسة عشر – القادة :

الخراساني : هو الذي يسلم الراية إلى الإمام المهدي أو يكون أعلى منصب عند أهل (خراسان) حتى يسلم راية الولاية والقيادة إلى الإمام المهدي (ع).

---

(٢) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢١٠ .
(٣) الهداية الكبرى : ١/ ١٦٣ .
(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي : ١/ ٢٧٢ .

إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث الإمام في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي (أي لمبايعته) برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح (قائد الجيش) فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب إصطخر (منطقة بجنوب إيران) فيكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود (أي تنتصر) ، وتهرب خيل السفياني ، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه(٥).

العلامة السادسة عشرة – القادة :

شعيب بن صالح : عن عمار بن ياسر : المهدي على لوائه شعيب بن صالح(١).

وفي رواية أخرى : إن على مقدمة جيش المهدي رجلا من تميم ضعيف اللحية ، يقال له شعيب بن صالح(٢).

وعن محمد بن الحنفية : ثم تخرج من خراسان رايات سود قلانسهم سود ، وثيابهم بيض ، وعلى مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم ، يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل ببيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه(٣).

العلامة السابعة عشرة – القادة :

اليماني : عن الإمام الصادق (ع) :(وليس في الروايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية حق ،لأنه يدعو إلى صاحبكم فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس ، وإذا خرج اليماني فانهض

---

(٥) كنز العمال : ١٤/ ٦٨٠ .
(١) كتاب الفتن ، لأبي عبد الله المروزي : ١/ ٣١١ .
(٢) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢٠٨ .
(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي : ١/ ٢٧١ .

إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق وإلى صراط مستقيم(٤).

العلامة الثامنة عشرة – القادة :

السفياني وانقلاب دمشق ، وأنه سيكون أكبر عدو للإمام المهدي (ع).

عن الإمام السجاد (ع) :(إن القائم حتم من الله وأمر السفياني حتم من الله ولا يكون قائم إلا بسفياني)(٥).

وعن أمير المؤمنين(ع) قال :(يخرج ابن آكلة الأكباد(إشارة إلى جدته هند)من الوادي اليابس (سوريا) وهو رجل ربعة(مربوع) وحشي الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر جدري ، إذا رأيته حسبته أعور ، وأبوه (عتبة بن أبي سفيان) وهو من ولد أبي سفيان ، حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها(٦).

العلامتان التاسعة عشرة والعشرون – آخر العلامات :

الصيحة والنفس الزكية : عن محمد بن مسلم : ينادي مناد من السماء باسم القائم فيسمع ما بين المشرق والمغرب ، فلا يبقى راقد إلا قام ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرائيل والروح الأمين(١).

وفي رواية يصيح أن الحق مع آل محمد (عليهم السلام) ، وتكون الصيحة في النصف من شهر رمضان ، وتقول رواية أخرى

---

(٤) مستدرك سفينة البحار : ١٠/ ٦٣٠ .
(٥) بحار الأنوار : ٥٣/ ١٨٢ .
(٦) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢٩٠ .
(١) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢٠٥ .

أن إبليس يتحير ماذا يفعل بهذه الهزيمة الإعلامية الكبيرة ، فينادي في الأرض بنداء مضاد لكي يربك الناس أن الحق من النصارى ، وهذه الصيحة تكون في نفس العام الذي يظهر فيه الإمام.

ومن العلامات التي أشارت إليها الروايات قتل نفس زكية ، وأن المهدي لا يخرج حتى تقتل نفس زكية في الكعبة اسمه (محمد) وهو حسني النسب أي سيد حسني من نسل الإمام الحسن (ع)،والظاهر أنها تكون قبل الظهور بسنة أو في نفس سنة الظهور فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض.وتعتبر هاتان العلامتان من أواخر العلامات قبل الظهور(٢).

وبهذا انهي بحثي هذا راجية فيه رضا الله تعالى ومنه التوفيق والسداد.

---

(٢) بحار الأنوار : ٥٢/ ٢٩٠ .

المصادر والمراجع

١- (القرآن الكريم)

٢- الإرشـــاد :(الشـــيخ المفيـــد)أبي عبـــد الله محمـــد بـــن الـــنعمان البغـــدادي (ت٤١٣ هـ)، مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ١٤١٠ هـ ٠

٣- الاستبصـــار :(الطـــوسي)أبـــو جعفـــر محمـــد بـــن الحســـن (٤٦٠ هـــ)، دار الكتب الإسلامية / النجف ١٣٩٠ هـ ٠

٤- السنن :(النسائي)أبو عبـد الـرحمن أحمـد بـن عـلي بـن شـعيب(٣٠٣ هـــ) ، تحقيق : عبد الغفار سليمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٥- الغيبة :(الطوسي)أبو جعفـر محمـد بـن الحسـن (٤٦٠ هـــ) ، تحقيـق : عبـاد الله الطهراني ، مطبعة مؤسسة المعارف الإسلامية ،قم ، ١٤١١ هـ.

٦- الفـتن :(المـروزي)أبي عبـد الله نعـيم بـن حمـاد (ت ٢٢٩ هـــ)حققـه وقـدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار.

٧- الكـافي :(الكلينـي) محمـد بـن يعقـوب(ت٣٢٩ هـــ)، دار الأسرة للطباعـة والنشر ، إيران ، ١٤٢٨ هـ.

٨- المحاســن : البرقـــي ، المطبعـــة الحيدريـــة ، ط١ ، ١٣٨٤ هـــ - النجـــف الأشرف

٩- الهداية الكبرى :(الخصيبي)أبي عبد الله الحسين بن حماد.

١٠-الإيضـــاح : الإمـــام الخطيـــب القزوينـــي ، تحقيـــق : د/ محمـــد عبـــد المـــنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠ م.

١١-إلزام الناصب : الشيخ علي اليزدي الحائري.

١٢-إكـمال الـدين وإتمـام النعمـة :(الصـدوق)إبـو جعفـر محمـد بـن عـلي بـن الحسـين بـن بابويـه القمـي(ت ٣٨١ هـــ)، صـححه وعلـق عليـه : عـلي

أكبر الغفاري ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، إيران / ١٤٠٥ هـ.

١٣-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ع): (المجلسي محمد باقر(١١١١ هـ)مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣ م.

١٤-تهذيب الأحكام :(الطوسي)أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦. هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، مطبعة خورشيد، ١٣٦٥ ش

١٥-روضة الكافي :(الكليني)محمد بن يعقوب(٣٢٩ هـ)، دار الأسرة للطباعة والنشر ، إيران ، ١٤٢٨ هـ.

١٦-روضة الواعظين :(الفتال النيسابوري)أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٥٠٨ هـ)، تحقيق : السيد مهدي السيد حسن الخرسان ، منشورات الشريف المرتضى ، قم ، إيران.

١٧-سنن الترمذي : (الترمذي)محمد بن عيسى بن سمرة ،تحقيق : صدقي محمد جميل عطار ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ.

١٨-سنن النسائي :(النسائي)أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ)، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ.

١٩-سنن أبي داوود :(السجستاني)أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت.

٢٠-صحيح مسلم :(النيسابوري)أبو الحسين بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٢١-كنز العمال :(الهندي)علاء الدين التقي(٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ.

٢٢-مجمع الزوائد :(الهيتمي)نور الدين علي بن محمد بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ.

٢٣-مستدرك سفينة البحار :(الشاهرودي)علي النمازي(١٤٠٥ هـ)تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٤-مسند أحمد : الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مكتبة التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤١١ هـ ، القاهرة.

٢٥-معجم أحاديث الإمام المهدي (ع).

٢٦-من لا يحضره الفقيه :(الصدوق)محمد بن علي القمي(ت ٣٨١ هـ) ، دار الكتب الإسلامية / النجف الأشرف.

٢٧-ميزان الحكمة : محمد الريشهري ، دار الحديث ، قم.

المهدي (عج) في القرآن الكريم والسنة الشريفة وحتمية الظهور لتحقيق دولة العدل العالمية
دراسة استدلالية تحليلية

د. صلاح عبد الحسين المنصوري

كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة :

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد فلا شك ولا ريب ان مسألة الإمام المهدي (عج) وحتمية الظهور من المسائل المهمة جداً والتي لها ارتباط مباشر بالرسالة الإسلامية الحقة بل هي مكمل لمرحلة الرسالة التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بإعتبارها الغاية والنتيجة خصوصاً على العقيدة التي ترى ان الإمامة امتداد للرسالة، وان دور الأئمة (عليهم السلام) هو اكمال لدور الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومما يعطي المسألة أهمية أكثر أنه تعالى وعد المتقين الصابرين ان يمكن لهم في الأرض ويجعلهم أسيادها وقاداتها جزاءاً لهم بما صبروا وتحملوا الضيم والعناء في سبيله تعالى فوعدهم الله بالاستخلاف واشاعة العدالة والقيم السامية المستمدة من الشريعة الإسلامية الحقة، وهذا الاستخلاف والتشريف نطق به

القرآن الكريم في عدة آيات ومواطن كثيرة ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾ ١، وكذلك قوله تعالى : ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرضيرثها عبادي الصالحون**﴾٢، واعتبر تعالى ان الذي لا يؤمن بذلك وان الأرض سوف يستخلف فيها المؤمنين الصالحين الصابرين ويجعل لهم دولة حق لا مكان للظالم فيها يعد فاسقاً.

إذن المسألة ليست مسألة رؤية ورأي بل حقيقة قرآنية ثابتة وسنة كونية الهية لا بد منها لقوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن يكفر بعد ذلك فألئك هم الفاسقون**﴾٣.

بشر الله سبحانه وتعالى من خلال هذه الآيات الشريفة ان المؤمنين الذين جاهدوا في سبيله وعبدوه حق عبادته حيث يرجون مرضاته بجعلهم خلفاء في الأرض وهم الذين يقيمون الحكم فيها ويطبقون أحكامه التي يروم ايصالها من خلال الشريعة الإسلامية بإعتبارها الوسيلة للسعادة والأمن والأمان، وضمن الله تعالى لهم تمهيد الأمور وتهيئة المقدمات التي تحقق هذه الغاية الموعودة وحتمية فرض الحاكمية لهم.

١- القصص / ٥٠ .
٢- الأنبياء / ١٠٦ .
٣- النور / ٥٦ .

ولازم ذلك كله ان الظهور حقيقة حتمية لا بد منها لإقامة دولة الحق ولبيان ان جميع ما قام به البشر- الى يومنا هذا لم يحقق هذه الغاية وهذا الوعد سواءً على مستوى الاطروحات السياسية أو الاقتصادية أو الإجتماعية أو غير ذلك.

سوف ندرس ذلك من خلال هذا البحث عن طريق ذكر نماذج من الآيات القرآنية والأخبار التي وردت في مسألة الإمام المهدي(عج) وبما يتناسب مع هذا البحث المختصر- وكذلك نستعرض المذاهب السياسية والاقتصادية للوقوف على حقيقة ما أتت به للمجتمعات العالمية وتقويمها تقويماً علمياً موضوعياً من هنا تنطلق أهمية البحث وتكمن في ظهور تيارات سياسية ومذاهب اقتصادية وعدت المجتمع بتحقيق السعادة لهم، وزعم أصحاب كل منها بأنه يمثل النظام الأمثل والأنفع وهو الحري بالإتباع، لذا سوف يعالج البحث هذه الإشكالية الخطيرة التي تتنافى حتماً مع المبادئ الإلهية وتتناقض مع الأهداف السامية من بعثة الرسل والأنبياء وهذا يستدعي أن تكون خطة البحث عبارة عن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المهدي (عج) في القرآن الكريم. وأبحث فيه نماذج من الآيات القرآنية الشريفة التي تدل على ظهوره لإقامة دولة الحق.

المبحث الثاني : المهدي (عج) في السنة الشريفة ويقع في مطلبين :

المطلب الأول: المهدي (عج) في الأخبار والروايات.

المطلب الثاني: نسب الإمام المهدي (عج).

المبحث الثالث: ظهور المهدي (عج) ضرورة لا بد منها وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الأطروحات والأنظمة السياسية.

المطلب الثاني: الأنظمة الاقتصادية التي جربت في المجتمع.

المبحث الأول

المهدي في القرآن الكريم

هناك عشرات الآيات استظهر المفسرون منها أنها نزلت بحق المهدي سلام الله عليه ونحن للاختصار وكفاية بعض الآيات نختار قسم منها و نحاول تفسيرها من خلال الروايات والأخبار الواردة عن الرسول(ص) وآل بيته الأطهار وبطرقها المختلفة وكما يأتي :

الآية الأولى : قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)١.

لعل قائل يقول ان هذه الآية المباركة نزلت بحق بني إسرائيل وانه تعالى وعدهم بالعلا والحاكمية والمالكية للأرض لهم.

١- القصص / ٥٠ .

نحن نقول ان المعنى الظاهر للآية هو ذلك ولكن عند تأويلها نستظهر منها معنى خلاف ذلك، لأن القرآن الكريم عندما يذكر قصة أو واقعة ليس غرضه هو التسلي أو السرد التاريخي بل لها معاني وعبر ودروس وحقائق خصوصاً إذا علمنا أن القرآن الكريم يساير الزمن وينسجهم مع جميع العصور مهما تطورت وتبدلت، هذا معناه من الممكن أن يذكر القرآن الكريم واقعة ويسديها إلى جميع الوقائع التي تحدث في غير زمانها، لذلك نلاحظ أن القرآن الكريم وردي فيه الكثير من الآيات الشريفة التي افتتحت بقوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا)من المعلوم أنها تخاطب المؤمنين في زمان نزولها ولكن تسري وعلى نحو القضية الحقيقية على كل مؤمن يوجد فيما بعد النزول والى يوم القيامة ويكون الخطاب موجهاً له أيضاً ويراد منه مثل ما يراد من المؤمنين عند الخطاب، كذلك القرآن يذكر بعض القصص والوقائع للمثال لا للحصر والغرض منها بيان قضية أو أمر ليكون عبرة للمؤمنين في عصر النزول وما بعد عصر النزول، فعندما القرآن يهدد ويحذر فرعون مثلاً فانه بالحقيقة تهديد وتحذير لجميع الطغاة و الظالمين الذين يأتون بعد فرعون وعندما يبشر بالفرج فهو بشرى لكل المظلومين على مر العصور.

ومما يؤيد ما قلناه هو أن ألفاظ (نمن، نجعلهم....) جاء بها القرآن الكريم بصيغة المضارع المستقبل وهذا يدل على أن الآية الشريفة لا تعني بني إسرائيل، لان زمنهم هو كان في عصر- فرعون وقد ولى وانصرم وان الشريعة اليهودية نسخت بالشريعة الإسلامية المقدسة وهي خاتمة الشرايع والأديان، وهذا معناه أن لا

دين بعد السلام وانه خاتم الأديان إلى يوم القيامة كما كان رسول الله محمد(ص) خاتم الأنبياء حتى يوم الحساب، إذا ضممنا ذلك إلى حكاية الآية في عهد فرعون ينتج أن الموعودين بالإمامة في الأرض هم مسلمون، وبما أن هذا الوعد لم يحصل ولم يتحقق في الأرض إذ لم يحدثنا التاريخ عن ذلك ولا ما جاء في الكتب والشرايع السابقة ولم نعرف لحد الآن أن شخصاً أو جماعة منَّ عليهم تعالى- وهو المنان على كل حال – وأعطاهم ملك الأرض من الشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب لذلك نحن منتظرون ذلك اليوم الموعود لعل قائل يقول : ان بني إسرائيل لاقوا من ظلم فرعون ما لاقوه، فما هو المحذور ان يجعلهم تعالى أئمة في الأرض في آخر الزمان جبراناً للظلم الذي وقع عليهم.

قلنا إن ذلك لا يكون لما بيّناه من أن الإسلام هو آخر الأديان وانه ناسخ للشرايع السالفة ومعنى ذلك أن الإسلام له الحاكمية والأحقية إلى يوم القيامة ومقتضاه أن الذين يكونون أصحاب الوعد هم المسلمون وهم الذين يتولون مهمة قيادة العالم وبواسطتهم يذعن كل ما على الكرة الأرضية إلى حكمهم الذي هو الإسلام.

بعد هذه المقدمة التي ذكرناها عن الآية الشريفة يحسن بنا الآن أن نسوق الروايات والأخبار الدالة على إن هذه الآية المباركة تبشر بالمهدي(عج) :

١- قال الإمام علي(ع): (والذي برأ الحبة وخلق النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها)١ وتلا

عقيب ذلك قوله تعالى :(ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين).

قال أبي حديد المعتزلي في ذيل ذلك : إن أصحابنا يقلون انه وعد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك١.٢

٢- قال الإمام علي(ع) : (المستضعفون في الأرض، المذكورون في الكتاب، الذين يجعلهم الله أئمة نحن أهل البيت يبعث الله مهديهم فيعزهم ويذل عدوهم)٢.٣

٣- محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن أبان بن عثمان عن أبي صباح الكناني نظر أبو جعفر(ع) إلى أبي عبد الله(ع) فقال ترى هذا ؟ هذا من الذين قال الله عز وجل(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)٣٤

٤- ابن بابويه قال حدثنا احمد بن محمد بن هيثم العجلي، قال حدثنا أبو العباس احمد بن يحيى بن زكريا القطان قال حدثنا بكر بن عبد الله بن حسيب قال حدثنا تميم بن بهلول عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله(ع) يقول ان رسول الله(ص) نظر إلى علي والحسن والحسين(ع) فبكى وقال (أنتم

١- الأمام علي(ع)، نهج البلاغة ،٤٧. المجلسي ،محمد باقر، بحار الأنوار ، ٢٤/ ١٦٧. الخاكم الحسكاني ،عبد الله بن أحمد ، شواهد التنزيل ،١/ ، ٥٥٩

٢- المعتزلي ،ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،١٩/ ٢٩.

٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٥١/ ٦٣، والقاضي،النعمان المغربي، شرح الأخبار، ٣/ ٥٦٧. والكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي(عج)، ٥/ ٣٢١.

٤- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١/ ٣٠٦، ٦/ ١٧٢. والمفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، ٢/ ١٨٠. والحلي، جمال الدين حسن بن المطهر، المستجاد من الإرشاد، ١٧٦. والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٧/ ١٣.

المستضعفون بعدي) قال المفضل قلت له ما معنى ذلك يا بن رسول الله ؟ قال: معناه أنتم ألأئمة بعدي ان الله عز وجل يقول: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فهذه الآية جارية فينا الى يوم القيامة ١.٥

٥- بن بابويه حدثنا محمد بن عمر قال حدثنا احمد بن تميم بن حكيم قال حدثنا سريح بن سلمة قال حدثنا إبراهيم بن يوسف عن عبد الجبار عن الأعشى الثقفي عن أبي صادق: قال علي(ع) هي لنا أو فينا هذه الآية(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)٢ ٦- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مسند فاطمة(ع) قال: أخبرنا أبو الفضل قال حدثني علي بن الحسين المنضري الكوفي قال حدثني احمد بن زيد الدهان عن المحمول بن إبراهيم عن رستم "أبو رشيد" بن عبد الله بن خالد المخزومي عن سليمان الأعمش عن محمد بن خلف الطاهري عن زازان عن سلمان قال: قال رسول الله(ص):(ان الله تبارك تعالى لم يبعث نبياً ورسولاً ألا جعل له اثني عشر نقيباً فقلت يا رسول الله لقد عرفت هذا من أهل الكتابين فقال هل علمت من نقبائي الإثني عشر الذين اختارهم الله للأمة بعدي ؟ فقلت الله ورسوله أعلم، فقال: يا سليمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته فخلق من نوري علياً(ع) ودعاه فأطاعه فخلق من نوري ونور علياً فاطمة(ع) فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي وفاطمة،

٥- الصدوق، أبو جعفر محمد بن الحسن بن الحسين، معاني الأخبار، ٧٩. والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٢٤/ ١٦٨. والكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي(عج)، ٥/ ٣٢٥.

١- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، ٥٦٦، والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٢٤/ ١٦٨.

الحسن(ع) فدعاه فأطاعه ثم سمانا بخمسة أسماء من أسمائه فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي فهذا علي، والله الفاطر فهذه فاطمة، والله ذا الإحسان فهذا الحسن، والله المحسن فهذا الحسين. ثم خلق منها ومن نور الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه، وقبل أن خلق الله سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا ملكاً ولا بشراً دوننا نوراً نسبح الله ونسمع ونطيع، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم ووالى وليهم وتبرأ من عدوهم فهو الله منا يرد حيث نرد ويكون حيث نكن، فقلت: يا رسول الله فهل يمكن الإيمان بهم بغير معرفة بأسمائهم وأنسابهم؟ فقال: لا: فقلت: يا رسول الله فأني لي بهم وقد عرفت الى الحسين(ع)، قال: ثم زين العابدين علي بن الحسين(ع)، ثم ابنه محمد بن علي(ع)، باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم جعفر بن محمد لسان الله الصادق، موسى بن جعفر(ع) الكاظم غيظه في سبيل عز وجل، ثم علي بن موسى(ع) الرضا لأمر الله، ثم محمد بن علي(ع) المختار من خلق الله، ثم علي بن محمد الهادي الى الله، ثم الحسن بن علي(ع) الصامت، الأمين لسر الله، ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي(عج) القائم بحق الله.

ثم قال(ص) يا سلمان إنك مدركه ومن كان مثلك ومن تولاه بحقيقة المعرفة. فشكرت الله. ثم قلت: واني مؤجل إلى عهده؟ قال(ص): يا سلمان اقرأ " فإذا جاء وعد أوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر

نفيراً " ٣ قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي ثم قلت: يا رسول الله أبعهدٍ منك؟ فقال أي والله الذي أرسل محمداً بالحق مني ومن علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة وكل من هو منا ومضام فينا. أي والله ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الإيمان محضاً ومحض حتى يأخذ بالقصاص والأوتار ولا يظلم ربك أحداً ويحقق تأويل هذه الآية: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون).

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله(ص) وما يبالي سلمان متى يلاقي الموت ويلقاه ١.

كل الروايات التي جئنا بها تدل بوضوح على ان الآية المباركة هي مختصة بالإمام المهدي(عج) وتبشّر به وبتحقق الوعد المنشود.

هذا وتوجد روايات كثيرة دالة على هذا المعنى وما ذكرناه فيه الكفاية لمن أراد أن ينصف نفسه ويحررها من قيود التعصب والعاطفة المفرطة.

فإذا أخذنا بنظر الاعتبار – كما هو الحق - ان الآية نزلت بحق أهل البيت(ع) وهم ألأئمة الاثني عشري وان المهدي هو ثاني عشرهم وآخر ألأئمة الأطهار فتكون الرواية شاملة للمهدي(عج) وهو الذي يملك الأرض ويقيم العدل فيها آخر الزمان ومما يؤيده ان ألأئمة السابقين لم يملك أحد منهم الأرض،

---

١ - مصباح الشريعة، الإمام الصادق(ع)، ٦٥، والطبري (الشيعي)، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ٤٤٩، الجوهري، أحمد بن عياش، مقتضب الأثر، ٧، والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٥٣/ ١٤٣ .
٢ - النور/ ٥٥ .

ولم نسمع في الأخبار والتاريخ ان أحدهم قام بتأسيس دولة عالمية وسيطر على جميع الممالك، وبما إنهم مضوا على رحمة الباري جل وعلا ولم يبقَ منهم سوى الإمام الحجة لحد الآن، فيتعين انه يملك الأرض وبذلك يثبت أن الآية نازلة بحقه (عج)وهو الذي وهو الذي يشفي صدور آبائه وأجداده والمؤمنين المعذبين.

الآية الثانية : قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن يكفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)٢.

بشر الله تعالى من خلال هذه الآية الشريفة بأن المؤمنين الذين كانت أعمالهم صالحة ويرجون مرضاته تعالى يجعلهم خلفاء في الأرض، وهم الذين يحكمون الأرض ويفرضون الشريعة الإسلامية، وضمن لهم تعالى تمهيد الأمور وتهيئة مقدّمات ذلك، وحتمية فرض الحاكمية لهم، ويدخل عليهم الطمأنينة والسكينة بعد أن كانوا خائفين مظلومين تحت سلطة الظالمين والطواغيت ، وهذا التبديل لا يكون إلاّ بنصر من الله تعالى وفتح مبين.

والاستخلاف يكون من عدة وجوه :

الوجه الأول: الاستخلاف في الحاكمية والسلطنة، وذلك بأن تكون السلطة والكلمة والقرار للمؤمنين المسددين بعد أن كانت للظالمين والطغاة، فيقوم هؤلاء المؤمنين بنشر العدل ومحو جذور الظلم ومحاربة جميع أشكال الفساد، حتى تكون النتيجة تغييب

قانون القي يأكل الضعيف الذي مرت به البشرية على مر العصور وعانت من آثاره، وهذا هو مقتضى العدل الإلهي، فهؤلاء الظلمة والطواغيت ينزل منهم الخزي مرتين، إحداهما: العار في الدنيا. والأخرى : في يوم القيامة وسوف يفضحون أمام الخلق ويدخلون جهنم أذلاء صاغرون، فيذوقون حميمها جزاءاً بما فعلت أيديهم.

الوجه الثاني : الاستخلاف في التطبيق: إن مقتضى انتقال الحاكمية والسلطة الى المؤمنين ينتج منه بسط القانون الإسلامي على جميع أرجاء المعمورة لتطبيق العدالة ونصرة الضعفاء، والاقتصاص من الظالمين ودك عروشهم فينتشر العدل بدل الظلم، والأمان بدل الخوف، والإيمان بدل الفسق والفجور.

الوجه الثالث: الاستخلاف الأخلاقي: حيث تسود المجتمع المودة والمحبة وروح التعاون والتكافل الاجتماعي وتتحقق سلامة الروابط والعلاقات الحياتية، واختفاء مظاهر الحسد والتنافس غير المشروع، وتنامي روح العفو والتسامح، ويصبح أبناء المجتمع كالجسد الواحد ويشعر كل فرد بأنه نواة للمجتمع، فيكون ذلك دافع لعدم ارتكاب الجرائم والمحرمات، والالتزام بالأسس والقواعد الخلقية التي جاء بها الإسلام الحنيف. وهذه هي الغاية من مجيء الدين الإسلامي، لأن العبادات إنما شرعت لتنمية هذه الأواصر والصفات الأخلاقية، ولذلك قال الرسول(ص): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

إذا عرفنا ذلك فهناك سؤال يطرح نفسه ومفاده: ان مثل هذا الاستخلاف متى حصل؟ وهل تمكن المسلمون في يوم من الأيام

من إقرار الحاكمية للشريعة الإسلامية المقدسة على جميع أنحاء الكرة الأرضية؟

وللإجابة على السؤال نقول: ان الاستخلاف لحد الآن لم يحصل، بل لا زالت أرجاء المعمورة مبتلية بأشكال الحكومات الجائرة وبأصناف من المتفننين بأنواع الظلم والإجرام، فنلاحظ حالات القتل الجماعي والنهب الصارخ لثورات الشعوب حتى وصل الحال ان الذي يتفوه بكلمة استنكار أو شعور بعدم الرضا يكون مصيره الإعدام، وأكثر من ذاق آثار هذا الظلم هم المسلمون في كل مكان ولم يفلت أحد من قيود الاستكبار العالمي ومأجوريهم الذين يحكمون البلاد الإسلامية تحت شعارات الحرية البراقة والعولمة المستبدة، في الوقت الذي لم يبق للفرد المسلم حتى حرية ممارسة شعائره الدينية، بل لم يقف الظلم عند هذا الحد حتى تدخلوا في لباس المسلمين فمنعوا ارتداء الحجاب الذي فرضه الإسلام حتى صارت المرأة المحجبة بنظرهم ارتكبت جريمة لا تغتفر، واستخدموا وسائل الإعلام ضد الدين الإسلامي من خلال بث الأفلام الخلاعية والبرامج الفاسدة التي من شئنها نشر بذور الفساد والإنحلال في المجتمع المسلم، لأن هؤلاء يدركون ان من شأن ذلك إبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم، وبالتالي سوف يشغلون بملذات الدنيا الفانية فيكونون لقمة سائغة لهم حتى يتم استعبادهم وسلبهم هويتهم الإسلامية.

وحتى الذي جاء بإسم الإسلام وأعلن انه خليفة رسول الله(ص) كحكام بني أمية وبني العباس كان أسير شهواته ونزعاته

الشخصية، وهمه الوحيد المحافظة على كرسي الحكم حتى لو اقتضى ذلك قتل جميع المسلمين والقضاء على الإسلام وإبقاء اسمه، في سبيل الاستمرار في السلطة، والتاريخ الإسلامي حافل بالشواهد والوقائع التي حصلت في زمن الدولتين الأموية والعباسية حيث مارسوا القتل والمطاردة والتشريد خصوصاً بحق ذرية رسول الله(ص) وتابعيهم ومحبيهم، وذلك ثابت بإجماع المسلمين، إذ لا يجرأ أحد أن يقول إن ما فعله معاوية في فترة خلافة الإمام علي(ع) من شن الحرب عليه وقتل أصحابه والتنكيل بهم كان مشروعاً ولم يكن خطئاً فادحاً.

ولا أعتقد أحد يرضى بفعلة يزيد بقتله الإمام الحسين ابن بنت رسول الله(ص) الذي قال عنه الرسول(ص):(حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط)١ و(هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما و أحب من يحبهما)٢ و(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)٣. لطالما أثنى عليهم رسول الله(ص) في مواطن عديدة بمرأى ومسمع من المسلمين، وبين لهم أنهم سفينة النجاة ولا يأمن أحد من نار جهنم

١-أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٤/ ١٧٢، والقزويني، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة: ١/ ٥١، والترمذي: محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ٥/ ٣٢٤.

٢- الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ٣/ ١٣٠، والنووي، محي الدين، المجموع، ١٥/ ٣٥٣، والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،٣/ ، ٢٨٠

٣- السرخسي، شمس الدين، المبسوط، ١٦/ ١٢٢، والعسقلاني، ابن حجر، سبل السلام، ٤/ ١٢٥، والصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الخصال، ، ٥٧٥

٤- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الخصال، ٥٧٢، والخزاز القمي، أبي القاسم علي بن محمد بن علي، كفاية الأثر، ١٣٥، والكوفي، محمد بن سليمان، مناقب أمير المؤمنين(ع)، ١/ ٥١٠، والقاضي النعمان المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار، ٢/ ٤٧٧، والقمي الشيرازي، محمد طاهر، كتاب الأربعين، ٩٩.

ولا يضمن رضا الخالق تعالى إلا من خلال هذه السفينة، ومع هذا كله حوربوا بإسم الدين الإسلامي ومن على منبر رسول الله(ص).

فالذي يدعي ان الاستخلاف قد حصل بهؤلاء، لا ندري كيف يفسر أفعالهم الثابتة قطعاً، وحتى الذي أراد أن يبرر أفعالهم. قال: اجتهدوا فأخطئوا. وهذا دليل على قطعية حصول مثل هذه الجرائم بحق أهل بيت رسول الله(ص).

والآن إذا جئنا الى فقرات الآية الشريفة وحللناها بدقة لوجدناها لا تنطبق على أمثال هؤلاء الخلفاء، فمثلا قوله تعالى:﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾، المتأمل في هذه الفقرة من الآية الكريمة يجد فيها صفتان للموعودين بالاستخلاف وهما :

أولاً : الإيمان: أي هؤلاء الموعودين بالاستخلاف شرط عليهم الباري تعالى أن يكونوا مؤمنين ومن الواضح إن الإيمان لا يكون إلا مع العمل بالحق ومجانبة الباطل، فكيف يكون الإنسان مؤمناً مع انه يقتل النفس البريئة، وكيف يكون كذلك وهو يريق دماء ذرية رسول الله(ص)، وكل المسلمين يعلمون علم اليقين إن الاعتداء والتعدي على الإمام علي والحسن والحسين وأبنائهم(ع) هو اعتداء وتعدي على الرسول(ص)، والتعدي على الرسول(ص) هو تعدي

على الله تعالى، فالرسول الكريم وضح هذا المعنى في مناسبات كثيرة حيث قال في الحديث الشريف:(يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)٤.

وهـذا هـو حـديث الثقلـين المتـواتر بإتفـاق الفـريقين المنقـول بطـرق عديـدة وفي مختلـف الكتـب الحديثـة للخاصـة والعامـة يبـين بكـل وضـوح ان العـترة الطـاهرة هـم عـدل القـرآن الـذي لا يأتيـه الباطـل لا مـن أمامـه ولا مـن خلفـه، فقـال رسـول الله(ص): (إني تـارك فـيكم الثقلـين مـا ان تمسـكتم بهـما لـن تضـلوا مـن بعـدي أبـداً، كتـاب الله وعترتي أهـل بيتـي وانهـما لـن يفترقـا حتـى يـردا عـلي الحـوض)١، وهـو الذي(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)٢.

ونستفيد من حديث الثقلين الشريف عدة أمور :

الأمـر الأول : ان الأئمـة هـم عـدل القـرآن الكـريم، وبـما أنـه لا يأتيـه الباطـل، فكـذلك الأئمـة(ع) وهـذا معنـاه انهـم مـع الحـق دائـماً وضد الباطل.

الأمـر الثـاني : وجـوب التمسـك بهـم(ع) كـما يجـب التمسـك بالقرآن الكريم الى يوم القيامة.

الأمر الثالـث : الـراد عليهم(ع) راد عـلى القـرآن الـذي هـو كـلام الله المنزل، والتارك لموالاتهم تاركاً للقرآن ولسنة الرسول(ص).

وعليـه فـإن الـذي آذى رسـول الله(ص) أو ذريتـه الطـاهرة لا يمكن أن يكون مؤمناً.

---

١ - الشريف المرتضى، علم الهدى، الانتصار، ٨٠، والحلبي، أبو الصلاح، الكافي، ٩٧، والشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، ٢/ ٣٢٨، والكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٤١٥، والصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة، ٩٤، وعمرو بن أبي عاصم، كتاب السنة، ٣٣٧، وبنفس المضمون ظ .النسائي، أحمد بن علي بن شعيب، السنن الكبرى، ٥/ ١٣٠، والطبراني، محمد بن جرير، المعجم الأوسط، ٤/ ٣٣,

٢ - النجم/ ٣-٤ .

٣- النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ٦/ ٤، والقمي، ابن بابويه، الامامة والتبصرة، ١٥١، والصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الخصال، ٤٧٣، وابن البطريق، يحيى بن الحسن، العمدة، ٤١٨.

ثانياً : العمل الصالح: هذه هي الصفة الثانية للموعودين بالاستخلاف، حيث انه تعالى شرط عليهم أن يكونوا قد عملوا الصالحات، ومن الواضح جداً إن قتل ذرية رسول الله(ص) ومحبيهم ليس عملاً صالحاً بل هو عمل قبيح لا يرضي الله تعالى ولا رسوله(ص).

وبذلك نصل الى نتيجة وهي إن الذين تولوا حكومة الدولة الإسلامية بإسم خلفاء رسول الله(ص) لا تشملهم الآية الكريمة.

لو قال قائل: إن الإمام علي بن أبي طالب(ع) قد حكم المسلمين بالعدل وأنه آمن بالله تعالى حق الإيمان وعمل صالحاً فيكون هو المقصود بالآية الكريمة.

قلنا:إن الإمام علي(ع) صحيح حكم المسلمين وكان خليفة رسول الله(ص)، وصحيح ان الصفات للموعودين تنطبق عليه إلا أنه لم يحكم جميع الكرة الأرضية المقصودة في الآية

الكريمة، بل حتى لم تمتد حكومته الفعلية الى جميع الدولة الإسلامية آنذاك، لوضوح ان بلاد الشام كانت خارجة عن سلطته.

هذا وهناك عدة روايات مروية عن طريق الفريقين تثبت ان الخلفاء من بعد الرسول(ص) هم اثنا عشر من أهل بيته ونورد منها ما يلي:

١ - أخرج مسلم في الصحيح عن النبي(ص) أنه قال: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر- خليفة كلهم من قريش) ,٣

٢- قال أحمد بن مسروق كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله(ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله(ص) فقال: (اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل)١.

٣- عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله(ص) :(يكون من بعدي اثنا عشر أميراً. قال ثم تكلم بشيء لم افهمه، فسألت الذي يليني فقال: قال كلهم من قريش)٢.

٤- عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: قال النبي(ص):(لا يزال هذا الأمر عزيزاً الى اثني عشر خليفة. قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش)٣.

والذي يريد أن يراجع أكثر يجد في بطون الكتب الحديثية للفريقين بهذا المضمون أكثر من مئتي رواية، فهذا يشكل دليلاً قوياً على ان الخلفاء بعد الرسول(ص) هم اثنا عشر خليفة وكلهم من قريش.

إذن نقطع بأن الآية المباركة(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)هي لا تشمل بني

١- الشيباني، احمد بن حنبل، مسند احمد، ١/ ٣٩٨، والعسقلاني، بن حجر، الصواعق المحرقة، ٢٠، والهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، ٥/ ١٩٠ .

٢- النجمي، محمد صادق، أضواء على الصحيحين، ٣٣٥، والشيباني، الإمام أحمد بن حنبل، مسند احمد، ٥/ ٩٣، والترمذي، احمد بن عيسى، سنن الترمذي، ٣/ ٣٤٠ .

٣- النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ٦/ ٣، والبخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ٨/ ، ١٢٧

٤- الخزاز القمي، أبي القاسم علي بن محمد بن علي، كفاية الأثر، ٤٧، وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١/ ٢٥٤، والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٣٦/ ٢٩٠ .

٥- النمازي، الشيخ علي، مستدرك سفينة النجاة، ٢/ ١٥٨، والكاروني،علي ،معجم أحاديث الإمام المهدي(عج)، ٢/ ٢٦٢.

العباس وبني أمية لأنه لا ينطبق على كل منهما العدد اثنا عشر، هذا بالإضافة الى ان هؤلاء الخلفاء باقون الى قيام الساعة.

بل نستطيع أن نقول إن الخلفاء من بعد الرسول(ص) هم أهل بيته(ع) ونعني بهم الإمام علي وأبنائه المعصومين(ع)، حيث صرحت الأخبار الكثيرة بذلك ومنها :

١ - عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله(ص): (الأئمة من بعدي بعدد نقباء بنى إسرائيل وكانوا اثني عشر، ثم وضع يده على صلب الحسين(ع) وقال: تسعة من صلبه والتاسع مهديهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فالويل لمغضبيهم)٤.

عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله(ص) يقول:(من أحبني وأهل بيتي كنا وهو كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى ثم قال(ص) أخي خير الأوصياء وسبطيّ خير الأسباط، وسوف يخرج الله تبارك وتعالى من صلب الحسين أئمة أبرار، ومنا مهدي هذه الأمة.

قلت يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل)٥.

٣- عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله(ص) يقول للحسين(ع): (أنت الإمام بن الإمام وأخو الإمام، تسعة من صلبك أئمة أبرار، والتاسع قائمهم)١.

---

١ - الخزاز القمي، أبي القاسم علي بن محمد بن علي، كفاية الأثر، ١٧٦، والمفيد، الاختصاص، ٢٠٨، وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١/ ٣٥٤.

نكتفي بهذا العدد من الروايات وفيها كفاية لمن يبحث عن الحق مريداً إصابته، فكلها تقول ان الخلفاء من بعد الرسول(ص) هم اثنا عشر ونص عليهم بأسمائهم وهذا يدل أنهم منصوص عليهم من الله تعالى وهذا يتجلى بوضوح عند سماع حديث الثقلين المنقول من كتب الطرفين.

إذن الاستخلاف الذي في الآية هو لهؤلاء المعصومين لا غيرهم وبما أنه الأولون منهم قد مضوا الى رحمة الله تعالى، فالاستخلاف سوف يحصل على يد قائمهم ومهديهم الذي صرحت به الروايات الكثيرة.

وبذلك تكون الآية المباركة نازلة بحق المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ان ما ذكرناه من جرائم هؤلاء هو غيض من فيض والأمر لا يخفى على أحد من المسلمين. لربما قائل يقول: ان الدولتين العباسية والأموية رغم ارتكابهم الجرائم ولكنهم على أية حال كانوا يمثلون المسلمين واستخلفوا في الأرض ولذلك كان يقال لأي حاكم منهم خليفة رسول الله(ص) فالاستخلاف حاصل.

تقول حتى لو أغضنا النظر عن الجرائم التي ارتكبوها بحق المسلمين كانت حاكميتهم ضمن بقعة جغرافية محدودة ولم يكن على جميع الكرة الأرضية.

ولو جئنا الى قوله تعالى:(ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)نجد ان هذه الآية المباركة ظاهرة في ان الأمن يسود جميع أرجاء المعمورة، ويحل فيها الدين الإسلامي الحنيف من حيث التطبيق محل الديانات

والاعتقادات الفاسدة سواء الإلهية منها والتي نسخت أو الوثنية التي ابتدعها الإسلام من عنده وهذا إذن غير حاصل لحد الآن لما قلناه سابقاً فلا بد أن يكون ذلك الاستخلاف وسيادة الأمن للمؤمنين سوف يكون مستقبلاً بإعتباره وعد من الله تعالى وانه شيئاً له جل وعلا أن يخلف ميعاده، فبناءاً على ذلك سوف يأتي ذلك الوعد آجلاً أم عاجلاً وينعم به المسلمون ويسود العدل والأمان كل المجتمع العالمي الواحد ولا بد لهذا المجتمع من قائد ولا بد أن يكون له أصحاب وأنصار لأن هكذا مهمة جبارة وعظيمة لا تحصل بدون قائد ذا مواصفات خاصة تجعله ينجح في بسط نفوذه على العالم ويكون حاكماً له.

والآن نتساءل من هو ذلك القائد الهمام الذي يحظى بشرف الحاكم الطلق والمخطط الوحيد وصاحب القرار بلا منازع في تسيير الدولة العالمية العملاقة. فهذا القائد هو الذي كان مقصود في هذه الآية المباركة وغيرها وسوف يأتي دور الروايات لتضع النقاط على الحروف مفسرة لمثل هذه الآيات الشريفة إذن تأويل هذه الآية حسب ما جاء في الأخبار والأحاديث الصادرة عن النبي وأهل بيته هو انها جاءت تبشر بالمهدي وأصحابه، فمن هذه الروايات :

١) ورد في تفسير مجمع البيان للطبرسي وكذلك في تفسير العياشي عن الإمام علي بن الحسين(ع) أنه قرأ هذه الآية وقال: (هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله(ص): لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يأتي رجل من عترتي

أسمه على اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)١، جاء من تعليق للطبرسي على ذلك بعد أن نقل تفسير الآية بهذه الرواية والروايات الأخرى (فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي(ص) وأهل بيته(ع) وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف، والتمكن في البلاد، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي(عج).

ثم قال في بعض كلام بعد هذا الكلام (وأيضاً فإن التمكن في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى، فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده)٢.

إن ما ذكرناه من الروايات في تفسير هذه الآية المباركة فيه الكفاية حيث كلها تفيد أنها بحق المهدي(عج).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾٣.

قبل البدء بسرد الروايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة لا بد من تقديم شيء توطئة لذلك، فنقول: إن معنى الإرث هو انتقال الشيء من يد الى يد أخرى بدون مقابل وإنما يكون ذلك لعلاقة خاصة حكم بها الشارع فمثلاً عندما نقول فلان ورث مال فلان لابد أن تكون هناك علاقة أوجبت التوريث كالقرابة أو المسابقة، انما في المقام يرجع الملك الى أهله بعد أن كان مغصوباً لأن الطواغيت والظلمة حكموا الأرض فترات طويلة جداً وأصبحوا

١- القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ٣/ ، ٤٥

٢- ظ. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ٧/ ٢٦٧، وظ. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن ، تفسير جوامع الجامع، ٢/ ، ٦٣١

٣- الأنبياء / ١٠٦ .

هم أصحاب السلطنة وأصحاب التصرف لا فقط في الممتلكات بل ملكوا القرار وتوجيه المجتمع بالجهة التي يريدونها والتي يرونها مناسبة لخدمة مصالحهم ولديمومة سلطنتهم وإذا علمنا وأيقنا بأن هذه السلطة لا بد أن تنتقل الى عباد الله المخلصين وهم الذين يتصرفون في تسيير المجتمع وبأمر من الله تعالى وليس للناس الخيرة في ذلك ولا في كيفيته ولا من هو المسؤول الأول للقيادة فالتنصيب والكيفية والتخطيط هو من قبله تعالى إذن لا بد من حصول هذه الوراثة للأرض وما يتعلق بها من سلطنة وحاكمية وتطبيق الأحكام الإلهية الحقة.

وهذا الأمر غير حاصل لحد الآن لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا حتى جغرافياً إذ لم نسمع أن الأرض بربوعها قد حكمت من قبل المسلمين الصالحين بل على العكس من ذلك لو تتبعنا التاريخ بإنصاف وواقعية نجد ان المخلصين والصالحين ومنذ أن رحل الرسول الأعظم(ص) والتحق بالرفيق الأعلى يعانون ما يعانون من أساليب الظلم القاهرة من قتل ونفي ونهب وسلب وجل ذلك حصل من قبل حكام المسلمين أنفسهم والكل يعرف ذلك بلا حاجة الى ذكر المصاديق والوقائع.

حتى لو تنزلنا وقلنا نكتفي بأن يكون الحاكم مسلم وإن كان فاسقاً وظالماً مصداقاً للحكومة والسلطنة، فحتى هذا القدر غير حاصل لأنه لحد الآن لم يشكل المسلمون قوة بصورة فعلية وواقعية في قبال الأعداء بل حتى القرار السياسي مسلوب من طاولتهم بل هو بيد عدوهم ومأجوريهم لأن الذي يستقرء الأوضاع الراهنة

وحـــال الحكومـــات القائمـــة في الـــبلاد الإســـلامية يـــرى ان هـــذه الحكومـات لا تسـتطع حتـى مـن إدارة أوضـاعها الداخليـة وسياسـتها وفي كيفية التعامل مع أفـراد المجتمـع بـل الأوامـر تـأتي اليهـا مـن الخـارج فبعـد كـل الـذي قـدمنا نسـتطيع الجـزم وبضرـس قـاطع إن الوراثـة غـير حاصـلة لحـد الآن فـنحن إذن بإنتظـار ذلـك الوعـد الإلهـي الـذي يـثلج قلوب المؤمنين الذين لا يهمهم سوى مرضاة الله تعالى.

وبعـد ذكـر هـذه المقدمـة نشـرع الآن بـالتعرض الى الروايـات التي فسرت هذه الآية المباركة :

١ – محمد بن العباس، قـال: حـدثنا احمـد بـن محمـد عـن احمـد بـن الحسـن بـن مخـارق عـن أبي الـورد عـن أبي جعفـر عليـه السـلام، قـال: قولـه عـز وجـل((إن الأرض يرثهـا عبـادي الصـالحون)) قـال: هـم آل محمـد(ص)، إذا أخـذنا مـا جـاء في الروايـة مـن ان الـذي يـرث الأرض هـم آل محمـد(ص)١ و نضـمه الى الأدلـة الدالـة عـلى ان القـائم المهـدي(ع) بـن الإمـام الحسـن العسـكري(ع) هـو الـذي يخـرج في آخـر الزمـان ويمـلأ الأرض عـدلاً وقسـطاً كـما ملئـت ظلـماً وجـوراً وهـو الذي يتـولى هـذا الأمـر فيكـون نـزول الآيـة بحـق الهـدي(ع) وأصـحابه الصالحين.

---

١ – البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ٣/ ٤٧ .
٢ – المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٩/ ١٢٦، والكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي(عج)، ٥/ ٢٦٢ .
٣– ظ. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٩/ ٢٢٤ .
٤ – ظ. القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، ٢/ ٣٩٧، وظ. الطبرسي، أبي علي الفضـل بـن الحسـن، تفسـير جوامع الجامع، ٢/ ٣٧٨ .
٥ – المدثر/ ٨–٩ .

٢- عنه قال: حدثنا احمد بن محمد بن الحسن عن أبيه الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن أبي جعفر(ع)، قال: قوله عز وجل ((إن الأرض يرثها عبادي الصالحون)) هم أصحاب المهدي(ع) في آخر الزمان٢.

١- علي بن إبراهيم في معنى الآية، قال: الكتب كلها ذكر الله إن الأرض يرثها عبادي الصالحون قال القائم(ع) وأصحابه٣.

فبشر الله تعالى إن نبيه(ص) في أن آل بيته(ع) هم الذين يملكون الأرض في آخر الزمان٤.

الآية الرابعة : قوله تعالى : (فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين غير يسير) ٥.

من الروايات التي جاءت في تفسير الآية المباركة وبيان سبب نزولها :

١- محمد بن يعقوب عن أبي علي الأشعري عن محمد بن حسان عن محمد بن علي عن عبد الله بن القاسم عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله(ع) في قوله عز وجل ((فإذا نقر في الناقور)) قال: (إن منا إماماً مظفراً مستتراً فإذا أراد الله عز وجل إظهار أمره نكت في قلبه نكتة فظهر فقام بأمر الله تعالى)١.

٢- ابن بابويه قال حدثني أبي ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما قالا حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن

١- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ١/ ٣٤٣.

٢- القمي ، ابن بابويه ، الإمامة والتبصرة ، ١٢٣ ، والصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة ، ٣٤٩ ، والنعماني، محمد بن إبراهيم ، كتاب الغيبة، ١٨٧.

القاسم عن المفضل بن عمر قال سألت أبا عبد الله(ع) عن تفسير جابر، فقال(ع): لا تحدث به السفلة فيذيعوه أما تقرأ كتاب الله عز وجل ((فإذا نقر في الناقور)) إن منا إماماً مستتراً فإذا أراد الله عز وجل إظهار أمره نكت في قلبه نكتة فظهر وأمر بأمر الله عز وجل٢.

إذا عرفنا ذلك يكون من الطبيعي جداً ان ظهور المهدي(عج) سوف يكون فيه خوف ورعب للظالمين والكافرين، لأنه يريد تنفيذ أمر الله تعالى وهم يريدون الاستمرار في غيّهم وظلمهم للناس، فيكون ذلك اليوم أشد عليهم من أي يوم لأنه فيه نهايتهم ونهاية ظلمهم وملكهم، والعسر بالنسبة للكافرين يكون من عدة جوانب:

الجانب الأول : ذهاب سلطانهم وإذلالهم والاقتصاص منهم ومما لا شك فيه ذلك يكون عسير عليهم.

الجانب الثاني : فضحهم بين الناس وإظهار نفاقهم وتعرية شعاراتهم التي كانوا يطرحونها بإسم الحضارة والتقدم والحرية وحقوق الإنسان وما شابه ذلك.

الجانب الثالث : إنهم لا يطيقون أن يرو عبيدهم ومحكوميهم سابقاً يصبحوا ف عز والأمور تنتقل اليهم ويكونون أصحاب القرار بعد أن كانوا لا حول لهم ولا قوة.

الجانب الرابع : يتبين لهم خسارتهم الكبيرة لأن همهم الوحيد هو الدنيا وملذاتها فإذا ضاعت من أيديهم أصابهم الإحباط، لأن الذي يفقد كل أمله ماذا يبقى لديه، خصوصاً وأنهم أما أن لا يؤمنوا بالآخرة وأما أن يكونوا قد شعروا بالإفلاس منها بسبب ما ارتكبوه من جرائم وظلامات للناس، فعلى كلا التقديرين أن ثمنهم هو في الدنيا فإذا جاء أحد وأخذ منهم ذلك الثمن سوف يصبحون في

موقف لا مثيل له من العسر والضيق النفسي والاجتماعي بسبب إفلاسهم من كل شيء حتى حياتهم الدنيوية.

فظهور الإمام المهدي(عج) ليس من مصلحتهم قطعاً، لأن خروجه انما هو لقطع دابر الظالمين ودك معاقلهم أينما كانوا.

إلى هنا نكتفي بهذا القدر من الآيات القرآنية التي تدل على وجود الإمام المهدي(عج) بعد تأويلها، حيث دلت على ذلك الروايات الصادرة عن الرسول الأكرم(ص) وأهل بيته الطاهرين وكما نقلناها بطرقها المختلفة.

وأحجمنا عن التطرق الى عشرات الآيات الأخرى وذلك لأن هذا البحث مبني على الاختصار. والذي يريد أن يطلع أكثر فعليه مراجعة كتاب المحجة فينا نزل بالقائم الحجة حيث يحتوي على جميع الآيات التي تخص القائم الحجة(عج).

المبحث الثاني

المهدي في السنة النبوية الشريفة

وفيه مطلبان: المطلب الأول: المهدي(عج) في الأخبار والروايات، والمطلب الثاني: نسب الإمام المهدي(عج).

المطلب الأول

المهدي(عج) في الأخبار والروايات

إن كتب المسلمين على اختلافها والتي تعتبر جامعة للروايات الصادرة عن الرسول(ص) تحتوي على كم هائل من الأخبار

المتعلقة بالمهدي(عج) حيث وردت بطرق متعددة ومختلفة ولولا أهمية المسألة وضروريتها لما أعطيت هذا الاهتمام من الرسول الأعظم(ص) وأصحابه والرواة، حتى لم نجد في السنة النبوية أخبار أكثر مما ورد حول هذه المسألة العقائدية المهمة حتى بلغت المئات على أقل التقادير مما شكلت تواتراً لا نظير له، ومن المعلوم أن التواتر من الأدلة القطعية الذي لا يحتمل الخلاف فيه وهذا يعني أن مسألة المهدي(عج) مقطوع بها.

وينبغي الالتفات الى أمر مهم وهي أن المسألة من المسائل الضرورية والتي لها دخل في إتمام الشريعة المقدسة وامتداد للرسالة المحمدية السمحاء ويأتي عظم هذه المسألة من خلال ذلك الارتباط الوثيق بين بعثة النبي(ص) وخروج المهدي(عج) في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومعنى ذلك ان الإيمان برسالة سيد المرسلين(ص) لا يكفي ولا يجزي إلا من خلال الإيمان بمتمماتها ومسألة المهدي(عج) وخروجه منها.

ومن هنا يكمن تركيز الرسول الأعظم(ص) على مسألة المهدي(عج) وفي مناسبات عديدة حتى أشبعت الكتب الروائية بمضامينها على أساس إن الرسالة لم تكتمل ما لم يبلغ الرسول(ص) هذا الأمر الى الناس، لذلك عد في بعض الروايات ان الذي ينكر مسألة المهدي المنتظر يعتبر كافراً، لأن ذلك بمثابة إنكار الرسالة ككل حيث ورد عن الرسول(ص) إنه قال: (من أنكر خروج المهدي(ع) فقد كفر بما أنزل على محمد(ص)...)١.

---

١ - القندوزي، سليمان بن ابراهيم، ينابيع المودة، ٣/ ، ٢٩٥، ٣٨٣

وهـا نحـن نختـار ذكـر بعـض الروايـات الـواردة مـن الفـريقين وبأسـانيد مختلفـة بخصـوص ظهـور المهـدي(عـج) آخـر الزمـان لـيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ولو أردنـا ذكـر كـل الروايـات لطـال بنـا المقـام لـذلك نـذكر منهـا مـا يناسـب هـذا المختـصر وفضـلنا أن نـورد بعـض الروايـات والأحاديـث التـي نقلـت في كتـب السـنة المعتـبرة لـديهم، ومـن هـذه الروايات:

١- عـن أبي مسـعود: قـال عـن النبـي(ص)، قـال:(لا تـذهب الدنيا حتى يلي أمر أمتي رجل من أهل بيتي يقال له المهدي)٢.

٢- عـن الطفيـل عـن عـلي(ع) عـن النبـي(ص)، قـال: (لـو لم يبـق مـن الـدنيا إلا يـوم واحـد لطـول الله ذلـك اليـوم حتـى يبعـث الله فيـه رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي... الحديث)١.

٣- قـال رسـول الله(ص): (المهـدي مـن ولـدي ابـن أربعـين سـنة كأن وجهـه كوكـب دري في خـده خـال أسـود عليـه عباءتـان قوانيتـان*

٢- الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ١٨٣، والشيباني، احمد بن حنبل، مسند احمد، ١/ ٣٧٧، وبلفظ قريب الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ٣/ ٣٤٣، والطبراني، محمد بن جرير، المعجم الصغير، ٢/ ١٤٨، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٥١٣.

١- أبي داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ٢/ ٣٠٩.

*كوفيتان.

٢- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، ٧/ ٣١٩، وأبو القاسم الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب، مسند الشاميين، ٣/ ٤١٠، والعسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، ٤/ ٣٨٤.

٣- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، ميزان الاعتدال، ٤/ ٤٣٤، وأبو فتح الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ٣/ ,٢٨٨

٤- الديلمي الهمداني، شيرويه بن شهردار، الفردوى بمأثور الخطاب، ٤/ ٢١.

٥- أبو داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ٢/ ,٣١٠

٦- المصدر نفسه.

٧- البخاري، محمد بن إسماعيل، ٤/ ,١٤٣

٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،٣٦/ ٣٦٧، والماحوزي، سليمان بن عبد الله، كتاب الأربعين، ٢٠٩، وابن أبي فتح الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأمة، ١/ ٥٢.

كأنه من رجال بني إسرائيل يملك عشرين سنة يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك)٢.

٤- قال رسول الله(ص): (يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيها منادي ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه)٣.

٥- عن الرسول(ص) قال: (المهدي رجل من ولدي وجهه كالقمر الدري، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)٤.

ولولا أن مسألة المهدي حقيقة مسلمة لما قال الإمام الحسين(ع): لو قام لأنكره الناس لأن عدم وجوده لا ينسجم مع الإنكار فالإنكار متفرع على الوجود.

٦- عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله(ص) يقول:(المهدي مني، أجلى الجبهة أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين)٥.

٧- ما أخرجه أبو داوود بسنده في صحيحه يرفعه الى علي(ع) قال: قل رسول الله(ص): (لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً)٦.

٨- ما رواه القاضي بن محمد الحسين بن مسعود البغوي ف كتابه شرح السنة ج٨ ص٣٢٥٢ وأخرج الإمامان البخاري ومسلم كل منهما بسنده في صحيحه يرفعه الى أبي هريرة، قال: قال رسول الله(ص):(كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)٧.

٩- نقلاً عن الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره يرفعه بإسناده الى أنس بن مالك، قال: قال رسول

الله(ص):(نحن ولد عبد المطلب سادة الجنة، أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي)٨.

١٠- ما أخرجه الراوندي مرسلاً عن الإمام موسى بن جعفر(ع) في حديث عن المهدي يقول فيه: (إذا كان وقت خروجه انتشر العلم بنفسه فناداه العلم أخرج يا ولي الله، اقتل أعداء الله، وله سيف إذا حان وقت خروجه اقتلع السيف من غمده فناداه السيف أخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله)١.

١١- ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله قالا: قال رسول الله(ص):(يكون في الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده)٢.

١٢- أخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري إن النبي(ص)، قال: (يكون في أمتي المهدي.. الى أن قال(ص): فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط)٣.

١٣- أخرج ابن حجر عن الروياني والطبراني في حديث لرسول الله(ص) إنه قال:(يرضى بخلافته أهل السماء والطير في الجو).

وفي بعض الروايات والطير في الهواء ويملك عشرين سنة ٤.

١- الراوندي، قطب الدين، الخرايج والجرايح، ٣/ ، ٥٥١
٢- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ٨/ ١٨٥ .
٣- القزويني، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ٢/ ١٣٦٦ .
٤- المصدر نفسه، ٩٨ .
٥- الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد، ٤/ ٤٦٥ .
٦- الخزاز القمي، أبي القاسم علي بن محمد بن علي، كفاية الأثر، ٢٢٤ .
٧- المازندراني، مولى محمد صالح، شرح أصول الكافي، ٦/ ٢٤٥، والجوهري، احمد بن عياش، مقتضب الأثر، ١٠، والقندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ٣/ ٣٩٥ .

١٤- وأخرج الحاكم النيسابوري بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي(ص):(يرضى منه ساكن السماء وساكن الأرض.. تتمنى الأحياء والأموات مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره)٥.

١٥- في كفاية الأثر: الحسين بن علي بن هارون بن موسى عن محمد بن همام عن جعفر بن مالك الفرازي عن الحصين بن علي عن فرات بن أحنف عن جابر بن يزيد الجعفي عن محمد بن علي الباقر عن علي بن الحسين زين العابدين قال: قال الحسين بن علي: (الأئمة عدد نقباء بني إسرائيل ومنا مهدي هذه الأمة)٦.

ومن المعلوم أن نقباء بني إسرائيل هم اثنا عشر نقيباً يعني (خليفة) فهذا يعني أن الخلفاء أو الأئمة بعد الرسول(ص) اثنا عشر ومنهم المهدي(عج) وينفعنا أيضاً في أنه(عج) متصل بسلسلة الخلفاء الاثني عشر فإذا ثبت ذلك نستطيع القول إنه مولود وحي يرزق الى الآن لأنه يأتي بعد إحدى عشر خليفة ولا يمكن أن تخلو الأرض منهم جميعاً في فترة من الفترات لأنه لو خلت الأرض منهم جميعاً يكون ذلك مخالفاً لمقتضى الخلافة.

١٦- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق (رحمه الله): العطار عن أبيه عن ابن عبد الجبار عن أحمد بن محمد بن زياد الأزدي عن أبان بن عثمان عن ثابت بن دينار عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (عليهم السلام)،قال: قال: قال رسول الله(ص):(الأئمة من بعدي إثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها.... الحديث)٧.

١٧ - وفيه أيضاً: الحسن بن محمد سعيد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم عن محمد بن علي بن احمد الهمداني عن العباس بن عبد الله البخاري عن محمد بن القسم بن إبراهيم عن عبد الله بن القسم بن أبي بكر عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن رسول الله(ص): انه قال في حديث ذكر فيه كلام طويل بحق الأئمة والأنبياء والملائكة وبعض الوقائع في إعراجه الى السماء فقلت:(يا رب ومن أوصيائي فنوديت يا محمد ان أوصيائك المكتوبون على ساق العرش فنظرت وأنا بين يدي ربي الى ساق العرش فرأيت اثنا عشر نوراً وفي كل نور سطراً أخضراً مكتوب عليه اسم كل وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصيائك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك وعزتي وجلالي لأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخرن له الرياح ولأذللن له الرقاب الصعاب ولأرقيه في الأسباب ولأنصرنه بجندي ولأمرنه بملائكتي حتى يعلو دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي ثم لأدين ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي الى يوم القيامة)١.

---

١ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا، ٢/ ٢٣٨، والبحراني، سيد هاشم، حلية الأبرار، ٢/ ٣٩٩، والنمازي، الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، ٨/ ٢١٧، والقندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ٣/ ٣٧٩ .

هـذه الروايـات كلهـا تـدل دلالـة واضـحة عـلى ان هنـاك رجـل يقال لـه المهـدي سـوف يظهـر آخـر الزمـان يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كما ملئـت ظلـماً وجـوراً وهـذا يعنـي استناداً الى مفـاد هـذه الروايـات ان المهدي(عج) لابد أن يظهـر قبـل يـوم القيامـة وأنـه عهـد معهـود وكتـاب موقـوت وان الرسـالات السـماوية لم تكتمـل بعـد حتـى يتحقـق هـذا الأمـر فـلا مجـال لإنكـار خـروج المهـدي عـلى ضـوء السـنة النبويـة لأن الأخبـار الـواردة كثـيرة جـداً وقـد بلغـت حـد التـواتر وذلـك يعنـي حصـول القطـع واليقـين هـذا عـلى الـرغم مـن أن أكثـر الروايـات التـي اخترناها هي من كتـب أهـل العامـة ومـن المصـادر المعتـبرة لـديهم والتـي يعـدون بعضـها في قـوة القـرآن الكـريم مـن حيـث السـند والدلالـة خصوصـاً صـحيحي البخـاري ومسـلم. وتعتـبر هـذه الكتـب الصـحاح لدى أبناء العامة من مصادر التشريع الرئيسية بعد القرآن الكريم.

إذن بعد كـل ذلـك لا مجـال للإنكـار، والـذي ينكـر لابـد أن يكـون معاند لما هو مسـلم ومقطـوع بـه ولم ينصـف نفسـه وإلا كيـف يسـمح لهـا أن تخـالف مـا هـو قطعـي يقينـي ومنسـجم مـع مقتضـى الحكمـة والعقلانية.

المطلب الثاني

نسب الإمام المهدي(عج)

لقـد اختلـف المسـلمون في نسـب الإمـام المهـدي(عـج) عـلى الرغم من كثرة الروايـات الدالـة عـلى نسـبه الشـريف وتفـرع ذلـك عـلى اخـتلافهم في ولادتـه وعـدمها، فالشـيعة الإماميـة الإثنـي عشريـة الجعفرية وبعـض علـماء العامـة يعتبرونـه هـو ثـاني عشـر الأئمـة علـيهم

السلام وانه الآن حي يرزق وهو غائب، والبعض الآخر من العامة يقولون بأنه من بني العباس وإنه غير مولود. وهناك أقوال في نسبه(عج) لا داعي لذكرها هنا وسوف نتطرق لذلك أثناء البحث عن آراء الفرق والمذاهب الإسلامية في الإمام المهدي(عج).

وتوجد هناك روايات كثيرة تدل على أن الإمام المهدي(عج) هو من آل بيت الرسول(ص) وإنه من ولد فاطمة عليها السلام.

والآن نذكر بعض الروايات الدالة على ذلك :

١- جاء عن الرسول الأعظم(ص) أنه قال:(لا تقوم الساعة حتى تمتليء الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي - أي من أهل بيتي – يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)١.

٢- عن الرسول الأكرم(ص)، قال:(لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي)٢.

٣- قال رسول الله(ص):(لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من أهل بيتي، أجلى، أقنى، يملي الأرض عدلاً كما ملئت من قبله ظلماً يملك سبع سنين)٣.

---

١ - الطبري الشيعي، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ٤٦٧، والسبني الفارسي، محمد بن حبان بن احمد، صحيح بن حبان، ١٥/ ٢٣٦، وابن حنبل، احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢٨/ ٣٦، والمتقي الهندي، وعلاء الدين علي، كنز العمال، ١٤/ ٢٧١، والموصلي التميمي، أبي يعلى، مسند أبي يعلى، ٢/ ٢٧٤ .

٢ - ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٥١٣، ووالطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب، المعجم الأوسط، ٧/ ٥٤، والبيهقي، احمد بن الحسين، الاعتقاد، ١/ ٢١٥، والخطيب البغدادي، احمد بن علي، موضع أوهام المجمع والتفريق، ٢/ ٧١ .

٣- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند احمد، ٣/ ١٧، والمتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال، ١٤/ ٢٧٠، والسيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، ٦/ ٥٧، ومحمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ١٧٢، وقريب باللفظ والمعنى السبتي الفارسي، محمد بن حبان بن احمد، صحيح بن حيان، ٥/ ٢٣٨، وبنفس المعنى الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٦٠٠، وأبو داوود، السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ٤/ ١٠٧ .

٤ - الشيباني، احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢٨/ ٧٠ .

٤- قال رسول الله(ص):(تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ثم يخرج رجل من عترتي، يملك سبعة وتسعة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً)٤.

٥- حدثنا الحسين بن احمد بن إدريس رضى الله عنه قال: حدثنا أبي عن محمد بن الحسين بن يزيد الزيات عن الحسن بن موسى الخشاب عن ابن سماعة عن ابن الحسن رباط عن أبيه عن المفضل بن عمر قال: قال الصادق جعفر بن محمد(ع):(إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً بألف عام فهي أرواحنا فقيل له يا ابن رسول الله من الأربعة عشر ؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين وآخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويطهر الأرض من كل جور ويطهر الأرض من كل جور وظلم١.

٦- قال رسول الله(ص):(من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته فمات فقد مات ميتة جاهلية)٢.

إن هذا الحديث صريح بأن الإمام المهدي من ولده وأهل بيته، وفيها دلالة أيضاً على بقائه حياً وذلك واضح جداً من عبارة في

١- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة، ٢٣٥-١٣٦، الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى، ٢/ ,١٦٧

٢- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة، ٤١٢/ ,٤١٣

٣- القزويني، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ٢/ ١٣٦٨، وفي شرحه ١/ ٣٠٠، والمزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، ٩/ ٤٣٧، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، العلل المتناهية، ٢/ ٨٦٠، والطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب، المعجم الكبير، ٢٣/ ٢٧٦ .

٤- الحلي، محمد بن محمد بن النعمان، منهاج الكرامة،٦٥، والنجفي، بهاء الدين، منتخب الأنوار المضيئة،٨٩ .

٥- نعيم بن حماد، الفتن، ١/ ٣٦٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٢/ ٢٧٩، والمغربي، أبو عمرو عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن، ٥/ ٩٥٧، والدمشقي، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٥٥ .

٦- نعيم بن حماد، الفتن، ٣٧١ .

زمان غيبته، وكذلك الأخبار من قبله(ص) ان الذي يموت وهو منكر لوجود القائم(عج) فتكون ميتته ميتة جاهلية على انه يموت بدون دين ولا معتقد وهذا دليل على ان الإيمان بالإمام المهدي(عج) ووجوده وانه غائب من ضروريات الدين الإسلامي.

٧- عن أم سلمة رضي الله عنها: سمعت الرسول(ص)، قال:(المهدي من ولد فاطمة... الحديث)٣.

٨- منهاج الكرامة: عن ابن عمر، قال: قال رسول الله(ص):(يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كإسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)٤.

٩- ابن حماد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عطية بن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي(ص)، قال:(يخرج رجل من أهل بيتي عن انقطاع من الزمان، وظهور من الفتن، يكون عطاءه حثياً، يقال له السفاح)٥.

١٠- ابن حماد: حدثنا الوليد عن شيخ عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي(ص)، قال:(... هو رجل من عترتي يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي)٦.

١١- الطبراني الصغير، حدثنا احمد بن محمد العباس المدي القنطري حدثنا حرب بن الحسن الطحان حدثنا حسين بن الحسن الأشقر حدثنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية يعني بن ربعي عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله(ص) لفاطمة:(نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمك أبيك الحمزة، وفينا من له جناحان يطير بهما في الجنة

حيث يشاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي.... الحديث)١.

وتوجد هناك عشرات الروايات الأخرى موجودة في كتب الفريقين المعتبرة لديهم وأحجمنا عنها توخياً للإختصار ولوضوح المسألة.

إذن ثبت لنا من خلال استعراض الروايات ان المهدي(عج) هو من أهل بيت الرسول(ص) وانه من ولد فاطمة وانه موجود غائب حي يرزق.

واعتمدنا في نقل أكثر هذه الروايات من كتب أهل العامة حتى نستطيع أن نقول وبملىء الفم لكل معاند مشكك ان كتب المسلمين المعتبرة بكافة مذاهبهم مليئة بمسألة الإمام المهدي المنتظر(عج) وتفاصيلها ويستطيع الباحث المنصف أن يراجعها ان شاء حتى يصل الى الحقيقة الناصعة.

المبحث الثالث

خروج المهدي(عج) ضرورة لا بد منها

سوف نعالج ذلك من خلال طرح نظرة تحليلية في التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات العالمية وتقييم الإطروحات الماضية والحاضرة.

الذي دعانا الى عقد هذا المطلب هو ظهور تيارات سياسية واطروحات اقتصادية وعدت المجتمع بتحقيق السعادة الأبدية له، وكل منها يزعم هو النظام المثالي الذي يجب أن يتبع. فلربما لقائل أن

---

١ – الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب، المعجم الصغير، ١/ ٧٥، ومثله ظ. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، ٩/ ١١٦، والقاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار، ٢/ ٥١٠ .

يقول ان الاطروحات التي مرت بالعالم قد تكون كفيلة بحل مشاكل المجتمعات وتحقيق السعادة لها وبالتالي لا تبقى أي فائدة الى ظهور شخص يتكفل هذه المهمة خصوصاً وانه من الممكن ان يأتي بأطروحة لا تنسجم مع مزاج وذوق المجتمعات القائمة على الكرة الأرضية، وبالتالي يكون هذا الشخص أمام أحد احتمالين في كيفية التصرف مع النمط السائد في المجتمع.

الاحتمال الأول: أن يتنازل عن كل ما جاء به أو بعضه، ومعنى ذلك أصبح مجيئه لغواً، لأنه سوف يخالف الغاية التي جاء من أجلها فيكون ناقضاً لغرض المولى الذي أوكل اليه مهمة تحقيق العدالة والقضاء على الظلم وأهله، فكيف يرضى المولى أن يكون ذلك الشخص المبعوث أسيراً لأهواء الظالمين والمتمردين.

الاحتمال الثاني: أن يمضي بما جاء به من تعاليم وقوانين ويفرض ذلك بالقوة متى ما كانت ضرورية، فلكي يطبق العدالة التي جاء بها والقوانين المؤدية اليها لابد له أن يستخدم القوة ويدخل الحروب مع هؤلاء المتمردين، ومن المعروف أن الحرب لا تكون بدون ضحايا وخسائر ودمار وهذا مما له اثر سلبي على المجتمع وأمنه، فالمجتمع الذي يتطلع الى العدالة والسعادة يصبح مهدد بالموت والدماء وانعدام الأمن، إذن لو يبقى المجتمع على حالة أفضل من دخوله في حروب تجلب الموت والجوع والخوف.

قبل أن نذكر الاطروحات السياسية وتقسيماتها نحاول الإجابة على هذه الشبهة فنقول :

أولاً : ان ذلك المصلح لم يأتي ليجامل المجتمع أو ليجري وفق هواهم بل جاء بالدستور الإلهي لتطبيقه على أرض المعمورة ونشر العدالة بين ربوعها ليضع كل شيء في موضعه المناسب.

ثانياً : من قال ان صحة الشيء ومعياره هو انسجامه مع ذوق المجتمع أو عدم انسجامه معه، ان كل الأنبياء عندما بعثوا شن عليهم المجتمع حرباً حتى قتل أكثر الأنبياء على يد المجتمع، فلا يعني ذلك ان ما قام به المجتمع من هذه الأعمال له ما يبرره بحجة ان الذي جاء به هذا النبي مثلاً لا يتماشى مع مصالحهم وتوجهاتهم، حتى ان نبينا(ص) لاقى ما لاقى من المجتمع في مكة عند بداية دعوته فجمعوا الحطب لكي يحرقوا البيت عليه وحاولوا اغتياله عدة مرات مما اضطر الى ترك مكة والهجرة هو وأصحابه الى المدينة المنورة وهو القائل (ما أوذي نبي مثل ما أذيت).

إذن المسألة ليست راجعة الى ذوق المجتمع والحال انه لا يعرف ما ينفعه وما يضره.

وثالثاً : أما ما يتعلق بالشق الثاني والذي مفاده أن المجتمع سوف يتعرض للخسائر المادية والمعنوية والبشرية نقول في معرض الرد على ذلك: لا يعني ذلك أن ما جاء به هذا المصطلح هو ليس صحيحاً وذلك غير كافٍ لوصف ان ما جاء به سوف يعدم الأمن ويزيد المجتمع تدهوراً، فإن القتل في المجتمع قد حصل في زمن الأنبياء وخاصة نبينا محمد(ص) سواء من المؤمنين أم من المشركين والمنافقين وهذا لا يعني أن الأمن مفقود بل لعله على العكس من ذلك إذ من الطبيعي ان الذي يأتي لتحقيق غاية كبرى ولإقرار شريعة سماوية ورسالة إلهية سوف يرى العناء الكثير، فلكي يحقق

الأمـن والعدالـة للمجتمـع لابـد لـه مـن خلـق مقدماتـه ومـن بينهـا القضـاء عـلى الظـالمين والمفسـدين وحـسر نفـوذهم وهـذا أسـلوب طبيعي خصوصـاً ونحـن نعتقـد انـه(عـج) لا يخـرج الا اذا تفـاقم الظلـم وانتشر في أرض المعمورة.

والآن جـاء دور ذكـر الأطروحـات السياسـية والاقتصـادية التـي اعتبرت مـن أفضـل الـنماذج التـي مـر بهـا العـالم وهـذا مـا نبحثـه ضـمن مطلبين :

الأول : الاطروحات والأنظمة السياسية:

وفي هـذا المطلـب سـوف نتـوخى الاختصـار لوضـوح الخلـل الذي شكل مظهراً من مظاهر هذه النظم.

١ – النظام الملكي:

وهو نظـام قـبلي أيضـاً تقـوم العائلـة المالكـة بموجـب هـذا النظـام بـإدارة أمـور المجتمـع والدولـة وتعطـى بعـض الوظـائف الصـغيرة الى أشـخاص مـوالين للعائلـة المالكـة التـي تحـتفظ لأفرادهـا بالمناصـب السياسية والعسكرية المهمة.

ان الملكيـة لا تقـوم عـلى أسـاس التوسـع والأطـماع الخارجيـة بـل لها حدود جغرافية مستقرة والعدد السكاني محدد ومعلوم.

يوجـد عـلى رأس المملكـة رجـل يسـمى بالملـك ويتمتـع بـالنفوذ السـياسي والاجتماعـي والاقتصـادي الغـير محـدود وعـادة يكـون مـن الأثريـاء جـداً، وتطلـق عليـه مسـميات ومصـطلحات رمـزاً للقدسـية والمكانـة التـي يحظـى بهـا، مثـل صـاحب الجلالـة أو مـا شـابه ذلـك، ويتـولى أبنـاء الملـك وإخوانـه المناصـب السياسـية والعسـكرية المهمـة،

وهم يتصرفون بأموال وخيرات المملكة كما يحلو لهم، لأن القانون المعد سلفاً هو بالأساس مكرس لخدمتهم حتى وان وجدت فيه بعض الفقرات التي ظاهرها الحد من نفوذهم فهم خارجون عنها تخصصاً، لأن القانون إنما شرع لحماية مصالح العائلة المالكة والحد من نفوذ الآخرين، فالقانون قابل للتغيير والتأويل والتوجيه بحسب ما تتطلبه مصالح العائلة المالكة١.

مثلاً نصت المادة الخامسة في فقرتها الثانية من الدستور السعودي: (يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء....)٢.

إذن هذا النظام الملكي بهذا الطرح الذي طرحناه كما هو الواقع فهو نظام دكتاتوري مستبد وبموجبه يكزن الأفراد كالعبيد لا حول ولا قوة لهم ان شاءوا أعطوهم وان شاءوا منعوهم، فلا يوجد لا حسيب ولا رقيب، فكل ما يقوم به هذا النظام دائماً صحيحاً ويجب على الشعب قبوله حتى وان كان مؤدياً الى الاضرار بهم، فالمهم هو سعادة ورخاء العائلة المالكة، إذن هو نظام ظالم ويمثل الظلم بأجلى إشكاله ومصاديقه فضلاً عن هو مؤهلاً لتحقيق العدالة، بل هو من الذين سوف يكون ألد خصوم الإمام(عج) ومن أعدائه الحقيقيين.

٢- النظام الجمهوري :

لا يختلف حال الأنظمة الجمهورية عن الأنظمة الملكية كثيراً بل أحياناً يكون الاختلاف باللفظ والشكل وسوف يتبين ذلك من

١- ظ. السلمان، د. عبد العزيز محمد، نظم الرقابة على دستورية القوانين، ٢٣.
٢- ظ. النظام الأساسي في المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ، المادة الخامسة.

خلال البحث عن اقسام الأنظمة الجمهورية وهي عادة تكون على ثلاثة أقسام :

أولاً : نظام الحزب الواحد: هذا النظام يسمح لتنظيم سياسي واحد فقط وهو الذي لايتولى قيادة وإدارة الدولة بواسطة عدد من أعضاءه على أن يكون لهم رئيس يشغل منصب رئيس الجمهورية وكذلك الأمين العام للحزب الحاكم، وليس من الضروري أن ينتمي كل أفراد الشعب الى الحزب بل يكفي ولائهم وعدم معارضتهم له، وتعتبر مصلحة الحزب وأعضاءه فوق كل شيء وان كانت الشعارات المطروحة تقول خلاف ذلك وتصور أعضاء الحزب أولئك الفقراء والمضحين والمناضلين الذين تحملوا ويتحملون المتاعب والمصاعب من أجل أبناء الشعب.

ومثالاً لذلك في مصر إذ عندما كتب دستور ١٩٥٦م نص على أن يكون للبلاد تنظيماً سيلسياً واحداً فقط وحل جميع التنظيمات والأحزاب السياسية ١.

ويحظر هذا الحزب التعددية الحزبية والسياسية ويعتبر كل حزب يبرز على الساحة بأنه مخالف للقانون ويحاول النيل من سيادة الوطن وكرامته ويتهم ذلك الحزب أو التنظيم السياسي بالعمالة للأجنبي، وكلما جاء حزب معين تلصق به تهمة العمالة للأجنبي والخيانة للشعب لذلك بحسب زعم هؤلاء لا بد أن يقاوم ويصفى أعضاؤه وفقاً للدستور بإعتبارهم خانوا الوطن وحاولوا زعزعة أمنه واستقراره.

١- الشافعي، محمد أبو راس، النظام الدستوري المصري، ٢٢ .

وتعتبر المؤسسة العسكرية من أهم المؤسسات التي تهتم بها الحكومة وتعهد قيادة هذه المؤسسة ووحداتها الى أعضاء الحزب، وذلك لأن الغرض من بناء هذه المؤسسة هو لحماية الحزب وأفراده وإحكام السيطرة عليها بما ينسجم مع هذه الغاية المهمة بنظرهم.

ثانياً : نظام الحزب القائد: وهو نظام يقوم على وجود حزب يقود المجتمع والدولة وتعهد اليه الإدارة الفعلية لمرافق الدولة ومؤسساتها المهمة، على أن يسمح الدستور للتنظيمات والأحزاب السياسية الأخرى أن تمارس دورها السياسي على مستوى الصعيد الفكري والإيديولوجي بشرط عدم الإخلال بالأمن وعدم المعارضة للحزب القائد، وتتعهد هذه الأحزاب بمراعاة القوانين والمحافظة على استقرار البلد ووضع مصالحه العليا فوق اعتبارات الأهداف الخاصة بالحزب، وللحزب القائد الذي يمثل الحكومة الفعلية حل أي حزب متى ما رأى ان ذلك الحزب يضر بمصلحة البلد، وأعضاء السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية أغلبهم يكونون من المنتمين للحزب القائد بشكل يضمن مصالح هذا الحزب وفرض إرادته وتحقيق أهدافه.

وأبرز مثال على ذلك هو الدولة العراقية من سنة ١٩٦٨م حتى عام ٢٠٠٣م.

أما بالنسبة للجيش: يتظاهر مثل هذا النظام عدم السماح للتنظيمات والأحزاب السياسية بما فيها الحزب القائد من امتداد نفوذها وتنظيماتها الى داخل القوات المسلحة سواء على مستوى القيادات أم على مستوى الجنود، بمعنى ان هؤلاء مستقلون ولا

ينتمـــون الى تنظـــيم ســـياسي، والـــذي يثبـــت أنـــه انتمـــى الى التنظـــيمات السياسية سوف يقدم للمحاكمة ويطرد من القوات المسلحة.

ولكـــن الـــذي يســـتقريء مثـــل هـــذه الأنظمـــة يجـــد ان قيـــادات الجـــيش الحساســـة توكـــل الى أفرادهـــا مـــن الحـــزب القائـــد وان كـــانوا مستقلين شكلياً وصورياً.

وهكـــذا حـــال الســـلطة القضـــائية حيـــث يعلـــن في الدســـتور ان الـــذين يتولـــون مهمـــة هـــذه الســـلطة يجـــب أن يكونـــوا مســـتقلين وغـــير منتمين إلى الأحـزاب والتنظـيمات السياسـية لكـن الواقـع غـير ذلـك، بـل كلهـــم موالـــون الى الحـــزب القائـــد وان تظـــاهروا بالاســـتقلالية والحيادية.

ورئـيس الجمهوريـة هنـا ينتخـب مـن داخـل أفـراد الحـزب القائـد نفســـه، لا مـــن قبـــل الشـــعب ولا يحـــق لغـــير أفـــراد الحـــزب الترشـــيح لمنصب رئاسة الجمهورية.

ثالثـاً : النظـام الجمهـوري في ظـل التعدديـة الحزبيـة والسياسـية المتكافئة :

وهـــو نظـــام ظـــاهره القيـــام عـــلى أســـاس الفـــرص السياســـية والفكريـة المتكافئـة والـذي يفـوز بالانتخابـات البرلمانيـة بأكثريـة المقاعـد يتـــولى رئاســـة الحكومـــة وتكـــون الإدارة الفعليـــة بيـــد رئـــيس الـــوزراء وحكومتـه، وأمـا رئـيس الجمهوريـة الـذي ينتخبـه الشـعب فهـو وجـود شـكلي رمـزي لا أكثـر، وبـذلك يسـتطيع هـذا الحـزب أن يحقـق أهدافـه ويضـــمن مصـــالح أفـــراده، لأنـــه ســـوف يضـــمن بواســـطة أعضـــاءه المنتخبـين في المجلـس التشـــريعي (البرلمـان) التصـويت عـلى القـرارات

التـــي يراهـــا تتماشـــى وأهدافـــه ويـــرد القـــرارات التـــي لا تنســـجم وتوجهـات الحـزب، لأن أي قـرار لا يمكـن إصـداره وإقـراره أو نفيـه ورده إلا مـــن خـــلال هـــذه المؤسســـة التـــشريعية المؤهلـــة الى تشـــكيل حكومـة يسـمح لحـزبين أو أكثـر حـق الائـتلاف وتشـكيل الحكومـة مـن أعضاء الأحزاب التي لها ثقل في الساحة السياسية.

واعتـبر العـالم أفضـل نظـام جمهـوري فـدرالي تعـددي هـو النظـام السائد في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة لكـن في حقيقـة الأمـر هـو نظـام قـائم عـلى افتعـال الأزمـات في العـالم واسـتعباده ذو دكتاتوريـة واسـعة بحيـث تشـمل معظـم أنحـاء العـالم وهـذا واضـح مـن خـلال المـادة السادسـة عشـر مـن الدسـتور التـي نصـت (للكـونغرس سـلطة تنظـيم وتسـليح المليشـيا والسـيطرة عـلى أقسـام منهـا لاسـتخدامها في خدمـة الولايات المتحدة) ١.

ولكـن مـع أن الدسـتور قـد أعطـى حـق التشريـع الى الكـونغرس إل انـه شـيئاً فشـيئاً اتجهـت الدولـة الجمهوريـة الى تفعيـل مفهـوم حـق الســلطة التنفيذيــة في اقــتراح القــوانين وبــروز ظــاهرة تشــريعات المكتـب الرئـاسي والمتنفـذين السياسـيين الـذين هـم مـن أتبـاع الـرئيس ٢.

ووفقـاً لهـذا النظـام هنـاك دسـتوراً يحتـوي عـلى خطـوط عريضـة عامة توضح صلاحية الحكومة و علاقتها بالمؤسسات الأخرى.

---

١ – ظ. الرفاعي، محمد هلال، تنامي دور السلطة التنفيذية في العملية التشريعية في النظام الرئاسي الأمريكي دراسة تحليلية، ٥٨٢ .

١ – ظ. المصدر السابق، ٦٠٢ .

والفرق بين النظام الملكي والنظام الجمهوري لا يتمثل في طيفية إدارة الحكم في البلاد فإن كلاً منها يميل الى الدكتاتورية والعمل من أجل المصالح الضيقة والفرق في حقيقة الأمر يكمن انه في النظام الملكي يكون الحكم لأفراد عائلة واحدة تسمى العائلة المالكة بينما في النظام الجمهوري يكون الحكم منوط بأشخاص قد لا تربطهم روابط أسرية أو قبلية وانما تجمعهم علاقات وأفكار حزبية، وإلا فكلا النظامين يقوم على أساس التسلط والقهر وان اختلفت البداية في كلٍ منهما.

قد يقول قائل ان انقسام المجتمع الى أسياد وعبيد وطبقة حاكمة وطبقة محكومة مقهورة قد يكون صحيحاً في ظل نظام الإمبراطوريات والأنظمة الملكية ولا يمكن تصوره وقبوله في ظل الأنظمة الجمهورية.

قلنا ان الذي يستقرء ويتتبع الأنظمة الجمهورية في العالم لوجد انها لا تفترق عن الأنظمة الإمبراطورية والملكية إلا في الاسم والمسميات والشعارات البراقة التي تظهر وجه النظام الجمهوري والحكومة بمظهر حسن، وبكونها نابعة من صميم الشعب وهي ممثلة له وأمينة على مصالحه والتي تطمح لتحقيق السعادة له، لكن لو جئنا الى واقع هذه الأنظمة لوجدناها تشاطر أشكال النظم الأخرى في دكتاتوريتها وتسلطها على رقاب المجتمع بالقمع والإرهاب. وشعاراتها ما ان أوصلتها الى السلطة حتى أصبحت حبراً على ورق، فالروح والجوهر واحد وإنما الفرق في الأسماء فقط وكل منها يمثل الدكتاتورية بأوضح مصاديقها، فهذه الولايات

المتحـدة الأمريكيـة يوجـد حزبـان يتعاقبـان عـلى السـلطة وهـم مـن العوائل ذات الوجاهة الاجتماعية والنفوذ الاقتصادي الواضح.

المطلب الثاني

الأنظمة الاقتصادية التي جربت في المجتمع وتقويمها

١ - النظام الرأسمالي:

وهـو عبـارة عـن فسـح المجـال لأصـحاب رؤوس الأمـوال في استثمار أموالهم في المشاريع العامة بحرية يكفلها القانون.

وهذا النظام يمتاز بالمعالم التالية:

١ - مبدأ الملكيـة الخاصـة بشـكل غـير معـدود: وتعتـبر فيـه الملكيـة الخاصـة هـي القاعـدة العامـة في جميـع الميـادين ومختلـف الثـروات والآلات ولا يمكن تجازوها إلا في ظروف طارئة واستثنائية،

ويتكفل القانون بحماية هذه الملكية الخاصة ١.

٢ - مبـدأ الاسـتغلال: وهـو فسـح المجـال أمـام كـل الأفـراد لاستغلال ممتلكـاتهم وإمكانـاتهم الماديـة عـلى الوجـه الـذي يـروق لهـم، وبمختلـف الأسـاليب المتاحـة لـديهم، فلـو كـان يملـك أرضـاً زراعيـة فلـه أن يسـتغلها بنفسـه ولـه أن لا يسـتغلها وذلـك تـابع عـن أسـاس أفرزتـه الرأسـمالية وهـو الحريـة بجعـل الفـرد هـو العامـل الوحيـد في الحركة الاقتصادية ٢.

---

١ - ظ. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٤٥٤، وظ. الشيرازي، ناصر مكارم، الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامي، ٦٣-٦٤، وظ. عودة، رياض صالح، ٢١، وظ. سليمان، احمد عبد الحميد، نظرية الإسلام الاقتصادية، ٧٠.

٢ - ظ. المودودي، أبو الأعلى، الأسس الاقتصادية بين الإسلام والنظم المعاصرة، ٩.

٣- حرية الاستهلاك: للفرد الحرية في إنفاق أمواله كيفما شاء، فله أن ينفق في سبيل إشباع حاجاته ورغباته بالطريقة التي يراها، ما عدا بعض الحاجات التي حظرها القانون كالمخدرات١.

ردَّ السيد الصدر على هذه الأسس بقوله ان هذه المباديء تقوم على خطأ في فهم نتائج الحرية الاقتصادية وذلك كون المشاريع الإنتاجية الرأسمالية تختلف في حجمها وكفاءاتها وقدرتها على الإنتاج بعضها مع البعض الآخر، والحرية الرأسمالية تؤدي الى التنافس - غالباً يكون غير مشروع - مما ينتج عنه صراع عنيف تحطم فيه المشاريع القوية غيرها، وتبدأ بإحتكار الاستثمار والإنتاج تدريجياً فيختفي التنافس ويصبح السوق محتكراً بيد أصحاب رؤوس الأموال الفاعلة ٢.

٢- النظام الماركسي:

ان شارل ماركس نظر لاقتصاد شيوعي اشتراكي واعتبر كل شيء بيد الدولة بإعتبارها ممثلة الشعب، ولا يحق لأي فرد يمتلك وسائل الإنتاج بل حتى الإنتاج مهما كانت الظروف والأسباب فالاقتصاد الاشتراكي يصادر جميع حريات الأفراد ٣.

واعتبر الشيوعيون ان الحاجة عنصر من أدوات وهي تشيع من خلال العمل، فالعامل يعمل على مقدار حاجته، وبالتالي فلا يجوز للعامل أن يعمل أكثر مما يؤدي الى إشباع حاجاته، حتى وان

٣- ظ. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٢٧٤، وظ. الشيرازي، ناصر مكارم، الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامي، ٦٥ .

٤- الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٢٧٨-٢٧٩ .

٥- ظ. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٢٩٨، وظ. السيد الصوفي، رفعت، الاقتصاد الإسلامي، ٣٢، وظ. عودة، رياض صالح، مقدمة في الاقتصاد الإسلامي، ١٨ .

كـان يملـك إمكانـات فكريـة وطاقـات بدنيـة، أمـا الاشـتراكيون فقـد الغوا الحاجـة فالإنسـان الـذي يعمـل يمكنـه إشـباع حاجاتـه، والـذي لا يعمـل لا طريـق لـه لإشـباع حاجتـه، أمـا الإسـلام قـد اختلـف عـنهم كثـيراً فـأعتبر الحاجـة أداة رئيسـة للتوزيـع بوصـفها تعبـيراً عـن حـق إنسـاني ثابـت في الحيـاة الكريمـة وبهـذا تكفـل في المجتمـع الإسـلامي ويضمن إشباعها ١.

ولا نريـد أن نهـب بـالرد عـلى المـذاهب الاقتصـادية ونكتفـي بـما قـدمناه في بدايـة المطلـب الثـاني، ويكفـي أيضـاً انهيـار الاتحـاد السـوفييتي وتخليـه عـن الشـيوعية والاشـتراكية، وهـذا النظـام الرأسـمالي قـد بانـت ملامـح انهيـاره مـن خـلال بـروز الأزمـات والمشـاكل في كـل مكـان إذ ألقـت بآثـاره عـلى العـالم برمتـه وهـذا أصـبح مـن أوضـح الواضـحات ولا يحتاج الى دليل أو برهان.

ان الرأسـمالية بإطلاقهـا العنـان فإنهـا قـد أسـقطت مراعـاة أسـس العدالة في المجتمع، فنـتج جـراء ذلـك الاحتيـال والـربح والفائـدة وهـذا يمثـل سـلب لجهـود العـاملين، وتسـخير المجتمـع لخدمـة حفنـة ممـن يـدعون السـيادة لهـم، وغـيرهم لابـد أن يـدين لهـم بالطاعـة والانصـياع لكل ما يخدم مصالحهم ٢.

وقـال السـيد الصـدر في ظـل مؤاخذتـه للرأسـمالية في حـديثها ان الإنسـان بـان بنفسـه سـلعة خاضـعة لقـوانين العـرض والطلـب، وأصـبحت الحيـاة الإنسـانية رهـن هـذه القـوانين بـدليل انـه كلـما زادت القـوى البشـرية العاملـة وشـكلت عرضـاً كبـيراً انخفـض سـعرها، لأن

٦- ظ. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٣٥٦.

١- ظ. سليمان، عبد الحميد احمد، نظرية الإسلام الاقتصادية، ٧٠.

الرأسمالي سوف يعتبر ذلك فرصة مناسبة لخفض أجور هؤلاء الذين يكونون مضطرون للعمل بأرخص الأجور، فهذا هو التوافق الأسطوري المزعوم، بين الدوافع الذاتية في ظل الحرية الاقتصادية الرأسمالية والمصالح العامة، وما تسابق الدول الأوربية الرأسمالية على استعباد البشر ـ في أفريقيا وغيرها إلا صفة سوداء من صفات الحرية الرأسمالية، حيث كان تجار فرنسا وهولندا وبريطانيا يحرقون قرى مناطق أفريقيا، فيفرون بأنفسهم وتلتقفهم أيادي الأسياد ليصبحون رقيق يباعون في الأسواق في القرن التاسع عشر ١.

فالحرية الاقتصادية في ظل النظام الرأسمالي تخدم فئات قليلة حتى ظهر إحتكار الإنتاج فطفت المصلحة الشخصية على السطح، وتفشت الطبقية، فالرأسمالية في الحقيقة تلبي مصالح صغيرة ومحدودة الأمر الذي جعل الفقراء من العمال والمستهلكين تحت رحمتهم ٢.

أما الاقتصاد الاشتراكي فقد صادر حريات الجميع ولم يترك للفرد أي دور من عجلة الميدان الاقتصادي وإن السلطة الحاكمة هي التي تخطط وتدير الاقتصاد بالطريقة التي تراها مناسبة ٣.

حتمية الظهور المنشود

بعد أن تبين في المبحث الأول ان فكرة المصلح العالمي ثابتة، وأنها ضرورة لابد منها وفق عقيدة كل المذاهب الإسلامية، وان العدل لا بد أن يطبق — يوماً ما — في جميع الكرة الأرضية ولا منا من

---

٢ – ظ. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٢٧٦–٢٧٧ .
٣ – ظ. الشيرازي، ناصر مكارم، ٧٤–٧٥ .
٤ – ظ. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٢٩٨، وظ. السيد الصوفي، رفعت، الاقتصاد الإسلامي، ٣٢ .

هـذا الأمـر وبعـد أن أثبتنـا فشـل الاطروحـات السياسـية والاقتصـادية في تحقيـق العدالـة في الأرض، وهـذا يؤكـد لابـد مـن أن الـذي يتـولى هذه المهمة الحتميـة شـخص مسـدد مـن الله تعـالى وقـادراً عـلى انجـاز مـا أنـيط إليـه مـن مهمـة، وهـذا لابـد أن يتمتـع بمواصـفات ومـؤهلات تمكنه مـن أداء مسـؤوليته عـلى أكمـل وجـه وأهـم هـذه المواصـفات هـي العصمة فـلا بـد أن يكـون معصـوماً لأن بسـط العـدل عـلى ربـوع العـالم منوط بثبوتها.

فـإذا سـلمنا بـذلك لابـد أن نسـلم أيضـاً بحتميـة الظهـور، والتـي تفرضها العوامل التالية :

أولاً : الخلـل التشـريعي: بعـد أن استعرضـنا الأنظمـة السياسـية الاقتصـادية واتضـح أن تشـريعاتها وقوانينهـا غـي قـادرة عـلى تحقيـق أدنى قـدر مـن العدالـة والسـعادة للمجتمـع، بـل إنهـا تتجـه نحـو إذلال المجتمع وظلمه، كيـف لا تكـون هكـذا وقـد وضـعها وخطـط لهـا إنسـان قاصر العقل، وليس له طريق لإدراك المصالح والمفاسد، وال ذي لا يعـرف مـا يضر ـ ومـا ينفـع، هـذا إذا كـان لا يقصـد الظلـم، وأمـا إذا كان قاصـداً ذلـك فالمسـألة واضـحة جـداً، إذن الخلـل في التشـريع أمـا أن يكون عن قصور أو عن تقصير هذا من جانب.

ومـن جانـب آخـر سـوف تـؤدي هـذه الإشـتباهات أو التـشريعات المجحفـة التـي تصـدرها السـلطات الظالمـة إلى شـيوع الفسـاد والظلـم في المجتمـع، وبالتـالي سـيعيش حالـة الحرمـان وتغييـب الحقـوق السياسـية والاجتماعيـة حتـى يصـبح طبقـات متفاوتـة متنـاحرة وهذا ما يأباه العقل السليم.

ثانياً : الخلل الأخلاقي: وهو يتفرع على العامل الأول، وذلك لأن التشريعات المجحفة والمصلحية سوف تؤدي إلى تفرق المجتمع وتناحره وإشاعة الأحقاد وشعور أفراد المجتمع بالظلم من قبل الطبقة التي تتولى التشريع، لأن النفس الإنسانية تكن البغض والعداوة لكل مسيء اليها ويحاول سلب حقوقها مهما كانت، الأمر الذي يفرز حزازة وحساسية في التعامل حتى يصل الحال بالأفراد أن يهتم كل منهم بمصالحه الخاصة ولا يعطي للمجتمع أي أهمية بل ينظر الفرد اليه وكأنه هو الذي سلب حقوقه وأدخل الضرر عليه ونغص عليه عيشته، وطبيعي إذا شاع الفقر والحرمان والحقد والبغض سيؤدي الى الفساد الاجتماعي وتنتشر في المجتمع الجرائم من سرقات وقتل وتنكيل، حتى أنه لا يرحم المجتمع بعضه البعض الآخر، وبذلك يعيش المجتمع حياة الغاب يأكل القوي الضعيف، فأين هي العدالة وأين هي السعادة، فإنهما قد ذهبا تحت أدراج الأخلاق السيئة والأحقاد والجرائم الشنيعة.

ثالثاً : الخلل الاجتماعي: إن من تداعيات الظلم والإجحاف انقسام المجتمع الى شرائح غير متجانسة كل منها يتميز عن الآخر بميزات خاصة، افرزها الواقع المعاش نتيجة للتسلط والهيمنة اللتان مارسهما الذين تولوا زمام الأمور، مما أدى الى القضاء على القواسم المشتركة في المجتمع حيث لم يبق مثلاً قاسم مشترك بين الطبقة الغنية والفقيرة، ولا بين الطبقة الحاكمة والمحكومة حيث الأولى تعمل من أجل مصالحها والثانية تحاول وتتطلع الى رفع الظلم عنها، وبذلك يكون المجتمع يعيش التناقضات وتنشأ عادات وتقاليد خاصة بكل

فئة وبالتالي أي تشريع أو قانون سيكون غير مقبولاً ما لم يكن متماشياً ومنسجماً معهما، هذا بالإضافة الى اختلاف الديانات والمعتقدات، فكل قانون لا ينسجم مع الديانة أو المعتقد يعتبر مجحف في نظر أهل الديانة أو المعتقد، الأمر الذي يتطلب أن تكون هناك عدة قوانين وعدة تشريعات ونتيجتها الطبيعية شل الحياة ويعطلها بسبب إيجاد صعوبات في التعامل والتطبيق لهذه القوانين.

قلنا : هذا يصح إذا كان كل مجموعة تمثل نظام وكيان لوحدها، وهذا يتوقف على أن يتحول المجتمع الى مجموعات، وظروف الحياة وتطورها يفرض عليها أن تتعامل فيما بينها، فيعود الإشكال ذاته وهو أحكام أي ديانة تفرض وتطبق في التعامل.

هذا بالإضافة إننا نتكلم عن السعادة لجميع المجتمعات لا لمجتمع واحد.

رابعاً : الخلل السياسي: ومنشأ هذا العامل هو حب السلطة الذي يدعوا من يصل الى رأسها اتخاذ القوانين التي تضمن ديمومته فيها، وهذا معناه ان المجتمع سوف يكون أسيراً الى رغبات وتوجهات السلطة الحاكمة التي تمثل الأقلية السياسية، لأنها هي وحدها المهيمنة على إصدار القرارات وهذا معناه ان أغلب القرارات الصادرة ستلبي مصالح الطبقة الحاكمة لا غير حتى وإن أدت هذه القرارات الى إبعاد المجتمع بأكمله عن الدور السياسي، حتى ان الذي يطالب بالحرية السياسية يعتبر مجرماً بنظر القانون ولا ينافي ذلك ان مطالبته مشروعة بنظر العقل والعقلاء لأن السيادة هي للقانون فقط وكل ما يتعارض معه فهو غير مشروع، فتكون الحكومة مهيمنة بصورة كاملة على السلطات التنفيذية والتشريعية

والقضائية وما على المجتمع سوى الطاعة والامتثال سواء لاءمت الأوامر ذوقه أم لا، وسواء فيه له مصلحة أم لا، لأن المصلحة هي التي تراها الحكومة لا التي يراها الفرد أو المجتمع.

ولو استقرأنا الأنظمة السياسية في العالم قديماً أو حديثاً لوجدناها تتصف بما يلي :

١- أنها تعمل لمصالحها الشخصية ولا تهمها مصالح المجتمع، وإن الذي يرد أو يتعرض على الحكومة فهو مجرم يحاول العبث بأمن واستقرار البلاد ويجب أن يعاقب.

٢- وصولها إلى السلطة عن طريق القوة المصحوبة بالشعارات البراقة باسم المجتمع والتي ستبقى حبراً على ورق، والغرض منها هو إعطاء الشرعية المزعومة للحكومة فقط.

٣- غياب الحريات العامة وإن الذي يعمل ضد الحكومة يلاقي عقوبة الإعدام تحت ذرائع ومصطلحات تطلقها الحكومة لتبرير ذلك.

إذن هكذا أنظمة جاءت إلى سدة الحكم بطرق غير مشروعة وعاثت بالبلاد فساداً ونهباً كيف تكون مؤهلة لإقامة العدالة في المجتمع.

وبذلك نتوصل إلى إن العدالة لم تتحقق في أي ميدان من ميادين الحياة بل على العكس من ذلك تماماً إن الظلم ساد في كل الميادين وفي مختلف بقاع العالم، ولم تكتف الحكومات بظلم شعوبها بل تعدى ذلك في كثير من الأحيان إلى الشعوب الأخرى، فهذه

اليوم بعض القوى تشن الحرب ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان تحت ذرائع مكافحة الإرهاب أو الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين وما أشبه ذلك، حيث ترى السلم والأمن لا يتم إلا من خلال قتل الأطفال والنساء الشيوخ في فلسطين وأفغانستان والعراق وفي غيرها من هذه الدول، فالذي تقوم به كل من أمريكا وإسرائيل هو مكافحة للإرهاب، والذي تقوم به الشعوب لرد الاحتلال فهو إرهاب !!!.

والذي يتتبع بعض الدول الكبرى سوف يصل إلى حقيقة وهي أنها تريد أن تفرض هيمنتها على كل العالم الإسلامي وإن تسقط كل حكومة لا تتلائم مع سياستها وسياسة إسرائيل، إتخذت مصطلح الإرهاب ذريعة للسيطرة على المناطق الحيوية والغنية بالنفط في العالم.

إذن يوجد فراغ على كل الأصعدة ولا يمكن سده إلا إذا جاء ذلك المصلح الميمون الذي وعد الله به عباده والذي سوف يشفي صدور المستضعفين ويغيظ الظالمين ويمحيهم من الوجود ويلقي بهم في مزبلة التاريخ.

النتائج :

١. إن مسألة الإمام المهدي من المسائل المتفق عليها بين جميع المسلمين وان اختلفوا في شخصه وولادته.

٢. ان بعض الآيات القرآنية وبعد تفسيرها عن طريق آل البيت عليهم السلام تؤكد خروج الإمام المهدي(عج) في آخر الزمان.

٣. تواترت الروايات في كتب العامة والخاصة التي تصرح بنسب الإمام المهدي وهو من ولد فاطمة عليها السلام.

٤. إن تحقيق العدالة المطلقة لابد أن تكون على يد إنسان معصوم خصوصاً وإن حكومته سوف تمتد الى جميع أنحاء العالم.

٥. ان كل الاطروحات السياسية والاقتصادية لم تحقق العدالة في الأرض بل أربكته استقرار المجتمع وتفشت الدكتاتورية والطبقية والاستعباد والتسلط والهيمنة على رقاب الناس.

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي المتوفى ٥٩٧هـ، العلل المتناهية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٦هـ، النجف الأشرف.

٤. ابن عساكر ٥٢١هـ تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، نشر وطبع: دار الفكر – بيروت ١٤٢٥هـ.

٥. أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب المتوفى ٣٦٠هـ، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥هـ.

٦. أبو راس، محمد الشافعي، النظام الدستوري المصري.

أبو داوود السجتاني، سليمان بن الأشعث المتوفى ٢٧٥هـ سنن أبي

داوود، تحقيق: سيد محمد اللحام، نشر وطبع: دار الفكر بيروت – ١٤١٠هـ.

٧. أبو فتح الأربلي، علي بن عيسى المتوفى ٦٩٣هـ، كشف الغمة، نشر وطبع دار الأضواء – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ.

٨. الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، تحقيق السيد المرعشي النجفي والشيخ مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء – قم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٩. الأسدي الحلبي، ابن البطريق، العمدة، تحقيق جامعة المدرسين في قم، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين في قم، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٠. الإمام الصادق(ع)، جعفر بن محمد الباقر(ع)، مصباح الشريعة، الناشر مؤسسة الأعلمي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١١. البحراني، البرهان في تفسير القرآن، الطبعة القديمة مطبعة اسماعيليان – قم.

١٢. البخاري، محمد بن إسماعيل المتوفى ٢٥٦هـ صحيح البخاري، نشر: دار الفكر – بيروت، طبع بالأوفست عن مطبعة دار الطباعة بإستانبول ١٤٠١هـ.

١٣. البستي الفارسي، محمد بن حبان بن أحمد المتوفى ٣٥٤هـ، صحيح بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر وطبع: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٤. البيهقي، أحمد بن الحسين المتوفى ٤٥٨هـ، الاعتقاد، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٥. الترمذي، محمد بن عيسى المتوفى ٢٧٩هـ سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر وطبع: دار الفكر – بيروت ١٤٠٣هـ.

١٦. الحاكم الحسكاني، عبد الله بن أحمد، شواهد التنزيل، شيخ محمد باقر محمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٧. الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد المتوفى ٤٠٥هـ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، نشر دار المعرفة – بيروت ١٤٠٦هـ.

١٨. الخزاز القمي الرازي، أبي القاسم علي بن محمد بن علي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، الناشر انتشارات بيدار، المطبعة: خيام – قم ١٤٠١هـ.

١٩. الدمشقي، ابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨هـ، ميزان الاعتدال، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٢١. الراوندي، قطب الدين المتوفى ٥٧٣هـ، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر، مؤسسة الإمام المهدي – قم المقدسة.

٢٢. الرفاعي، محمد هلال، تنامي دور السلطة التنفيذية في العملية التشريعية في النظام الرئاسي الأمريكي دراسة تحليلية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ٢٠١٠م.

٢٣. السرخسي، شمس الدين، المبسوط، تحقيق مجموعة من الأفاضل، الناشر دار المعرفة – بيروت ١٤٠٦هـ.

٢٤. السلمان، د. عبد العزيز محمد، نظم الرقابة على دستورية القوانين.

٢٥. السيد الصوفي، رفعت، الاقتصاد الإسلامي، نشر المحاكم الشرعية في قطر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٦. السيوطي، جلال الدين المتوفى ٩١١هـ، الدر المنثور، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ، مطبعة الفتح – جدة.
٢٧. الشيباني. أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ مسند أحمد، نشر وطبع: دار صادر – بيروت.
٢٨. الشيرازي، ناصر مكارم، الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامي، دار الصفوة – بيروت – لبنان، ترجمة لجنة الهدى، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٢٩. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، نشر دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ٢٠٠١م – بيروت.
٣٠. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، الناشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٣١. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، الناشر جامعة المدرسين في قم.
٣٢. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا(ع)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، نشر وطبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٣٣. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١هـ كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، طبع في محرم ١٤٠٥هـ.

٣٤. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١هـ معاني الأخبار، الناشر: وؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة سنة ١٣٦١هـ - ش، تحقيق: علي أكبر الغفاري.

٣٥. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن محمد المتوفى ٣٦٠هـ، المعجم الأوسط، دار الحرمين – القاهرة، سنة النشر ١٤١٥هـ.

٣٦. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب المتوفى ٣٦٠هـ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٣٧. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، نشر وطبع دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٩. الطبري الشيعي، محمد بن جرير أوائل القرن ٤هـ دلائل الإمامة، نشر وطبع: مؤسسة البعثة – قم، التحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى -١٤١٣هـ.

٤٠. الطوسي، محمد بن الحسن المتوفى ٤٦٠هـ، الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصر، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، مطبعة بهمن، الطبعة المحققة الأولى ١٤١١هـ

٤١. العاملي النباطي البياضي، زين الدين أبي محمد علي بن يونس المتوفى ٨٧٧هـ، الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم، تحقيق: محمد باقر البهبودي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء التراث الجعفري.

٤٢. العسقلاني، ابن حجر محمد بن إسماعيل، سبل السلام، نشر وطبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ.

٤٣. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر المتوفى ٨٥٢هـ، لسان الميزان، طبع ونشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

٤٤. العلامة الحلي، جمال الدين حسن بن المطهر، المستجاد من كتاب الإرشاد، الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مطبعة الصدر – قم.

٤٥. عودة، رياض صالح، مقدمة في الاقتصاد الإسلامي.

٤٦. القاضي النعمان المغربي، النعمان بن محمد المتوفى ٣٦٣هـ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

٤٧. القزويني، محمد بن يزيد المتوفى ٢٥٧هـ، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد عبد الباقي، نشر وطبع: دار الفكر – بيروت.

٤٨. القمي الشيرازي، محمد طاهر، كتاب الأربعين، تحقيق السيد مهدي الرجائي، الناشر المحقق مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٩. القندوزي الحنفي، الشيخ سليمان بن ابراهيم ١٢٩٤هـ، ينابيع المودة، التحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٠. الكليني، محمد بن يعقوب المتوفى ٣٢٩هـ أصول الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

٥١. الكوفي، ابن أبي شيبة ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد المتوفى ١٣٥هـ، مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٢. الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين(ع)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٣. المتقي الهندي المتوفى ٩٧٥هـ كنز العمال، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٤. المجلسي، محمد باقر المتوفى ١١١١هـ بحار الأنوار، نشر وطبع: مؤسسة الوفاء – بيروت، الطبعة الثانية المصححة – ١٩٨٣هـ.

٥٥. محمد بن يوسف المتوفى ٩٤٢هـ، سبل الهدى والرشاد، نشر وطبع دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٥٦. محمد عبدة، نهج البلاغة، دار المعرفة – بيروت.

٥٧. المعتزلي، ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، نشر دار احياء الكتب العربية، المطبعة: منشورات مكتبة آية الله العظمى مرعشي النجفي.

٥٨. معجم أحاديث الإمام المهدي، تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية تحت إشراف الشيخ الكوراني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، قم المقدسة.

٥٩. المقري الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد المتوفى ٤٤٤هـ، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٦٠. الموصلي التميمي، أبي يعلى المتوفى ٣٠٧هـ مسند أبي يعلى، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٤٠٤هـ.

٦١. النعماني، محمد بن إبراهيم المتوفى ٣٨٠هـ، كتاب الغيبة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبع ونشر: مكتبة الصدوق – طهران.
٦٢. النووي، محي الدين، المجموع، دار الفكر للطباعة والنشر.
٦٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج المتوفى ٢٦١هـ صحيح مسلم، نشر وطبع: دار الفكر – بيروت.
٦٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر المتوفى ٨٠٧هـ، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث – القاهرة ودار الكتاب العربي – بيروت، سنة النشر ١٤٠٧هـ.
٦٥. الهيثمي، علي بن أبي بكر المتوفى ٨٠٧هـ، موارد الضمآن، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية – بيروت.

تحليل جغرافي لمعركة قرقيسياء ونتائجها في بداية عصر ظهور الحكومة المهدوية العالمية

م.د. ضرغام خالد أبو كلل
م.د. محمد جواد عباس شبع

كلية الآداب / جامعة الكوفة

المقدمة :

لقد ذكرت أخبار الظهور حدوث معركة عظيمة قبيل خروج الإمام المهدي(عج)، معركة تباد فيها جيوش عن بكرة أبيها، وتتزلزل مدن وقرى كبيرة حولها، وتنهدم أبنية وحصون منيعة...والعجيب أنها تتركز في بقعة صغيرة من الأرض، ولكنها معركة عالمية بكل ما تتضمنها: عالمية بأسبابها ونتائجها، عالمية بغاياتها وأهدافها، عالمية بعدد الدول المشاركة فيها، وأخيراً عالمية في طراز آلياتها وتجهيزاتها وأسلحتها.

إن معركة قرقيسياء هي أكبر حدث عالمي على الإطلاق، تندلع بدايته في أرض الشام قبيل الظهور المقدس لصاحب العصر-(عج)،فلا ينبغي إذن، ومهما كانت الدوافع إن تهمش هذه المعركة. وقد حاولنا كشف بعض ما يرتبط بهذه المعركة الحاسمة من غموض ورسمنا طبقاً لما تجمع لدينا من أخبار(سيناريوهات) وما سوف يجري على مسرحها من إحداث.

ولعل أغلب الباحثين لم يستفرغوا وسعهم في تحليل صفحاتها ومكانها، وربما كانوا معذورين في ذلك، إذ إن إماطة اللثام عن وجه المفارقة والتعارض الظاهر في رواياتها، أمر عسير ومهمة شاقة. كما

إن النتائج التي من الممكن إن تستمخض عنها دراسة معمقة وموضوعية حول هذه المعركة، ربما لا تحبذه بعض الأطراف و الحكومات الحالية!

وربما بوادرها قد ظهرت ألان من خلال جلب صواريخ الباتريوت الأمريكية من قبل حلف الناتو ووضعها على الشريط الحدودي التركي- السوري فضلا عن جلب احدث الأسلحة من أوربا بهدف إيجاد شريط امن للمسلحين الإرهابيين وتأمين تغطية لهم من قبل أسيادهم.

وتقع منطقة المعركة اليوم كما ورد في معجم البلدان عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات ، وهي بلدة صغيرة فيها أطلال قرب مدينة دير الزور السورية، وقرب رحبة مالك بن طوق، على ستة فراسخ (ورحبة مالك تقع على الفرات بين (الرقة) السورية و(عانة) العراقية أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون العباسي.

وعلى رغم الغموض في بعض جوانب معركة قرقيسياء، في سببها وإطرافها ما عدا السفياني،وفي نهايتها. إلا إن أحاديثها تؤكد على وقوعها بلهجة حاسمة، وتصفها بأوصاف كبيرة، كالحديث التالي عن الأمام الصادق(ع) قال: (ان لله مائدة (وفي رواية مأدبة) بقرقيسياء، يطلع مطلع من السماء فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلمي إلى الشبع من لحوم الجبارين) البحار- ج٥٢- ص٢٤٦، وهذا كناية عن عدم دفن الجنود المقتولين من كلا طرفي الحرب.

وسبب حدوث المعركة هو ظهور كنز مختلف عليه، فقد وردت روايات عدة، أوضحها ما ورد في مخطوطة ابن حماد ص٩٢

عـن النبـي ﴿ ﷺ ﴾ قـال: (ينحسـر الفـرات عـن جبـل مـن ذهـب وفضة، فيقتل عليـه مـن كـل تسـعة سـبعة، فـاذا أدركتمـوه فـلا تقربـوه) مـع العلـم ان منطقـة قرقيسـياء غنيـة بـالنفط والمعـادن الاخـرى حتـى اليورانيوم، وان نتائج البحث والتنقيب ايجابية.

ولهـذا جـاءت أهميـة البحـث لمـا لمعركـة قرقيسـياء مـن دور هـام وكبـير في بدايـة عصر ـ الظهـور، ولقربهـا مـن الحـدود العراقيـة وحجـم الجيوش المشتركة والخاسرة فيها، ومقدار القتلى.

إما هدف البحـث فانـه كـان سـد الفجـوة التحليليـة التاريخيـة التـي تبـدو في الهيكـل العـام لعلامـات الظهـور المبـارك، وإيضـاح أهميـة هـذه المعركة في بداية إحداث عصر الدولة المهدوية العالمية.

في حـين تركـزت مشـكلة البحـث عـلى إيضـاح أسـباب هـذه المعركـة ونتائجهـا وأهـدافها، وحجـم الـدمار الـذي سـيلحق بـالجيوش المتقاتلـة فيهـا. كـما يفـترض الباحثـان إن لإحـداث هـذه المعركـة نتـائج هامـة عـلى أهـل العـراق وإبـادة جيـوش الظـالمين لهـم، ومـن تسـهيل معطيـات ظهـور الإمـام المهـدي(عـج)،ونرجـو ان نكـون مـوفقين فـيما توصـلنا إليـه مـن نتـائج في بحثنـا هـذا خدمـة لظهـور الأمـام المهـدي(عـج) وقيـام دولـة القسـط والعـدل الإلهـي،واختتم بالخلاصـة وقائمة المصادر.

مشـكلة البحـث : تركـزت مشـكلة البحـث عـلى إيضـاح أسـباب هـذه المعركـة ونتائجهـا وأهـدافها، وحجـم الـدمار الـذي سـيلحق بـالجيوش المتقاتلـة فيهـا، باعتبارهـا المعركـة التـي تسـبق الظهـور المبـارك للأمـام المهـدي(عـج). كـما ان سـبب حـدوث المعركـة هـو ظهـور كنـز

مختلف عليه، ورغم حدوث المعركة وبعد انتهائها تنسحب الجيوش الخاسرة وكلا منها تدعي النصر- على الأخر وهزيمته بشكل كامل ولن يبقى أي جيش قرب هذا الكنز رغم كثرة الخسائر البشرية عليه.

فرضية البحث : كما يفترض الباحثان إن لإحداث هذه المعركة نتائج هامة على أهل العراق وإبادة جيوش الظالمين لقضية الظهور المبارك، ومن تسهيل معطيات ظهور الإمام المهدي(عج)، لذا يفترض الباحثان ان جيش السفياني سوف يضعف موقفه كثيرا في بلاد الشام بعد هذه المعركة وكمحاولة منه يقوم باحتلال العراق بالكامل كفتح عسكري ناجح يحسب له، الا انه يواجه مقاومة عنيفه من اهله بشكل غير متوقع.

هدف البحث : يهدف البحث إلى سد الفجوة التحليلية التاريخية التي تبدو في الهيكل العام لعلامات الظهور المبارك، وإيضاح أهمية هذه المعركة في بداية إحداث عصر- الدولة المهدوية العالمية.

أهمية البحث : جاءت أهمية البحث لما لمعركة قرقيسياء من دور هام وكبير في بداية عصر الظهور، ولقربها من الحدود العراقية وحجم الجيوش المشتركة والخاسرة فيها، ومقدار القتلى. لذا ارتئ الباحثان تسليط الضوء على هذه المعركة بشكل كامل وتحليلها موضوعيا.

منهج البحث : أتبع الباحثان أسلوب المنهج الوثائقي أو النقلي للروايات التاريخية، كنتائج لحصيلة الدراسات التاريخية

والجغرافية، ونتائج هذا الالتقاء هو المنطلق الذي توجه منه البحث لدراسة واقعة معركة قرقيسياء وما تضمنتها من أحداث كثيرة.

هيكلية البحث : تضمن البحث اربعة مباحث، تناول المبحث الاول جغرافية منطقة معركة قرقيسياء، فيما تحدث المبحث الثانى عن تحليل الروايات الذاكرة لمعركة قرقيسياء، واشار المبحث الثالث الى معركة قرقيسياء وانها اعظم معركة في التاريخ البشري، وتناول المبحث الرابع السفياني والدعم العربي له معركة قرقيسياء ، وايضا احتوى البحث على مقدمة وخلاصة وقائمة بالمصادر التي احتوى عليها البحث

حدود منطقة الدراسة المكانية والزمانية : تشمل الحدود المكانية لمنطقة البحث (منطقة قرقيسياء) وما بها من مظاهر جغرافية متعدد باعتبارها ارض المعركة، إما الحدود الزمانية للبحث فتقع ضمن إحداث المستقبل التي لا يعلم تاريخ حدوثها إلا الله عزوجل.

المبحث الأول

جغرافية منطقة المعركة

١ - الموقع الجغرافي لقرقيسياء :

يقول صاحب معجم البلدان في تحديد الموقع الجغرافي لقرقيسياء : (بلد على نهر الخابور، وقرب رحبة مالك بن طوق، على ستة فراسخ. وعندها مصب نهر الخابور في الفرات: فهي مثلث بين

الخابور والفرات[١]. إما رحبة مالك بن طوق المارة الذكر فهي : رحبة تقع على الفرات بين مدينة الرقة (السورية) ومدينة عانة (العراقية) أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون العباسي[٢]، وقد اندثرت في عصرنا هذا.

ولقد التبس الأمر على الشيخ علي الكوراني (وفقه الله)، في كتابه الموسوم (الممهدون للمهدي) و(عصر الظهور) حينما حاول تطبيق هذه المعلومات على الخارطة الجغرافية للمنطقة، حيث ظن إن قرقيسياء بلدة حدودية واقعة بين كل من سوريا وتركيا والعراق، قال في فصل صغير عقده لهذا الغرض بعنوان (الإيرانيون ومعركة قرقيسياء) ما يلي :

" فهي - أي قرقيسياء - في شمال سوريا قرب الحدود التركية العراقية، وهي اليوم أطلال تقع بقربها مدينة دير الزور السورية"[٣].

في حين إن قرقيسياء تقع وسط شرق سوريا على نهر الفرات، وهي تبعد عن تركيا بمئات الكيلومترات ، وعن الحدود العراقية بما يزيد على المائة وخمسين كيلومتراً.

تعرف اليوم منطقة قرقيسياء ببلدة (القصيرة) القريبة من مدينة دير الزور السورية الواقعة عند ملتقى نهر الخابور ونهر الفرات، وتقع شرقي مدينة دير الزور بمسافة ٤٣ كم في منطقة زراعية خصبة، كان اسماها تاباكان ثم شويرا ثم سوكي بالعهد الآشوري، سماها اليونان تركبسون وسماها الرومان سيرسيوم

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٤، ص ٣٢٨ .
(٢) صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع ، ج٢، ص ٦٠٨ .
(٣) علي الكوراني، الممهدون للمهدي ، ص ٢٧٩ .

وعندما فتحها العرب كان اسمها قرقيساء نسبة إلى قرقيسيان الملك طمهور، كانت عامرة زاهرة كثيرة السكان وافرة الثروة بلغ عدد سكانها في العهد الروماني ٦٠ ألف نسمة، وقد ذكرها المؤرخون فقال ابن حوقل: لها بساتين وأشجار وفواكه. وقال صخرة الأصفهاني : قرقيساء معرب كركيساء وهو مأخوذ من كركيس وهو اسم الإرسال الخيل المسمى في العربية (الحلبة) [٤]. بنيت بالقرب من موقع مدينة كانت تعرف باسم فرقيسيا ، سكنها بنو كلاب في العهد الأموي واعتصم به زفر بن الحارث أيام مروان بن الحكم.

وقرقيسياء اليوم بلدة ومركز ناحية في وادي الفرات، تتبع مركز منطقة ومحافظة دير الزور. نشأتها الحديثة تعود إلى أكثر من ثلاثة قرون. بنيت نواتها من الطين والآجر فوق التل الأثري الذي يرتفع ١٥م عن السهل المجاور. ولم تتوسع البلدة عمرانيا لوقوعها في منطقة أثرية يحظر البناء فيها. يعمل معظم سكانها بالزراعة المسقية بالضخ.

و تقع قرقيسياء عند تقاطع خط عرض "١٦,٤٥'٠٩°٣٥ شمالاً مع خط طول "٢٥'E ٤٠ ٣٠,٤٠° قرب مدينة البصيرة قرب دير الزور. تلاحظ الخريطتان [١] و[٢] والصورة الفضائية [١] والصورة[١].

---

(٤) اقبال عبد المجيد ، بلدة قرقيسياء وكنز الفرات

الخريطة (١) موقع دير الزور من سوريا

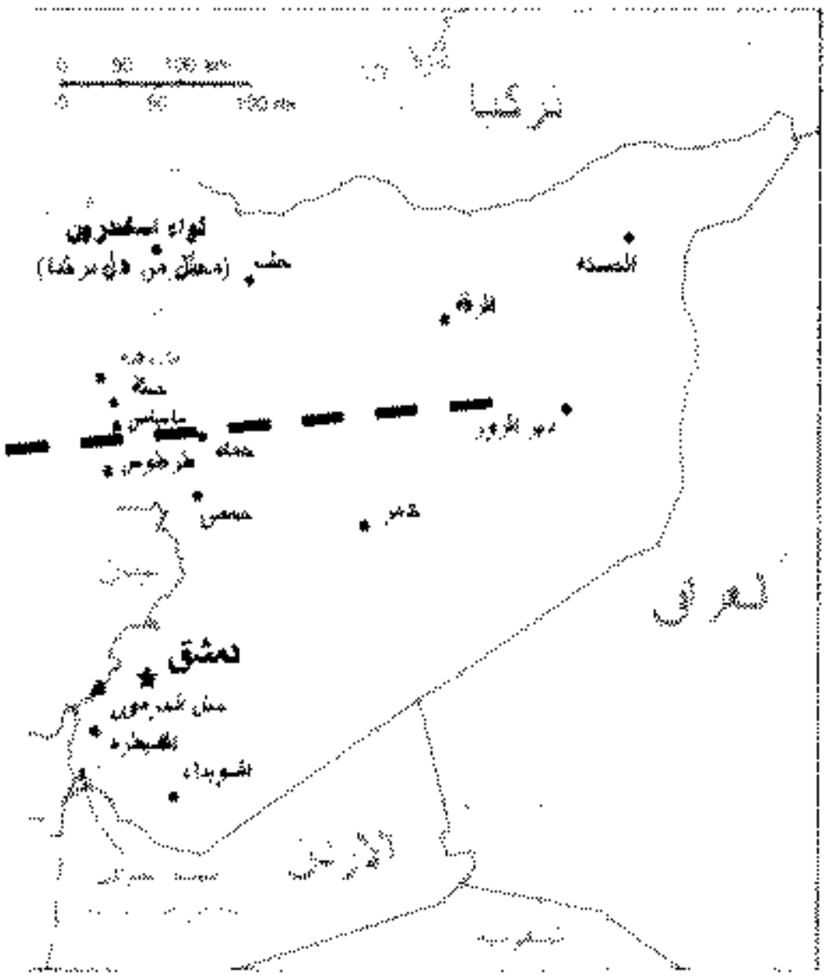

الخريطة (٢) موقع قرقيسياء من محافظة دير الزور

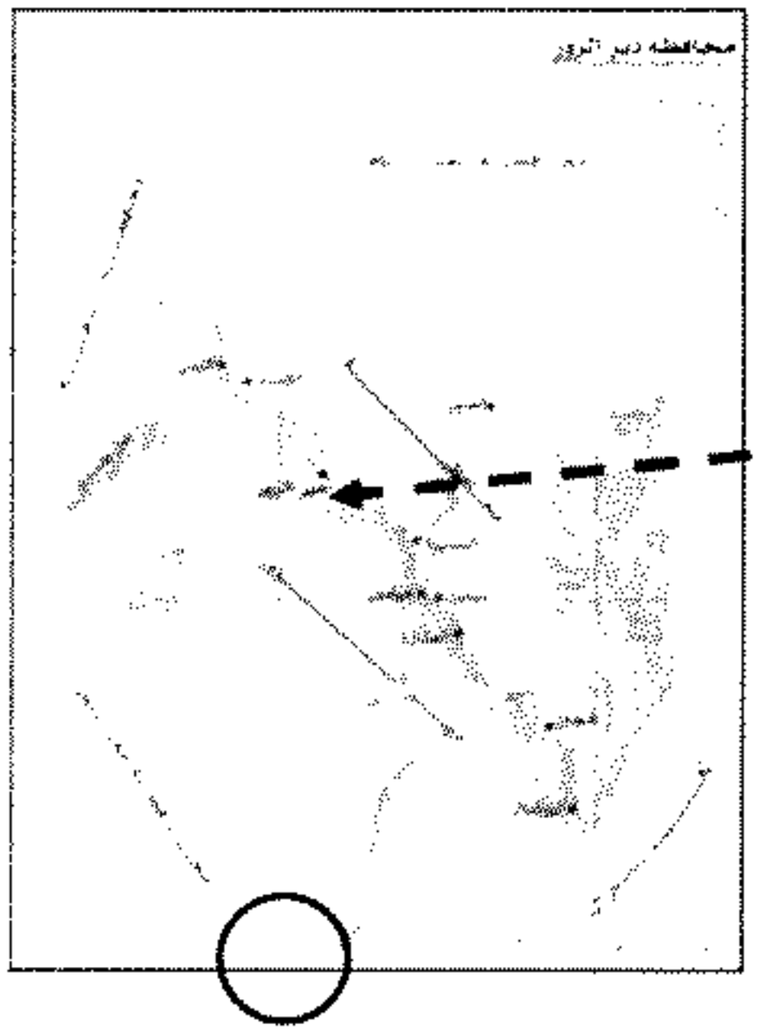

لمنطقة الدراسة

صورة فضائية

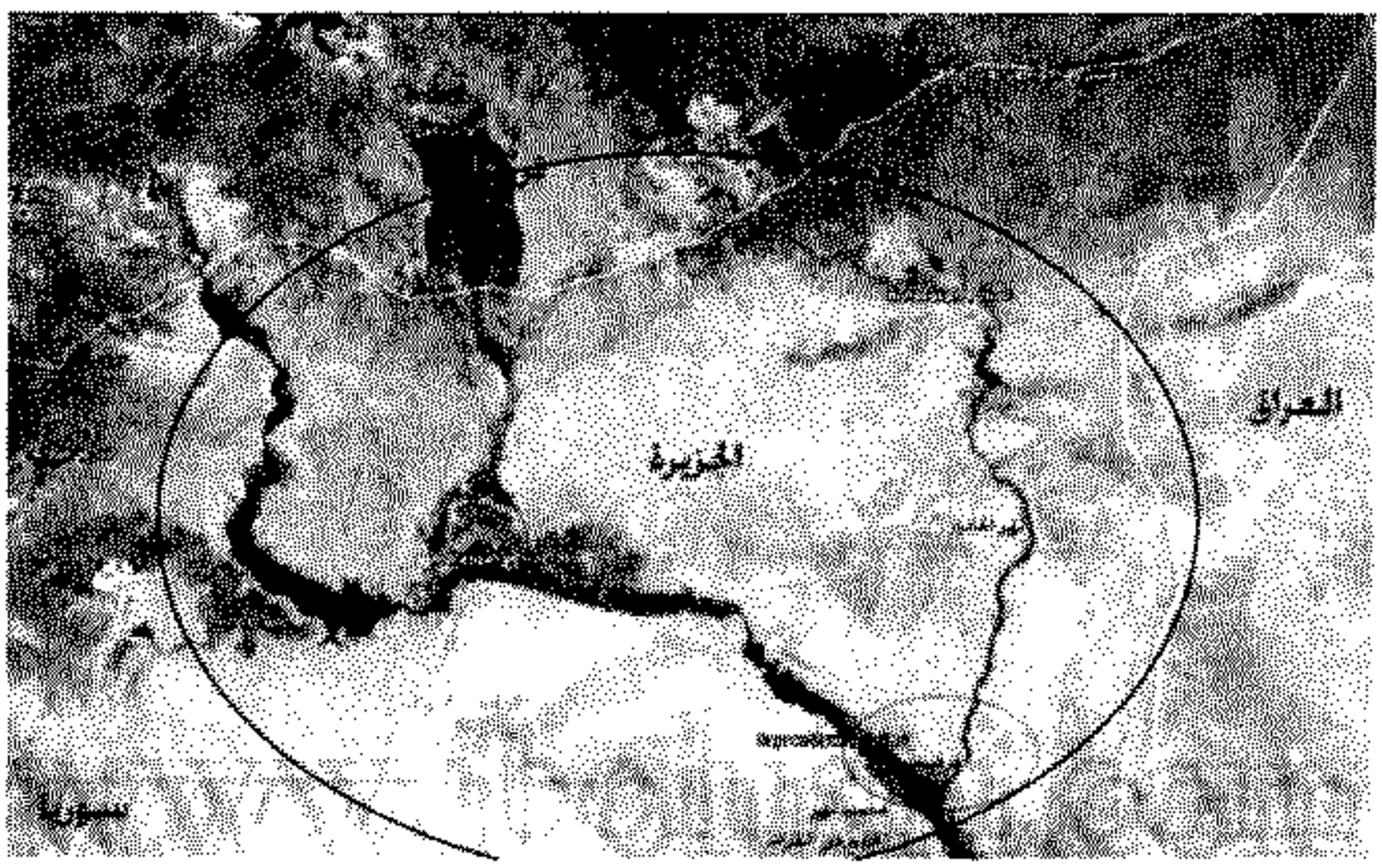

خريطة (٣) منطقة قرقيسياء مرسوم بنظام GIS

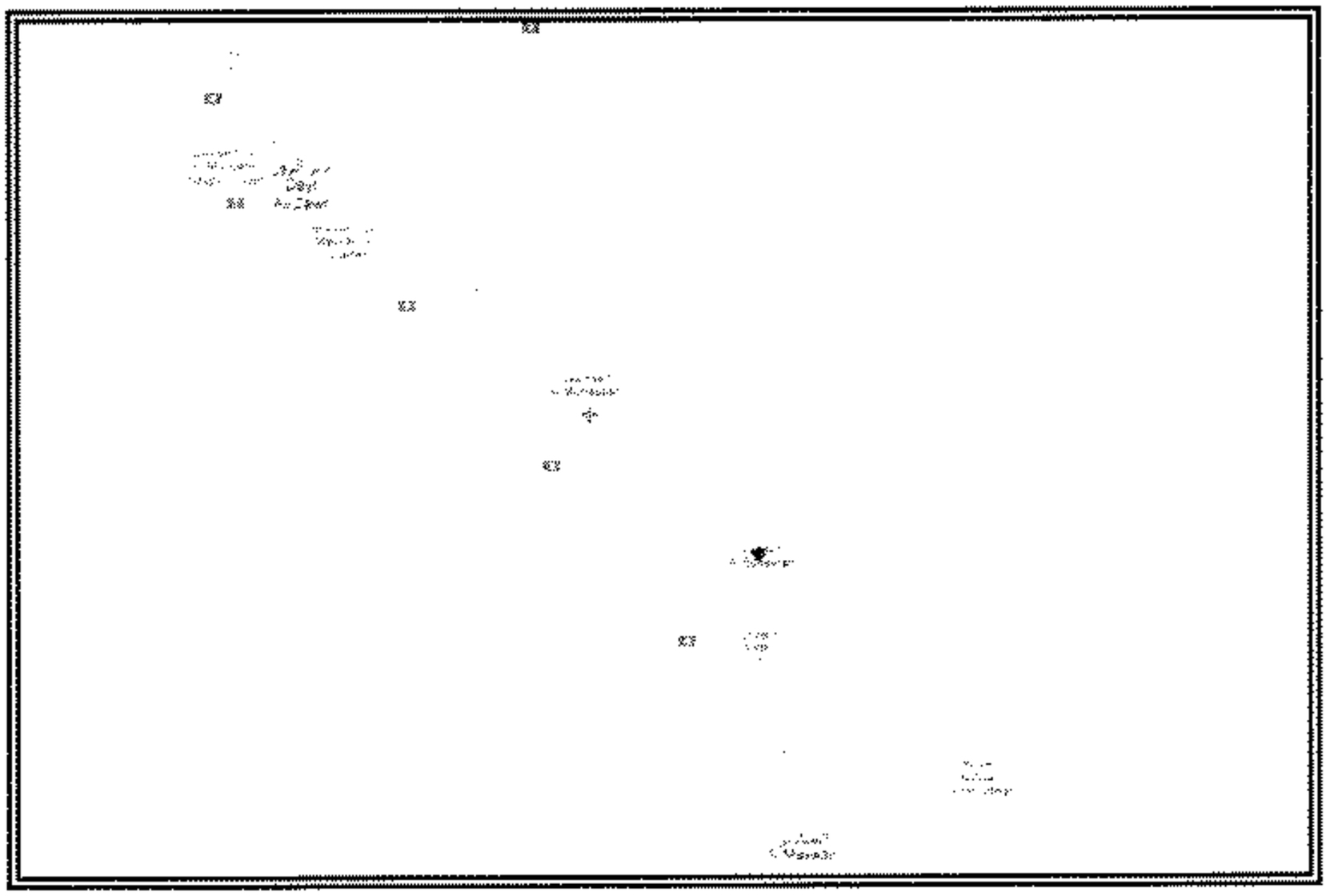

المبحث الثانى

تحليل الروايات الذاكرة لمعركة قرقيسياء

١ – الفرات وكنز الذهب :

قبل أن نشرع بالخوض في تفاصيل هذه المعركة ، ينبغي أن نلفت الانتباه إلى لبس آخر وقع فيه الشيخ الكوراني (حفظه الله) في كتابه (الممهدون للمهدي) ، إذ عد حدث(انحسار الفرات عن كنز من ذهب) كما جاء في بعض الأخبار سبباً مباشراً لنشوب القتال في قرقيسياء ، إذ قال :(أما سببها فهو الكنز الذي يكتشف او يظهر في نهر الفرات أو في مجراه)(١). حيث ظن أن اكتشاف الكنز في مياه المنطقة يكون سبباً مباشراً في إشعال فتيل المعركة ، وهذا الظن مرتكز على رأيه السابق بصدد موقع قرقيسياء: فان كون المنطقة

---

(١) علي الكوراني، الممهدون للمهدي، ص ٢٧٩ .

حدودية هو التبرير المعقول لحصول النزاع، قياساً على ما وقع في بعض المعارك في العصر الحديث. مثل التنازع على قطعة أرض أو جزيرة في بحر مشترك.... وهكذا.

ونحن لو تنزلنا ، وقبلنا أن يكون اكتشاف الكنز سبباً للنزاع، إلا أنه ليس سبباً لهذه المعركة حصراً، نعم ، إن صح خبر هذا الحدث ، فانه يكون متزامناً مع المعركة لا سبباً لها.

إن القول بسببية حدث (الانحسار عن الكنز) في نشوب معركة قرقيسياء يفتقر إلى تبرير أمرين ، وكلاهما مما لا يمكن تبريره إلا بتكلف وهما :

الأول : سلوك السفياني بعد خروجه من المعركة منتصراً. إذ ورد في أخبار الظهور أن السفياني بعد أن يحسم هذه المعركة لصالحه سوف يمضي قدماً في المعركة ويغزو العراق ، فذلك هو الهم الأكبر لديه فلو كان حدث الانحسار هو السبب المباشر لحدوث معركة قرقيسياء لأدى حسم المعركة في سوريا إلى توقف السفياني عن مواصلة القتال سواء على الجبهة العراقية أم التركية. ومنه يعلم أن الهدف ليس هو الاستحواذ على الكنز ، وبالتالي فانه من غير المرجح ان يكون سبباً للقتال.

الأمر الثاني : إن القرائن تشير إلى إن هذا الكنز مما لا يقبل الانتفاع منه مباشرةً.

فقد روى الشيخ علي بن حسام المشهور بالمتقي الهندي في كتابه (البرهان في علامات مهدي أخر الزمان) الخبر هكذا:

(يوشك الفرات إن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا)[٢]. ويمكن إن يوجه هذا الحديث بتوجيهين :

التوجيه الأول : إن اللام ، في عبارة(فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)ناهيه ، فتكون العبارة طبقاً لذلك ، إنشائية ، أي أنها في مقام تحذير الناس ونهيهم عن أن يأخذوا شيئاً من ذلك الكنز الذي يحسر عنه الفرات، وعليه تكون علة المنع هي : حدوث امر خطير يحول بين الناس وبين الأخذ المقدور لهم، كالوباء أو حدوث زلزال، أو ما أشبه.

التوجيه الثاني : إن اللام ، في العبارة المذكورة ، نافية، فتكون العبارة ، تبعاً لذلك خبرية ، أي أنها في مقام تقرير واقع هو : أنهم- بالفعل- غير قادرين على اخذ شيء وعليه فيكون المانع في الكنز نفسه ، أي انه ليس مما يمكن الأخذ منه مباشرةً. وحينئذ يكون المراد من قوله :(يحسر عن كنز من ذهب) المعنى المجازي لا الحقيقي.

ونحن نميل إلى ترجيح التوجيه الأخير، إذ أن هنالك أخبار أخرى تؤدي كون الكنز محمولاً على المجاز لا الحقيقة، ومنه الحديث الذي رواه الهندي في كتابه المشار إليه ، قال : (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل عليه الناس، فيقتل تسعة أعشارهم)[٣].

وهنا، نلاحظ أن هذا الحديث استعمل عبارة (جبل من ذهب) عوضاً عن (كنز من ذهب)، وبذلك صريح في إرادة المعنى

---

(٢) المتقي الهندي، البرهان في علامات مهدي اخر الزمان، ج٢ ، ص ٦٤٠ ح١١٥ .
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة .

المجازي، إذ كيف يجوز أن يحسر- مجرى النهر عن جبل ؟ فان قيل : لا دليل هنالك على ما ذكر في التوجيه الثاني من كون كنز مما لا يمكن الأخذ منه مباشرة، وان سلمنا لكم بصحة حمل المعنى على المجاز ، إذ لا موجب للتخصيص بذلك المذكور ، بل قد يستفاد من المجاز عكس ما ذكر في التوجيه ، فان الجبل يحتمل أن يكون كناية عن عظم الكنز، لا عن عدم جواز الأخذ منه مباشرة !!

نقول : إن الذي أشكل به علينا إنما يصح لو كانت العبارة مجردة عن القرائن الأخرى ، كقرينة الاقتتال التي لا تناسب القول بعظم الكنز، بل تناسب القول بندرته،كما سنسمع.

ومعنى إن ذلك الكنز مما لا يمكن الأخذ منه مباشرة، انه شيء غير قابل للتناول او الاستهلاك الآني المباشر، أي أن الانتفاع به يفتقر إلى وقت وجهد او تقنية عالية، كأن يكون الكنز عبارة عن حقول ضخمة للبترول (الذهب الأسود)أو منجماً كبيرا لعنصر نفيس كاليورانيوم ونحوه ، أو كنزاً أثرياً ذا قيمة تاريخية عظيمة، وما أشبه.

ولا مانع لدينا من كون الكنز- بالفعل- كنزاً من ذهب ، ولكن بتلك الصفة : أي ما لا يؤخذ منه مباشرة، كأن يكون منجماً تحت الأرض في مجرى النهر او بالقرب منه.

ويبدو للناقد البصير انه من غير المناسب في ظل التوجيه الذي أخذنا به أن يوجد ثمة داع معقول لحدوث القتال او الاقتتال، فضلا عن فناء ذلك العدد الضخم من البشر- بالفعل بسببه!! ونرى : أن التبرير المقبول لحدوث هذا الاقتتال بين الناس، بعد التسليم بعدم

حصول الانتفاع بالكنز مباشرة، هو أنه لا يكون بسبب نفس الكنز، بل بسبب أمر آخر ، عند موقع الكنز.

وبعبارة أخرى ، فان الاقتتال بين الناس لا يحصل نتيجة للمنازعة او لمبادرة بينهم للأخذ منه، بل يحدث في محل تواجد ذلك الكنز، ولعل أخرى غير نفس اكتشافه هنالك. اذ لا يلزم أن نفهم من عبارة : (يقتتل عليه الناس) أن الاقتتال يحصل بسبب اكتشاف الكنز في مجرى النهر أو انحسار النهر عنه، فدلالة العبارة ليست سببية بالضرورة ، فانه يصح أن تكون الدلالة ظرفية، وما علينا إلا أن ندعم هذا الرأي بدليل : روى صاحب كتاب البرهان:(لا تقوم الساعة، حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل عليه الناس، فيقتل منكل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجلٍ منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو)[1].

ومنه يتبين أن الاقتتال لا يكون من اجل الكنز أو معلولاً لاكتشافه في مجرى النهر ، طالما ان كل واحد من الناس يكون طالباً للنجاة. ومن المستبعد أن تكون النجاة المقصودة هي : النجاة بالفوز بالذهب، فذلك بعيد عن المتبادر، إذ الطالب للنجاة إنما يطلبها لينجو من القتل، كما هو واضح من سياق الخبر.

روى عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ انه قال: (يقتتل عند كنزهم ثلاثة ، ثم يجيء خليفة الله المهدي) [2] الحديث، وفي هذا الخبر تصريح

---

(١) المصدر السابق .

(٢) نجم الدين العسكري، المهدي الموعود المنتظر، ج٢ ، ص ١٨٥ .

بالمقصود من عبارة (يقتتل عليه الناس) حيث استعمل الظرف عند بدلاً من حرف الجر على.

والنتيجة التي نصل اليها، بعد هذه المناقشة، ان انحسار الفرات عن كنز من الذهب، كما ورد في الأخبار ، لا يكون هو السبب الرئيسي- لمعركة قرقيسياء كما ظن الكوراني (حفظه الله)، بل إن هنالك سبباً آخر لنشوب هذه المعركة ، نعم ، إن اكتشافه قد يكون من الأسباب الثانوية التي تؤثر على اتخاذ بعض الإطراف لقرار المشاركة في القتال... بيد إننا لا نتوقع أن يكون (كنز الذهب) الذي هو في الأصل كنزاً سورياً، محلاً للنزاع بين هذه الدولة ودول أخرى، فان ذلك بعيد عن منطق النزاعات الإقليمية أو العالمية في الزمن المعاصر. اللهم إلا أن يكون الكنز أمراً حيوياً، بحيث تؤدي السيطرة عليه أو التحكم به إلى حدوث مشاكل أو كوارث إنسانية وبيئية كبرى، كأن يكون المقصود من (كنز الذهب) المياه مثلاً. بحيث يمكن تبرير التنازع بين الدول حتى وان كان الكنز موجوداً في دولة معينة حصراً، غير أن هذا الاحتمال، رغم وجاهته، يستلزم أن يكون موقع الكنز هو دولة المنبع ، أعني تركيا، لا سوريا، فالتحكم في مياه نهر الفرات ومناسيبه أو تغيير وجهته، أن أمكن ، فهو من شأن تركيا بلد المنبع. وعلى كل حال فالنقاش في هذا الموضوع طويل فيه، ونكتفي منه بما ذكرناه. والله أعلم بحقيقة الحال.

٢- فتنة الشام ومفاوضات السلام :

روى جابر الجعفي عن الأمام الباقر (ع) أنه قال: (يا جابر لا يظهر القائم حتى تشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه

، ويكـون قتـل بـين الكوفـة والحـيرة قـتلاهم عـلى سـواء. وينـادي منـادٍ من السـماء)[1]. تلـك ثالـث علامـات متتابعـة مـن علائـم الظهـور، قبيـل خـروج المهـدي عليه السلام ولا يهمنـا – في هـذا الموضـع –سـوى العلامـة الأولى: فتنـة الشـام وظـاهر الحـديث ان هـذه الفتنـة تشـمل جميـع دول الشام.

وقد جاء في وصف هذه الفتنة وكيفية حدوثها الخبر التالي :

(تكـون فتنـة كـأن أولهـا لعـب الصـبيان، كلـما سـكنت في جانـب طمت مـن جانـب أخـر، فـلا تتنـاهى حتـى ينـادي منـاد مـن السـماء إلا إن أميركم فلان، ذلكم الأمير حقاً(يقول ذلك ثلاث مرات)[2].

وكأنهـا إشـارة واضـحة لحادثـة الأطفـال الـذين كتبـوا حـول الرئيس بشـار الأسـد في درعـا، ولكـن الأمـور تطـورت في سـوريا بـدعم من تركيا وقطر والسعودية لتتخذ اتجاهات وأبعاد أخرى.

وفي رواية أخرى عن سعيد بن المسيب :

(يكون بالشام فتنـة كلـما سـكتت مـن جانـب ضـجت مـن جانـب، فـلا تتنـاهى حتـى ينـادي منـاد مـن السـماء إن أمـيركم فـلان(أي المهدي عليه السلام))[3].

وعنـدما نتأمـل في هـذه الأخبـار مـن زاويـة حديثـة ، فلعلنـا لا نجد شاهداً لها أصدق مما يسـمى اليـوم بـ (ثـورات الربيـع العـربي) ومـا يحـدث في سـوريا مـن قتـل ودمـار مـن قبـل (الجـيش السـوري الحـر- مجموعـة مليشـيات تـدين بـالولاء لجهـات عـدة هـدفها الأسـاس

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج٥٢، ص ٢٩٨ .
(٢) السيوطي، العرف الوردي، ج٢، ص ٥٧ .
(٣) نجم الدين العسكري، المهدي الموعود المنتظر، ج٢، ص ٢٥٣ .

إضعاف محور الممانعة لتقوية إسرائيل في المنطقة العربية)، كما إن أحداث لبنان المتجددة بين مدة وأخرى لهي شاهد حي على ذكر هذه الفتنة، وأحداث الأردن التي تلقي بضلالها بين فترة وأخرى، هي الأخرى تشير بشكل إجمالي لهذه الفتنة، وأيضاً لا ننسى(مفاوضات السلام)المزعومة بين إسرائيل ودول المنطقة ، ففي الخبر الأول هناك إشارة إلى حدوث أزمة تسعى الأطراف لتجاوزها (يطلبون فيها المخرج) وربما كان ذلك المخرج هو الحل الذي يطرحه الصهاينة اليوم والذي يدعى بـ (مبدأ الأرض مقابل السلام) بيد أن الخبر يؤكد بأن لا مخرج من هذه القضية.

أما الخبران الآخران فإنهما بصدد وصف حالة عدم الاستقرار المترتبة على حدوث تلك الأزمة، إذ أن الفتنة لا تكاد تهدأ وتسكن من جانب حتى تهيج من جانب آخر. أما عبارة (كان أولها لعب الصبيان) ففيها إشارة أخرى إلى عدم جدية بعض الإطراف فيما يطرحه من حلول لتجاوز الأزمة ، فهي بالنسبة إليه مجرد لعبة يسعى من خلالها إلى قتل الوقت أو ملأ الفراغ، وهذا ما نلحظه في الأسلوب الذي يتبعه الصهاينة، فإنهم غير جادين مطلقاً فيما يطرحوه، فسرعان ما تتبدل وجهات نظرهم ومواعيدهم ومواثيقهم تبعاً للظروف، إذ يقومون باختلاق الأعذار وإيجاد التبريرات للتنصل من التزاماتهم...وذلك لعب الصبيان كما لا يخفى ولكن إلى متى ؟

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال :

(إذا اختلف رمحان بالشام فهو أية من آيات الله تعالى قيل ثم مه ؟ قال :ثم رجفة تكون بالشام يهلك فيها مائة ألف ، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين...)(٤).

ولعل المقصود من اختلاف الرمحين هو ما ستسفر عنه تلك الأزمة ، نعني أزمة المفاوضات، ومن نتيجتها اختلاف الرمحين وحدوث الرجفة هما كناية عن حصول الحرب بدخول المجموعات الإرهابية المسلحة إلى سوريا. فعسى أن يكون قوله عليه السلام : (يجعلها الله (حصول) رحمة للمؤمنين) إشارة إلى انتصار الحق على الباطل ، أو انتصار العرب، وقوله : (وعذاباً على الكافرين) إشارة إلى هزيمة الصهاينة، (...فإذا كان ذلك، فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر بقرية من قرى الشام يقال لها : حرستا(١).....)(٢).

لعله يشير بالمقبلين من المغرب إلى القوات الغربية التي يتم تحشيدها على اثر حدوث الصراع بين الطرفين المختلفين في الشام، والمعبر عنه بالرجفة ، أم البراذين الشهب، فلعلها- والله أعلم- كناية كناية عن المدرعات والعجلات العسكرية ذات اللون الأشهب (لون التراب) فالبراذين جمع برذون، وهي في اللغة تعني : دابة الحمل الثقيلة(٣). ومن المحتمل أن تشير الرايات الصفر الى

---

(٤) الطوسي، الغيبة، ص ٢٧٧ .

(١) الطوسي، مصدر سابق، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٢) حرستا: قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق (الغوطة الشرقية) على طريق حمص ، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ (مراصد الاطلاع ج١ ص ٣٩٢) .

(٣) أنظر المنجد، مادة (برذن)، وفي رواية أخرى (فأنظروا الى اصحاب البراذين الشهب المحذوفة) أي المقطوعة الاذان والاذناب، وهذا الوصف اقرب في الدلالة على ما ذكرناه، انظر البحار، ج٥٢، ص ٢٥٣ .

نصـــرانية أو لا أســلامية القــوات المقبلــة مــن الغــرب، إذ لعلهــا تلــوح برايــة الفاتيكــان ذات اللــونين الاصــفر والأبــيض، تســمية لهــا بــأظهر جزيئها.

وفي الحـديث اشـارة لطيفـة ونكتـة دقيقـة، قـل مـن يلتفـت اليهـا، الا انه بمزيد مـن التامـل في الفـرق بـين مـدلول كلمـة (فـانظروا) وكلمـة (فـانتظروا) يمكـن تلمسـها... فـان الامـام أمـير المـؤمنين عليه السلام قـال أولاً (فــانظروا الى أصــحاب الــبراذين... الــخ) ثــم قــال بعــد ذلــك : (وانتظــروا خســفاً بقريــة حرســتا) للدلالــة عــلى الحــدوث الفــوري في الاولى وعــلى التراخــي في الثانيــة..ومعنــى ذلــك : ان تجمــع القــوات يحصل مباشرة بعـد حصـول الصراع المشـار اليـه، بينما يحـدث الخسـف بقرية حرستا بعـد ذلـك بفـترة قـد تطـول او تقصر، وهـذا يفسر انتشـار قــوات الفصــل الدوليــة في هضــبة الجــولان الســورية منــذ عــام ١٩٧٦ وحتى الان ولـون علمهـم. والخسـف ربـما كـان مـن مصـاديقه القصـف الـذي نعرفـه (جـوي او صـاروخي) لان مـا يترتـب عليـه هـو حـدوث انخساف وانفلاق في الأرض.

وربـما تـم اختيـار مدينـة حرسـتا – حسـبما جـاء في الخـبر– بسـبب أهميتهــا (الاســترتيجية أو العســكرية) فلعلهــا تكــون مركــزاً لقاعــدة جويــة أو مــا أشــبه ، وهــي في الحقيقــة الآن تقــع مفــترق طــرق اســتراتيجي هــام مــن يســيطر عليهــا يــتحكم بــالطرق الأساســية نحــو الشمال.

وروي عـن الإمـام البـاقر عليه السلام انـه قـال لجـابر الجعفـي:(يـا جـابر، الــزم الارض ولا تحــرك يــداً ولا رجــلاً حتــى تــرى علامــات أذكرهــا لــك، ومــا أراك تــدرك: اخــتلاف بنــي فــلان، ومنــادي مــن الســماء،

ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح، وخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتقبل اخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة فيها اختلاف كثير من كل الأرض من ناحية المغرب....)[٤]. هذه العلائم التي ذكرها الأمام الباقر عليه السلام تحدث في فترات متقاربة، كما يفيد بذلك سياق ذكرها مترتبة ومعطوفة بالواو، فأولاً : ذكر الأمام عليه السلام اختلاف بني فلان، ثم ذكر بعدها اية النداء: وهي إحدى العلائم الخمس المحتومة، وتقديمها في الخبر على علامة الصوت الأتي من دمشق لا يدل بالضرورة على تقدمها الزماني ، فالسياق كما أنه يفيد كون العلائم متتابعة كذلك يدل على تقاربها بغض النظر عن التتابع، بل قد يستفاد من أخبار أخرى لتصريح يكون أية النداء متأخرة عن الصوت.

إن الصوت الذي أتى من ناحية دمشق بالفتح قد يكون القصد منه، والله أعلم، صوت الإذاعة السورية الذي يبث فيه من دمشق نبأ النصر، المعبر عنه – هنا- بالفتح. إلا أن ما تدل عليه كلمة الفتح أعم مما دل عليه كلمة النصر، إذ ربما يشير ذلك إلى حصول هزيمة للعدو ينسحب على أثرها من أراض عربية كان قد احتلها من قبل[٥].

---

(٤) الطوسي ، مصدر سابق، ص ٢٦٩ .

(٥) وبهذا الصدد نذكر الانتصارات المتكررة للمقاومة اللبنانية (حزب الله) والحاق الهزيمة بالعدو الصهيوني ، فانسحب من جنوب لبنان بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٠ الموافق ٢٠ صفر ١٤٢١هـ .بالاضافة الى الانتصار في حرب تموز ٢٠٠٦ .

أما خسف الجابية،فلعل فيها إشارة إلى قصف القوات القادمة من الغرب لموقع حصين في مرتفعات الجولان السورية، فالجابية هي إحدى القرى التابعة لها. ولست على يقين من مسألة احتفاظ تلك القرية بأهميتها الكبيرة التي كانت تتمتع بها على عهد الدولة الأموية وما قبله.

فان موقع الجابية- كما جاء في كتب التاريخ- من المواقع الاستراتيجية والعسكرية المهمة في بلاد الشام، ذكر بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) ما يلي : (وكان مركز القيادة الإسلامية في الجابية، في الجولان على مسيرة يوم واحد جنوبي دمشق، وكانت الجابية مقر الأمراء الغسانيين من قبل، وقد احتفظت بأهميتها العسكرية حتى عهد الأمويين)[1].

وان صح ظننا فان هذا القصف الذي يحدث للجابية يكون أثر هزيمة أخرى للعدو تلي هزيمته الأولى، وفيه إشارة إلى تحرير ارض الجولان المحتلة، إن شاء الله تعالى.

اما (نزول اخوان الترك الجزيرة، ونزول مارقة الروم الرملة) فانه- وقبل كل شيء – يشير إلى ما يشبه الاتفاق بين الترك والروم. او على الأقل التوافق التكتيكي، وذلك لتزامن النزولين، ويمكن أن تكون دلالة هذا التوافق نوعاً من الحلف بينهما. وقد ورد في بعض الأخبار ما يؤكد هذا المعنى ، فعن عمار بن ياسر (رض) انه قال : (ان دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان، لها أمارات، فإذا استثارت عليكم الروم والترك وجهزت الجيوش، ومات خليفتكم الذي

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية .

يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح فيخلع بعد سنين (ربما بني العباس) من بيعته، وياتي هلاك ملكهم من حيث بدء، ويتحالف الترك والروم...)[٢].

فقوله :(فإذا استثارت عليكم الروم والترك) يشير الى وجود مثل هذا الاتفاق أو الحلف... ونعتقد أن قوله بعد ذلك : (ويتحالف الترك والروم) هو تصريح بالحلف لا يحتاج إلى تكلف.

وهنالك توجيهان فيما يتعلق بالمقصود من إخوان الترك في الحديث المتقدم، ونعني حديث الإمام الباقر عليه السلام الآنف الذكر.

التوجيه الأول : إن إخوان الترك القاطنين في جمهورية تركيا الحالية وكلمة (إخوان تشير إلى : اخوة الدين، كما قال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات/ الآية ١٠.

التوجيه الثاني:إن إخوان الترك هم الروس: ،وعليه فان كلمة (إخوان) هنا للإشارة إلى الجوار. اعني كون الروس جيران الترك، أو أنها إشارة الى العرق أو الأصل الواحد، فتشمل الأقوام المنحدرين من هذا الأصل فالإخوة هنا إخوة جغرافية وحضارية معاً.

١. ونحن نميل إلى ترجيح التوجيه الأول: نعني المقصود من قوله(إخوان الترك) هم الأتراك ، وذلك بالاستناد إلى قرينة قوله بعد ذلك: (مارقة الروم) فكأن وضع (مارقة الروم) في مقابلة (إخوان) هو الدلالة على تباين المعتقدين، إذ أن المروق من مصاديق الكفر بالمعنى

---

(٢) الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٧ .

الأعم. أما الروم فهم الأقوام الذين يقطنون القارتين : أوربا وأمريكا الشمالية على الأرجح، وذلك لوحدة أصولهم وحضارتهم، والله تعالى اعلم.

والجزيرة(٣) وهي الأرض الممتدة بين نهري دجلة والفرات في كل من سوريا والعراق. ونزول الأتراك في هذه المنطقة ربما كان لأجل فرض طوق وتضييق خناق ،إما نزول الروم الرملة(٤) وهي مدينة في فلسطين المحتلة فربما كان هو الآخر أحكاما للطوق المفروض او لفرض حماية على دولة إسرائيل اثر الهجوم التي تتعرض له من قبل قوات الإمام المهدي عليه السلام.

وربما أمكن الاستفادة من قول الإمام الباقر عليه السلام : (فتلك السنة فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب) ان الزعامة العسكرية تكون بيد الروم، وان الأوامر تصدر من جهتهم. كما يمكن الاستفادة منه: ان الحروب والنزاعات الإقليمية والعالمية تحدث كلها حينئذ بتخطيط مسبق من قبل الغرب، كما هو مشهود اليوم في عالمنا المعاصر.

المبحث الثالث

معركة قرقيسياء أعظم معركة في التاريخ البشري

---

(٣) قال صاحب مراصد الاطلاع: (وهي التي بين دجلة والفرات، وهي تجاوز الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر. سميت بالجزيرة ،لانها بين دجلة والفرات، وهما يقبلان من بلاد الروم وينجطان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة، ثم يصبان في البحر، وهي صحيحة الهواء، فيها مدن جليلة وقلاع وحصون كثيرة ، من أمهات مدنها: حران والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وامد وميافارقين والموصل، وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه (مراصد الاطلاع ج١ ص ٣٣٢) وقال ياقوت الحموي: (فكانت الجزيرة أسهل البلاد افتتاحاً : لان اهلها رأوا أنها بين العراق والشام، وكلاهما بيد المسلمين، فأذعنوا بالطاعة...) (معجم البلدان، م١ ، ص ١٣٥).

(٤) الرملة: مدينة بفلسطين، كانت قصبتها ، وكانت رباطاً للمسلمين وبينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلاً ، وهي كورة منها، (مراصد الاطلاع ج٢ ص ٦٣٣).

روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديثه مع ميسر: (يا ميسر، كم بينكم وبين قرقيسيا ؟ قلت: هي قريب على شاطئ الفرات، فقال: اما انه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والارض. ولا يكون ما دامت السماوات والأرض: مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء. يهلك فيها قيس ولا يدعى لها داعية. وينادي منادٍ هلموا إلى لحوم الجبارين)[1]. كما ذكر الحديث الأتي : (ان لله مأدبة بقرقيسيا يطلع مناد من السماء فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلمي إلى الشبع من لحوم الجبارين)[2].

كما ذكر الحديث : (يظهر السفياني على الشام ثم تكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتى تشبع طير السماء وسباع الارض من جيفهم، ثم ينفق عليهم من خلفهم فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان فيقتلون شيعة ال محمد بالكوفة ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي)[3].

وروى الحنفي في كنز العمال ج٦ ،ص ٦٨ : (اذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفياني).

---

(١) الكليني، روضة الكافي، ص ٢٤٥ .

(٢) الشافعي، عقد الدرر، ح٣٥، ص ٥٧ و ١٢٦ و٣٣٥ .

(٣) الحنفي، كنز العمال، ج٧، ص ٧٠ وقريبا منه ج٦ ، ص ٦٧ والشافعي ،عقد الدرر ج ١٣٤ . كما روى حديث وقعة قرقيسيا على الكنز ابن ماجة في سننه برقم (٤٠٨٤) ، ورواه السيوطي في الحاوي ج٢، ص ١٢٧ وقال اخرجه ابن ماجه، والحاكم صححه وابو نعيم عن ثوبان .وصححه الصديق الحضري في رده على ابن خلدون وقال: قال الحافظ البوصيري في زوائده : حديث صحيح .
واخرج احاديث الكنز ووقعة قرقيسيا ابن حمادة في الفتن ص ٧٦ و ٨٢ و٩٢ ، وفي بشارة الاسلام ص ١٠٣ و ١٧٧ و١٨٨ و١٩١ و ٢٨٦، والمجلسي في البحار ح ٥٢ ص ٢٢٠ و ٢٤٥ ، والطوسي في الغيبة ص ٢٧٩ والنعماني في الغيبة ص ١٤٨ ، والحاكم في المستدرك ج٤ ،ص ٤٦٣ و٤٦٤ .

ورواه القرطبي في التذكرة وقال : رواه ابن كثير في النهاية وقال:(هذا إسناد قوي صحيح، والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون اخر الزمان فيخرج المهدي ويكون خروجه من بلاد المشرق).

إن اكبر رقم تم رصده للقتلى في الحروب هو أربعين مليون إنسان وذلك بحسب آخر الإحصائيات وكان ذلك في الحرب العالمية الثانية، وبحسب ما جاء في هذا الحديث فان عدد الخسائر في الأرواح سوف يتجاوز هذا الرقم بكثير... ولا يمكن بطبيعة الحال ان نتصور حدوث هذا الحجم الرهيب من القتلى في حرب تقليدية تستخدم فيها الاسلحة الاعتيادية، لاسيما اذا انضاف الى ذلك ان تلك الحرب لا يتجاوز تسعة اشهر كما جاء في الكثير من الروايات. وهي الفترة التي يعتلي فيها السفياني سدة الحكم في بلاد الشام.

والذي يؤيد صحة الاستنتاج بكون هذه المعركة غير تقليدية، بالإضافة إلى ما تمت الإشارة إليه فيما يتعلق بعدد من يقتل فيها في فترة قصيرة نسبياً، ما ورد في حديث رواه المتقي الهندي في كتاب البرهان يصف فيه طراز الأسلحة التي يستخدمها السفياني في حروبه بعدما يظهر في بلاد الشام، عن خالد بن سعيد، قال: (يخرج السفياني وبيده ثلاث قبضات ،لا يقرع بهن أحداً إلا مات)[٤].

فالقبضات هي كناية عن السلاح المستعمل آنذاك. ومفردها قبضة : وهي الأنبوبة من الجوهر(كما في مختار الصحاح) أما لماذا هي ثلاث

---

(٤) المتقي الهندي، البرهان في علامات مهدي اخر الزمان، ح ١٢٨، ص ٢٥٤ ج٢ .

قبضات ؟ فربما يشير إلى نوع وتركيب ذلك السلاح الذي لا يشبه السلاح التقليدي المتعارف عليه.

أما المقصود من قوله: (مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء). ففيه رأيان :

الرأي الأول: أن المعنى هو الظاهر من العبارة، أي ان كثرة من يقتل من الناس في هذه المعركة سيحول دون إمكانية دفن العدد الأكبر في الأرض ويصبحون وليمة للحيوانات البرية المفترسة من السباع والجوارح.

- الرأي الثاني: أن المقصود من سباع الأرض هو الدبابات والمدرعات التي تقوم بتمزيق أشلاء المقاتلين، وتطأ قتلاهم. والمقصود من طيور السماء الطائرات والقاذفات المغيرة على قطعات الجيوش المتصارعة، حيث تقوم بإلقاء حمولتها من القنابل والصواريخ فتحصد الناس وتحولهم إلى ركام أو تجعلهم كعصف مأكول.

والاحتمالين المذكورين في هاذيان الرأيين كلاهما وارد، الا ان الاحتمال الأول أقوى بقرينة التمادي الذي ينادي أن (هلموا إلى لحوم الجبارين) ويظهر من بعض الأخبار أن ذلك المنادي هو وحي من الله تعالى للسباع والطيور، روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : (ان لله مأدبة بقرقيسيا يطلع مطلع من السماء فينادي: يا طير السماء ويا سباع الأرض، هلموا إلى الشبع من لحوم الجبارين)[1]. وورد في

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٥ ، ص ٢٤٦ .

رواية أخرى عن الباقر عليه السلام انه قال : (إن لولد العباس وللمرواني لوقعة بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله عنهم النصرة ويوحي الى طير السماء وسباع الارض : ان اشبعي من لحوم الجبارين، ثم يخرج السفياني)(٢).

ويمكن لنا ان نستنتج من هذا الحديث بالإضافة إلى ما تقدم ، جملة من الفوائد كيما تتضح معالم هذه الوقعة الكبرى :

الفائدة الاولى: ان قوات ولد العباس وقوات المرواني، هما من الإطراف الرئيسية في هذه المعركة، وهما الآن تحت الاسم المزعوم (الجيش السوري الحر)، والمقصود بولد العباس في هذا الحديث انهم أتباع المذهب الآخر في العراق، أما المرواني فانه يحتمل بشأنه احتمالات ثلاثة

الأول: انه تصحيف (الروماني)، أي قائد الروم، أو تصحيف (الماروني)، أي رئيس النصارى المارونيين في الشام.

الثاني: انه حاكم الاردن، وهذا الاحتمال مبني على اساس ما ذكره المسعودي في مروج الذهب، قال: (وبويع مراون بن الحكم...وذلك بالأردن ، وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته)(٣). فعلى ضوء ما اتبعناه في تحديد المقصود من بني العباس حين يرد ذكرهم في علائم الظهور، بالرغم من انقراض دولتهم في القرن السابع الهجري (عام ٦٥٦هـ) على يد هولاكو، كذلك يجوز ان نحذو في فهم ما هو المقصود من (المراوني ابو بني مروان) نفس الحذو، باعتبار أن الأردن دار ملكهم ومنبر خلافتهم الأول، فيكون

---

(٢) المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٢٥١ .
(٣) المسعودي، مروج الذهب ، ج٣، ص ٩٤ .

حـاكم الأردن في العصـور التاليـة، منسـوبا إلـيهم ، أي يمكـن أن نعـده مروانيـاً الا أن في هـذا الاحـتمال تكلـف نوعـا مـا، قـد لا نكـون مضـطرين اليـه. وربـما يكـون حـاكم الأردن الآن مـوالي الـيهم عقائـديا فهو معهم في هذا الأمر.

الثالـث : انـه رجـل ينتسـب إلى مـروان بـن الحكـم ، أي انـه مـن نسـله يظهـر في اخـر الزمـان في بـلاد الشـام ،كـما ان السـفياني مـن نسـل أبي سفيان ولا يظهر إلا من قبيل خروج المهدي عليه السلام.

الفائـدة الثانيـة : إن عبـارة :(أن الولـد العبـاسي وللمـرواني لوقعة....) لا تـدل بالضرـورة عـلى انهـما خصـمان يقـاتلان ضـد بعضـهما جنباً الى جنـب ضـد عـدو مشـترك. ويمكـن إثبـات صـحة هـذه النتيجـة مـن خـلال التامـل في قرينـة (ويرفـع الله عنـه النصرـة). اذ بنـاءً عـلى مـا جاء في الأخبار فـان هـذه المعركـة لا بـد ان تنتهـي بوجـود طـرف منتصر- وهو السـفياني وحلفـاؤه –كـما سـوف يـأتي- فعـدم كـون المـرواني وولـد العبـاس منتصرـين لهـو دليـل عـلى تحـالفهما وكـونهما في الخنـدق المقابـل لخندق السفياني المنتصر.

وهنـاك حـديث يشـهد بصـحة هـذا الاسـتنتاج، ورد عـن الصـادق عليه السلام انـه قـال: (اذا صـعد العبـاس أعـواد منـبر مـروان أدرج[1]. ملك بنـي العبـاس[2]). فصـعود العبـاسي عـلى أعـواد منـبر مـروان قرينـة ناهضة على تحـالف الطـرفين، لانـه دليـل عـلى التقـارب والتـواد، وذلـك أمـر يشـهد بمثلـه التـاريخ في اخبـار الملـوك والرؤسـاء فمـن المتعـارف

(١) أدرج: زال أو انقرض . من الفعل (درج) أي مضى لسبيله. المنجد .
(٢) النعماني، الغيبة ، ص ١٤١ ط حجرية .

عند هؤلاء أنهم حينما يرمون تقريب شخص معين ويظهرون مدى حظوته لديهم يقمون بإجلاسه معهم على المنبر أو سرير الحكم تشريفاً وتفخيماً لشأنه.

هناك مسألة انقدحت في ذهننا ونحن بصدد تفسير هذا الحديث ربما كان من الأفضل عدم تجاوزها وهي: أن عبارة(أعواد منبر مروان) ربما كانت تلويحاً بجبال عمان الأربعة وذلك إذا ما أخذنا بالاحتمال الثاني المذكور في الفائدة الأولى باعتبار إن المرواني هو حاكم الأردن. والله اعلم.

الفائدة الثالثة : يستفاد من آخر فقرة من الحديث الذي نحن بصدده : (ثم يخرج السفياني) ان هذا الأخير لا يشارك ابتدأ في معركة قرقيسياء. وإنما يدخل في القتال بعد ذلك، عندما يحتدم الصراع بين الإطراف الأخرى. وفي دخوله الحرب يحصل تحول خطير في موازين القوى ينجم عنه حسم المعركة على يديه. روى جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام في حديث له طويل، نقتبس منه موضع الحاجة، قال عليه السلام : (...ثم لا يكون له همة (أي للسفياني) إلا الإقبال نحو العراق ويمر بجيشه بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتل من الجبارين مائة ألف...)[٣].

- السفياني ومعركة قرقيسياء الكبرى :

يتضح من دراسة الأخبار التي تتحدث عن السفياني، أنه قائد عسكري كبير يستولي على الحكم في بلاد الشام على أثر انقلاب مخطط له مسبقاً من قبل جهات أجنبية، وذلك من أجل تنفيذ مهمة

---

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ .

كبرى في منطقة الشرق الأوسط، وهي المنطقة المتفجرة من العالم ، ولتحقيق جملة من الأهداف... ولابد لنا قبل كل شيء ، إن نحدد ملامح هذه الشخصية لكي نتعرف على بعض صفاتها ونوازعها وتطلعاتها.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس[٤]، وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجه أثر جدري ، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة ، وهو من ولد ابي سفيان حتى يأتي أرض ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها)[٥]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام ،قال (السفياني أحمر ازرق أشقر لم يعبد الله قط، ولم ير مكة ولا المدينة قط، يقول يا رب ثأري والنار، يا رب ثأري والنار)[٦]. ويظهر من هذا الحديث ان السفياني رجلاً موتورا يطلب ثأراً ، وفي رواية أخرى عن علي عليه السلام :(لو رأيت السفياني رأيت أخبث الناس: أشقر أحمر ازرق، يقول : يا رب ثأري ثم النار ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه)[٧]. ويبدو من بعض الأخبار إن ثار السفياني مع كل شيعة آل محمد عليهم السلام وبني العباس.

---

(٤) وهو واد في ناحية مدينة دمشق، روي عن أمير المؤمنين بخبر اخر، قوله: (السفياني من ولد خالد بن يزيد بن ابي سفيان، رجل ضخم الهامة بوجهه أثار جدري، بعينه نكتة بيضاء. يخرج من ناحية دمشق في واد يقال له الوادي اليابس ..) أعلام الورى، ص ٤٥٧ باب علامات خروجه .

(٥) الصدوق، إكمال الدين، ج٢ ب ٥٧ ص ٦٥١، ح٩ .

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥٤ .

(٧) نفس المصدر، ج٢ ب ٥٧ ص ٦٥١ ح ١٠ .

روي عن ابي جعفر عليه السلام في حديث طويل : (يظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون له همة الا ال محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وشعتهم ، فيبعث بعثاً الى الكوفة، فيصاب بأناس من شيعة ال محمد قتلاً وصلباً..)[٨].

وعن الصادق عليه السلام : (كأني بالسفياني أو بصاحبه السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة. فنادى مناديه: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه فيأخذ ألف درهم)[١].

وروي عن النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ انه ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق وأهل المغرب قال : (فبينما هم كذلك إذ يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك من المدينة الملعونة...فيقتلون اكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مائة امرأة ، ويقتلون أكثر من ثلاثمائة كبش من بني العباس....)[٢]. وعن الباقر عليه السلام : (لابد أن يملك بنو العباس فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم، خرج عليهم الخراساني والسفياني... هذا من ههنا وهذا من ههنا، حتى يكون هلاكهم على أيديهما. أما أنها لا يبقون منهم أحداً أبداً)[٣].

أما مسألة عمالة السفياني للغرب فهي ثابتة في كثير من الأخبار: روي عن بشر بن غالب: (يقبل السفياني من بلاد الروم متنصراً، في عنقه الصليب، وهو صاحب القوم)[٤]. وعن

---

(٨) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٢٢ .
(١) المجلسي، مصدر سابق، ص ٢١٥ .
(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٤ ، ص ٣٩٨ .
(٣) المجلسي، مصدر سابق، بحار الأنوار،ج٥٢، ص ٢٣٤- ٢٣٥ .
(٤) الطوسي، الغيبة، مصدر سابق، ص ٢٧٨ .

أمير المؤمنين عليه السلام: (يخرج في سبعة نفر مع كل رجل منهم لواء معقود، يعرفون به في النصر. يسير بين يديه ثلاثين ميلاً، لا يرى ذلك العلم احد يريده الا انهزم)(٥). وفي هذا الخبر الأخير إشارة إلى تلقي السفياني الدعم من سبعة دول كبرى بقرينة اللواء المعقود فانه رمز للدولة كما نعرفه هذه الأيام. ويتضح هذا التوجيه أكثر بالتأمل في الخبر الآتي :

روى المتقي الهندي في البرهان نقلاً عن ابن حماد في كتاب الفتن :

(يؤتي السفياني في منامه، فيقال له قم فاخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتي الثانية، فيقال له مثل ذلك، ثم يقال له في الثالثة: قم فاخرج فانظر إلى باب دارك، فيحدر في الثالثة إلى باب داره، فإذا هو بسبعة نفر، وتسعة معهم لواء، فيقولون: نحن أصحابك، فيخرج إليه صاحب دمشق فيلقاه فيقاتله، فإذا نظر إلى رأيته انهزم)(٦)

عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في حديث جابر الذي نقلنا الى قسماً منه انفاً، قال : (فأول أرض تخرب بالشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات، راية الاصهب، وراية الابقع، وراية السفياني)(٧).

فالاختلاف المذكور هنا قد يعني: ان اصحاب تلك الرايات يخلف بعضهم بعضاً على تولي منصب رئاسة الدولة، ولا يعني بالضرورة التصارع او التنازع وان استلزم ذلك من جهة اخرى

---

(٥) ابو الفضل الطبرسي، أعلام الورى، مصدر سابق، ص ٥٧ .
(٦) المتقي الهندي، مصدر سابق، البرهان، ح ١٢٩، ص ٦٥٥ .
(٧) الطوسي، الغيبة، ص ٢٦٩ .

تكـون الحـرب في قرقيسـياء مسـتعرة، حيـنما يـاتي ولي السـفياني زمـام الامـور بـلاد الشـام ويخضـعها تحـت سـلطانه، فعـن عـلي عليه السلام : (...اذا ملـك كـو الشـام الخمـس: دمشـق، وحمـص، وفلسـطين، والاردن، وقنسرين، فتوقعوا عند ذلك الفرج....)[٨].

ويظهـر مـن بعـض الاخبـار ، ان يبـادر فـور سـيطرته عـلى ارض الشـام بتتبـع الحركـات والاحـزاب الثوريـة التـي تتركـز خصوصـاً في فلسـطين او بـالقرب مـن حـدودها، وقـد أشـير الى تلـك الحركـات بعبـارة (اهـل المـشرق) كـما في هـذا الخـبر (يبـايع السـفياني أهـل الشـام، فيقاتـل اهـل المـشرق فيهـزمهم مـن فلسـطين حتـى ينزلـوا مـرج الصـفر(٩) (ربـما هـي اشـارة الى المخـيمات الفلسـطينية المنـتشرة هنـاك)، ثم يلتقون فتكـون الـدائرة عـلى أهـل المـشرق حتـى ينزلـوا الثنيـة(١٠). ثم يقتتلـون فتكـون الـدائرة عـلى اهـل المـشرق حتـى يـأتوا الحـص(١). فتكـون الـدائرة عـلى اهـل المـشرق حتـى يبلغـوا المدينـة الخربـة يعنـي قرقيسـياء ثـم يقتتلـون فتكـون الـدائرة عـلى اهـل المشـرق حتـى ينتهـوا الى عقرقوفـا[٢]. ثـم يقتتلـون فتكـون الـدائرة عـلى اهـل المـشرق ،فيحـوز السفياني الاموال[٣].

وقد بنينا وجهـة النظـر بكـون المـراد مـن اهـل المشـرق (الحركـات والاحـزاب التـي تعمـل ضـد اسرائيـل) اسـتناداً الى الـدعم المـادي

---

(٨) الصدوق، إكمال الدين، ج٢، ص ٦٥١ .
(٩) مرج الصفر، موضع بدمشق (مراصد الاطلاع ج٣، ص ١٢٥٤)
(١٠) الثنية: وهي ثنية العقاب، هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد إلى دمشق من حمص (نفس المصدر ج١، ص٣٠١)
(١) الحص: موضع بنواحي حمص ، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٦ .
(٢) وهي عقرقوف بالقرب من بغداد .
(٣) ابن حمادة، الفتن، ص ٧٩(مخطوط) .

والمعنوي الذي تتلقاه الحركات من دول المشرق كما لا يخفى على احد، والله العالم.

ويظهر ان السفياني يدخل في معركة قرقيسياء الى جانب الروم وهم أسياده الذين مهدوا له السيطرة على دول المنطقة، او يكون هو واجهة الروم في تلك المعركة، من دون ان يشترك الروم فيها مباشرة: ويظهر من بعض الاخبار ان الحلف الذي يبرمه مع الترك ضد المسلمين في هذه الوقعة، سوف ينحل بعد او اثناء معركة قرقيسياء فقد روي عن الحكم بن نافع : (يقاتل السفياني الترك، ثم يكون استئصالهم على يد المهدي....[٤]، ولابد لنا أن نفترض أن مقاتلة السفياني للترك أما أن تكون إبان المعركة أو في نهايتها أو على أثرها مباشرة ، لان فترة حكم السفياني كما صرحت بها الأخبار القصيرة لا تتجاوز التسعة أشهر، فحركته كلها اعتبارا من أول ظهوره ومطالبته بالسلطة وحتى آخر عهده لا تزيد على خمسة عشرة شهراً، ومن غير المحتمل أن تكون مقاتلته للترك خلال الستة أشهر الأولى قبيل توليه للسلطة في الشام، لأنه في تلك الفترة يكون مشتغلاً بتدبير المؤامرات وإثارة الفتن، فمتى يتسنى له فرصة مقاتلتهم ؟

فعن ابي جعفر عليه السلام يسأل بعض أصحابه: (كم تعدون بقاء السفياني فيكم؟ قال: قلت: حمل امرأة : تسعة أشهر، قال: ما أعلمكم يا اهل الكوفة!)[٥].

---

(٤) ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص ٤١، المتقي الهندي، البرهان، ح ١٥٣، ص ٦٩٤ .
(٥) الطوسي، الغيبة، ص ٢٧٨ .

وعن الامام الصادق عليه السلام :(إن السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة ، ثم قال: أستغفر الله حمل جمل ، وهو من الأمر المحتوم الذي لابد منه)[٦].

وعنه عليه السلام : (السفياني من المحتوم، وخروجه من اول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً: ستة أشهر يقاتل فيها ، فإذا ملك الكور الخمس ، ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً)[٧].

ان اكبر الخسائر في هذه المعركة سوف تكون من نصيب الترك، فقد روي في بعض الأخبار: (ترد الترك الجزيرة حتى يسقوا خيلهم من الفرات، فيبعث الله عليهم الطاعون فيقتلهم فلا يفلت منهم إلا رجل واحد)[٨]. والمراد من الطاعون ليس بالضرورة المرض المعروف، بل ربما كان كناية عن الموت السريع الذي يحصل باستعمال بعض الأسلحة ذات الدمار الشامل كالسلاح الكيمياوي والذري والنووي، فقد روي عن الصادق عليه السلام في حديث مهزم الاسدي انه قال : (....يا ابا محمد، انه لابد ان يكون قدام ذلك طاعونان: الطاعون الأبيض والطاعون الأحمر. قلت: جعلت فداك ، أي شيء الطاعون الأبيض وأي شيء الطاعون الاحمر؟ قال عليه السلام : الطاعون الأبيض: الموت الجارف، والطاعون الأحمر : السيف [٩].

وروي عن النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ انه قال: (للترك خرجتان خرجة منها خراب أذربيجان وخرجة يخرجون في الجزيرة...فيهم ذبح الله

---

(٦) نفس المصدر، ص ٢٧٣ .
(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٤٨ .
(٨) ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص ٤٠ .
(٩) النعماني، الغيبة، مصدر سابق ، نفس الصفحة .

الأعظم لا ترك بعدها)[١٠]. وهذه الخسائر التي سوف يمنى بها الترك في هذه المعركة تضاف إلى ما تتكبده قوات ولد العباس والمرواني، كما أسلفنا والحصيلة النهائية لتلك الخسائر يصعب تصورها. فعن علي عليه السلام: (لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلاث ويموت ثلاث ويبقى ثلاث)[١]. وفي رواية أخرى: (لا يخرج المهدي حتى يقتل من كل تسعة سبعة، ومنها قتل النفس الزكية)[٢].

المبحث الرابع

السفياني والدعم العربي في معركة قرقيسياء

يتلقى السفياني علاوة على الدعم الغربي دعماً من بعض نصارى العرب القاطنين في بلاد الشام، وقد وردت الإشارة الى هؤلاء في أخبار الظهور من خلال (قبيلة كلب)، تلك القبيلة التي كانت نصرانية على عهد الامويين في بلاد الشام، روى رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ قال: (يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى تبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فيجمع له قيس قيتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة...)[٣]. وسبب هذا الدعم الذي يتلقاه السفياني من قبيلة كلب أي نصارى العرب، حسب ما جاء في الأخبار، هو نصرانية والدته.

---

(١٠) محمد حسن مير جهاني، نوائب الدهور في علائم الظهور، ص ١٢٢ .
(١) المتقي الهندي، البرهان، مصدر سابق، ح ١١٩، ص ٦٤٤ .
(٢) نفس المصدر، ح ١٢٠، ص ٦٤٥ .
(٣) نفس المصدر، ح ١٢٣، ص ١٤٨ .

روي عن الباقر عليه السلام في حديث طويل، نقتبس منه موضع الشاهد، (...وان اهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاثة رايات: الأصهب والأبقع والسفياني(....) ومع السفياني أخواله من كلب....)[٤].

أقول: ان الذي حدث بخصوص يزيد وتلقيه الدعم من الدولة البيزنطية في العصر الاموي سوف يتكرر في اخر الزمن حذو النعل بالنعل مع السفياني. فقد كانت والدة يزيد نصرانية من قبيلة كلب، وقد تزوجها معاوية لتحقيق هدفين:

الهدف الاول: هدف سياسي، اذ ان الدولة الاموية على عهد معاوية كانت تجابه غزواً مستمراً من قبل الروم (الدولة البيزنطية) انذاك، وهي مجاورة لسوريا من الشمال،..فزواج معاوية من ام يزيد كان عاملاً مساعداً للتخفيف من وطاة ذلك الغزو والتقليل من مخاطره. ولاسيما بعد أن أنجبت له هذه المرأة ولياً للعهد، ومن الثابت تاريخيا أن يزيد بعد أن ولي الخلافة من بعد أبيه اخذ بالتقرب إلى البيزنطيين، بل إن مستشاره سرجون مسيحي، ولذا تجد باستمرار بعض سفراء هذه الدولة في بلاطه وهو يجلهم ويفضي إليهم بالمودة، ويتلقى منهم المشورة، يقول بروكلمان: (....واذ قد احتك هؤلاء السوريون دهراً صالحاً بالكنيسة المسيحية وبالإمبراطورية الرومانية، فقد تعودوا الخضوع للنظام الذي يقتضيه قيام الدولة، ولقد اعتبروا معاوية الذي جعل مقر حكمه في دمشق الوارث الشرعي لأمرائهم القدماء من ال جفنة، وكانت

---

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٢٣ .

امراتــه ارســتقراطية كيســة مــن قبيلــة كلــب اليمانيــة وهــي أقــوى القبائــل في ســوريا...وبــذلك ضــمن معاويــة لابنــه يزيــد، ولي العهــد، تأييــد ذوي قرباه)[٥] ، يعني النصارى.

الهدف الثاني: هــدف دينــي، فقــد وجــد معاويــة بزواجــه هــذا لــولي عهده إماً تنشــأه عــلى بغــض الاســلام ومحاربتــه، وهكــذا كــان لمعاويــة مــا أراد فانه ما ان اعــتلى يزيــد كــرسي الملــك بعــد أبيــه، حتــى جهــز الجيــوش لقتــل الحســين بــن عــلي (علــيهما الســلام) رجــل الإســلام الأول وجعجعــه بعيالــه هتكــاً وســبياً، وأفعالــه الشــنيعة وغيرهــا معروفــة لا داعي لذكرها ها هنا.

وهكــذا، فــان التــاريخ يعيــد نفســه، حيــث ورد في الأخبــار أن الســفياني يقــوم بــدور مشــابه للــدور الــذي قــام بــه يزيــد مــن قبــل ، وســوف يتلقــى الــدعم كســلفه مــن قبيلــة كلــب(أي النصــارى)ومــا أكثرهم في بلاد الشام.

يميــل بعــض المــؤرخين إلى اعتبــاره العــدواة بــين عــرب الشــمال (قيس) وبين عــرب الجنــوب (كلــب) ظــاهرة قائمــة عــلى أســاس الجــنس والــدين معــاً، فعــرب الشــمال القيســيون وهــم شرقيــون خلــص وقــد كــانوا أســبق مــن غــيرهم في اعتنــاق الإســلام بيــنما عــرب الجنــوب الكلبيــون فقــد كانــت تســري في عــروقهم دمــاء غربيــة مختلطــة، كــما إن قســم كبــير مــنهم بقــي عــلى نصــرانيته التــي كــانوا عليهــا في العــصر الجاهلي.

---

(٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٣ .

وذكر صاحب كتاب (معجم قبائل العرب) : (ان قيس شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر... وتشعبت قيس إلى ثلاث بطون ، كعب وعمر وسعد، وغلب اسم قيس على سائر العدنانية حتى جعل في المثل في مثالب عرب اليمن قاطبة)(١).

وقال بصدد قبيلة كلب : (بطن من قضاعة من القحطانية ، وهم بنو كلب بن وبرة ، وكانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام، وينزل خلق عظيم على خليج القسطنطينية...وقد اتخذوا في الجاهلية بدومة الجندل صنماً يدعى وداً، ودخلوا في دين النصرانية، ثم في الإسلام)[٢].

وذكر بروكلمان :(إن قبائل عرب الشمال القيسية التي نزل بعضها، كغطفان ومضر وغيرهما، في سورية الشمالية وفي الجزيرة والعراق، وهم يؤلفون القبيلة الرئيسية في قضاعة النازلين بين تدمر والبلقاء)[٣].

لقد ورد في أخبار الظهور وعلائمه ذكر هاتين القبيلتين كثيراً، ومن الصعب أن تحمل اسميهما على نفس المعنى الذي يعرفه النسابون، فان ذلك أمر متعذر بعد حصول التحولات السكانية الكبرى في هذا العصر والعصر السابق عليه، ونحتاج أن نفهم من معنى اسم (كلب) واسم (قيس) وجهاً اخر، وهو الذي ذكرناه، فالمقصود بقبيلة كلب حيثما وردت في الأخبار : العرب النصارى، ومن قيس : العرب المسلمون وشاهدنا على ذلك ما جاء في نصرانية

---

(١) عمر كحالة، معجم قبائل العرب، ج٣، ص ٩٧٢ .
(٢) نفس المصدر، ج٣، ص ٩٩١- ٩٩٢.
(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١٣٠ .

السفياني او تنصره، كما مر، والمحاذاة التاريخية بين شخصية ونشأة السفياني وبين شخصية ونشأة يزيد ، والله اعلم بحقيقة الامور.

- ما بعد قرقيسياء :

يظهر من الأخبار أن السفياني بعد أن يغزو العراق على اثر معركة قرقيسياء، تكون له وقعات ومعارك كبيرة مع اهل المشرق، فما إن يفرغ من القضاء على بني العباس حتى يبادر بالهجوم على دولة إيران وهي الدولة الممهدة التي ورد ذكرها في كثير من الأخبار، تمهد لظهور المهدي عليه السلام..أخرج نعيم بن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال : (يبعث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فزعه من وراء النهر من ارض خراسان ، عليه رجل من بني أمية فتكون لهم وقعة بقومس[٤]. ووقعة بدولاب[٥] الري، ووقعة بتخوم زرنج[٦].

فعند ذلك تقبل الرايات السود في خراسان، على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال، يسهل الله امره وطريقه. ثم تكون له وقعه بتخوم خراسان، ويسير الهاشمي في طريق الري، فيسرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له: شعيب بن صالح الى اصطخر[٧]. الى الأموي ، فيلتقي هو والهاشمي ببيضاء[٨] اصطخر

---

(٤) قومس: كورة كبيرة واسعة بها مدن وقرى ومزارع، في ذي جبل طبرستان، قصبتيها دامغان، بين الري ونيسابور وبسطام من مدنها (مراصد الاطلاع ، ج٣، ص ١١٣٤) .

(٥) دولاب : من قرى الري، (كراصد الاطلاع، ج٢، ص ٥٤١) .

(٦) وردت في المصدر: زرنيخ، وهو تحريف . لان زرنيخ: قرية من قرى الصعيد بأعلاه، من شرقي النيل، كما وردت في كتاب الفتن بلفظة : زرنيخو هو تصحيف . وزرنيخ هذه مدينة او قصبة سجستان الكورة المعروفة (مراصد الاطلاع ج٢ ص ٦٦٣).

(٧) اصطخر: بلدة بفارس، يقال : ان كور فارس خمسة أكبرها واصلها كورة اصطخر (مراصد الاطلاع ج١ ، ص ٨٧).

،فيكون بينهما ملحمة عظيمة، حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها ، ثم تأتيه جنود من سجستان عظيمة، عليهم رجل من بني عدي، فيظهر الله أنصاره وجنوده، ثم تكون وقعة بالمدائن، بعد وقعة الري،وفي عقرقوفا.صليبة[٩]، يخبر عنها كل ناج، يكون بعدها ذبح عظيم ببابل ووقعة في ارض نصيبين[١٠]، ثم يخرج على الاقوص قوم من سوادهم : وهم العُصب[١]، عامتهم من الكوفة والبصرة، حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان[٢].

ويلاحظ في هذا الحديث: ان السفياني سوف يغزو ايران، ويتوغل في عمق اراضيها حتى يصل قريب طهران (الري) فيسلم الهاشمي وهو حاكم ايران انذاك رايته الى رجل اسمه : شعيب بن صالح، فيتمكن هذا القائد الفذ من انزال أفدح الهزائم بجيش السفياني حتى يرده على اعقابه، فينسحب الى الشام، ويبدو من الخبر المتقدم ان الهزائم التي يتلقاها السفياني على يد شعيب بن صالح هزائم منكرة بحيث (تطأ الخيل الدماء الى ارساغها) ويظهر من الخبر، ان لأهل العراق في الحاق الهزيمة بجيش السفياني دور بارز، حيث يُتاح لهم بعد سلسلة من المعارك، اثناء ملاحقة السفياني وطرده من المنطقة، الفرصة في استنقاذ ما في يده من الاسرى

---

(٨) بيضاء: مدينة مشهورة بفارس، وهي اكبر مدينة باصطخر، وسميت باليضاء لان لها قلعة بيضاء ، تبين من بعد (مراصد الاطلاع ج١، ص ٢٤٢) .

(٩) وفي بعض النسخ، : صلحية أو صينية وربما إشارة إلى جهاز للاتصالات أو رادار، أو قمر صناعي فيه دش فضائي بواسطته يتم نقل ما يجري من الملاحم بين السفياني وشعيب إلى الجهات المستفيدة .

(١٠) نصيبين: مدينة عامرة في بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وبينها وبين سنجار تسعة فراسخ(مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٣٧٤) .

(١) العصب: جمع عصبة، وهم عصائب العراق من أصحاب المهدي عليه السلام كما جاء ذكرهم في الأخبار .

(٢) المتقي الهندي، مصدر سابق، البرهان، ح ١٤١، ص ٦٧٠ .

العـراقيين الـذين كـان قـد أسرهـم خـلال غـزوه بـلاد المشـرق عـبر الاراضي العرقية.

ونسـتطيع ان نخمـن طبقـاً لمـا ورد في الاخبـار وبقرينـة (وهـم العُصـب) في الخـبر المـذكور: ان القتـال ضـد السـفياني وتحقيـق الانتصـارات عليـه انـما يكـون بـدعم مـن الامـام المهـدي عليه السلام او عـلى الاقل بايعاز منه، بل ربـما كـان هـو (عـج) نفسـه مـن المشـاركين في تلـك الملاحم المذكورة كما هو صريح عدد من الاخبار.

وفي راويـة أخـرى: (يبعـث السـفياني خيلـه وجنـوده فيبلـغ عامـة المشـرق مـن أرض خراسـان وأرض فـارس، فيثـورن بهـم اهـل المشـرق فيقـاتلونهم، وتكـون بينهم وقعـات في غـير موضـع، فـاذا طـال عليهم قتـالهم اياه، بـايعوا رجـلاً مـن بني هاشـم، وهـو يومئـذ في اهـل المشـرق[٣] ، فيخـرج بأهـل خراسـان عـلى مقدمتـه رجـل مـن بني تمـيم ، مـولى يقـال لـه : شـعيب بـن صـالح أصـفر قليـل اللحيـة يخـرج اليـه في خمسة الاف، فـاذا بلغـه خروجـه فيصـيره عـلى مقدمتـه، لـو اسـتقبل بهـم الجبـال الـراوسي لهـدها...فيلتقـي هـو وخيـل السـفياني فيهزمهم.....)[٤].

الخلاصة :

تمكـن الباحثـان مـن وضـع خلاصـة لموضـوع البحـث كـما في النقاط الآتية :

---

(٣) يشير إلى أن الهاشمي رجل من أهل خراسان، ولذا سمي بالخراساني في بعض الأخبار.
(٤) المتقي الهندي، البرهان، ح ١٤٢، ص ٦٧٣ .

١ – تبدو معركة قرقيسياء التي تقع عند التقاء الخابور بنهر الفرات، حدثا خارجا عن السير الطبيعي لحركة السفياني وإحداث عصر الظهور، فالهدف الأساسي للسفياني من غزو العراق هو السيطرة على البلد ومقاومة زحف قوات الإيرانيين الممهدة للمهدي عليه السلام ومنعها من التوجه عبر العراق نحو سوريا والقدس، ولكن تعترضه معركة قرقيسياء في الطريق الى العراق اعتراضا بسبب حادث ظهور الكنز في مجرى نهر الفرات.

٢ – يوجد غموض في بعض جوانب معركة قرقيسياء، وفي سببها وأطرافها ما عدا السفياني، وفي نهايتها. إلا أن أحاديثها تؤكد على وقوعها بلهجة حاسمة، وتصفها بأوصاف كبيرة، كقول الإمام الصادق :(إن لله مائدة(أو مأدبة) بقرقيسيا، يطلع مطلع من السماء فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلمي إلى الشبع من لحوم الجبرين.

٣– ستحاول عدة إطراف السيطرة على الكنز وعلى اثرها تنشب حرب هناك فيقتل منهم أكثر من مئة إلف ، ثم لا ينتصر طرف منهم نصرا حاسما، ولا يسيطر احد منهم على الكنز، بل ينصرف الجميع عنه وينشغلون بإحداث أخرى..!

٤ – أضعاف الجبارين بعضهم لبعض، مما يساعد على هزيمتهم على يد المهدي عليه السلام، حيث يدخل السفياني بعدها العراق وقد فقد قسما من قواته فيهزمه الإيرانيون الممهدون. ثم يقاتل المهدي عليه السلام الترك الذين يكونون طرفا في معركة قرقيسياء بعد هزيمتهم فيها.

٥- إن ساحة المعركة برية صحراوية ، وإنهم لا يدفنون قتلاهم ، أو لا يتمكنون من دفنهم فتشبع من لحومهم طيور السماء وسباع الأرض ، وإن الجنود جبارين أو فيهم عدد كبير من الضباط والقادة الجبارين من الطرفين.

٦- يلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون ،فيقتله السفياني ومن معه ، ويقتل الأصهب. ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق. ويمر جيشه بقرقيسياء فيقتتلون بها، فيقتل من الجبارين مئة ألف

٧- يبعث السفياني جيشا إلى لكوفة على اثر اجتياح العراق عسكريا بعد نجاحه البسيط في معركة قرقيسياء وللتغطية على فشله هناك ،وينتقم من شيعة أل البيت عليهم السلام وعدتهم سبعون ألفاً.

المصادر والمراجع

١- ابن حمادة، الفتن.

٢- ابن طاووس، الملاحم والفتن.

٣- ابن ماجه، سنن ابن ماجه.

٤- أبي الفضل الطبرسي، إعلام الورى.

٥- إقبال عبد المجيد،بلدة قرقيسياء وكنز الفرات

٦- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية.

٧- الحنفي، كنز العمال.

٨- السيوطي، العرف الوردي.

٩- السيوطي ،الحاوي.

١٠- الشافعي، عقد الدرر.

١١- صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع.

١٢- الصدوق، إكمال الدين.

١٣- الطبرسي، مجمع البيان.

١٤- الطوسي، الغيبة.

١٥- علي الكوراني، الممهدون للمهدي.

١٦- عمر كحالة، معجم قبائل العرب.

١٧- الكليني، روضة الكافي.

١٨- المجلسي، بحار الأنوار.

١٩- محمد حسن مير جهاني، نوائب الدهور في علائم الظهور.

٢٠- المتقي الهندي، البرهان في علامات مهدي أخر الزمان.

٢١- نجم الدين العسكري، المهدي الموعود المنتظر.

٢٢- النعماني، الغيبة.

٢٣- ياقوت الحموي، معجم البلدان.

دور النيابة في الواقع السياسي للأمة بعد الغيبة

د. هاشم حمود اليوسفي
كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الانبياء:١٠٥).

على قدر ما تدفعنا مسؤوليتنا الشرعية نحو الأمل المنفعل في نفوسنا ووجداننا وأفكارنا لابد أن نتعاطى معه بقوة ترقب وحذر دائم الاستعداد لمقدمه الشريف وإطلالته الموعودة من سماء المعمورة، وأنه لمن الشرف والفخر المتسامي أن يكون لي حضوراً علمياً وثقافياً في هذا المؤتمر الدولي المخصص بذلك الآمل المرتقب إلا وهو حجة الله في أرضه ومهدي آل محمد (عج) من خلال طرح موضوع النيابة ودورها في الواقع السياسي لحماية ألأمة ومبادئها .

بيد أن النيابة كما هو معلوم من عمق التاريخ نظام مُقنن في المؤسسة الإدارية لأهل البيت(ع) نتيجة الظروف والمناخاة التي عاشوها في ممارسة قيادة الأمة لاسيما في عصر صاحب الذكرى الغائب المنتظر لوجود المخاطر والتحديات الضخمة والتي كان مؤداها إن لا يكون الإمام الثاني عشر(عج) بين ظهراني الأمة فكانت آلية العلاقة بينه وبينها هو نظام النيابة الذي يُعد السبيل الأمثل في سد الفراغ الشرعي والسياسي الذي حاول أدعياء الإسلام أن يجعلوه فاصلاً بليغاً تقطعت فيه وشائج وجسور الولاية

الربانية بين الأمة وقيادتها الشرعية لإجل أن يحل فيها التيه كما تاه بنو إسرائيل.

وعليه فإن هذا البحث يتضمن ثلاثة مباحث حاولنا من خلالها أن نخرج بنتيجة مفادها ماهي الوظائف الأساسية لحماية الأمة والوقوف معها بكل أهوالها وأحوالها وآلامها وأمالها،من قبل أركان النيابة العامة أي بمعنى فقهاء الأمة جامعي الشرائط .

فكان المبحث الأول يتعلق بتقسيم وتنويع النيابة مطلقاً.

والمبحث الثاني :حدد وظائف ومؤهلات المتصدي للنيابة العامة ودوره في واقع مجريات الأحداث السياسية وغيرها.

وقبل ذلك كان المبحث التمهيدي الذي بيَّن لنا المفاهيم والأهمية للموضوع المحدد.

المبحث التمهيدي

تعريفات وحياة الإمام وأهمية النيابة في الواقع الاجتماعي

أولاً :التعريفات

١ -النيابة لغة(بكسر النون من ناب وناب عني فلان ينوب نوباً ومنابا،أي قام مقامي،وناب عنك في هذا الأمر نيابة إذا قام مقامك،وناب الوكيل عني في كذا ،ينوب نيابة فهو نائب،وجمع النائب نواب)[١].

وقيل (النواب)اسم لجمع نائب مثل:زائر،وقيل هو جمع ويقال أنبته أنا عنه-واستبنته،والإنابة والإستنابة بمعنى التفويض والتوكيل[٢].

٢- النيابة اصطلاحاً:(هي قيام شخص مقام غيره في التصرف بأذن منه أو من وليه أمراً أو عملاً ما،فيقال نائب الإمام ،ونائب الرئيس ونائب القاضي،ونائب الشعب)[٣].

ومن المؤكد على ضوء ما تقدم لابد أن يقال:ونائب الإمام هو من ينوب عن الإمام الغائب المهدي المنتظر(عج) وهو المطلوب.

٣- السياسة في واقعها :أذكر عنها تعريف الإسلاميين كما بينه ابن عقيل قائلاً(السياسة هي ماكان فعلاً أن يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد وأن لم يصنعه الرسول(ص) ولانزل به الوحي)[٤].

ولذا ينبغي القول بأن السياسة في المفهوم الإسلامي لاتعني فن الممكن كما عليه النظرية الغربية .إنما هي السبيل إلى الرعاية والإصلاح.

ثانياً:الإمام في حياته والدليل على إمامته.

١- أسمه: محمد بن الحسن بن علي الهادي(ع) ولادته ١٥ شعبان عام ٢٥٥هـ -أمه نرجس وهي أم ولد -جهد الإمام الهادي (ع) على شرائها في قصة معروفة -أستلم ألإمامة وعمره الشريف خمس سنوات وتحديداً سنة ٢٦٠هـ بعد وفاة أبيه الحسن العسكري(ع)مباشرة-وله غيبتان الصغرى سبعون عاماً تقريباً والكبرى التي لازالت قائمة لايعرف مداها إلى الله تعالى والراسخون في العلم.

٢-الدليل على إمامته: يكفينا النص من النبي(ص) كما عن الذهبي(قال رسول الله(ص) ان خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الأثنا عشر أولهم أخي وأخرهم ولدي .. قيل يارسول الله(ص)ومن أخوك

قال:علي بن أبي طالب ،وقيل لـه ومـن ولـدك قـال: المهـدي الـذي يمـلأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً...والذي بعثني بـالحق بشـيراً ونذيرا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليـوم حتـى يخـرج فيه ولدي المهدي ،فينزل روح الله عيسى أبن مريم فيصـلي خلفـه وتشرـق الأرض بنور ربها ،ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب)[٥].

ومن الناحية العملية –أنه(عج) الذي صلى على أبيه أمام مرآي الحاضرين آنـذاك وأمـا غيبتـه –فهـي ثابتـة مـن أول يـوم في حياتـه لأن الإمـام العسكري(ع) أخفاه عن ألأنظار لكن أمرها استبان أكثر حين وفاة الأمـام العسكري(ع)لكنه واصل أمته من خلال نوابه الخاصين.

أما الدليل على غيبته الكبرى فنَرجع من الناحية العملية إلى رسالته التـي نصها بخطـه الشـريف وإمضـائه المبـارك عليهـا وسـلمها إلى أبي الحسـن السمري نائبه الرابع والأخير ضمنها دلالات تحمل عبارات صريحـة عـلى غيبته بقوله(بسم الله الرحمن الرحيم ياعلي بن محمد السمري أعظم الله أجر أخوانك فيك ...فأجمع أمرك ولاتـوصي أحـداً بعـد وفاتـك –فـأن الغيبـة التامة قد وقعت)[٦].

ثالثاً–أهمية النيابة في الواقع الاجتماعي

١–الذي يبدو واضحاً من خلال القـراءة الدقيقـة لحيـاة المعصـومين(ع) والإطلاع على سـيرتهم الشـريفة لم نقـف عـلى مؤسسـة النيابـة ونظامهـا الأرتباطي بين الأمة والإمام مختصة بالإمام الحجة(عـج) وحـده بـل كـان معتمداً لدى بقية المعصومين (ع)بـالنظر لإهميتـه في ممارسـة المعصـوم (ع) تبليغه وأرشاده وبيان أحكامه لأي مكان معين من خلاله–لذا وقفنـا عـلى حياة الصادقين(ع) والعسكريين(ع) وقبلهم الجـوادين(ع) يعتمـدون آليـة الوكلاء والنواب كطريقة سليمة للـربط بـين الأمـة –ولكـن هـذه النيابـة

برزت أكثر فأكثر في عصر المهدي(عج)وتحديداً في غيبته الصغرى التي أضحت في حينها ضرورة لامناص عنها بناءً على ظروف معروفة لدى الجميع .

٢-لاينبغي القول بأن النيابة مجرد التمثيل أو التنويب عن المعصوم(ع)كإمام إلى درجة يحقق الوساطة في النقل الحسي- أخذاً وعطاءً فحسب،بل هي ترقى إلى أعظم من ذلك كونها إرتباط ملكوتي روحي غيبي للنائب ومنوبه(ع)،بمعنى أخر إنها سفارة ربانية كما دل عليها بعض الأخبار في الزيارة للإمام علي(ع)(السلام عليك ياخاصة الله وخالصته – وخازن علم الله وسفيره في خلقه)[٧].

وعلى ضوء ذلك ينبغي أن نحدد نائبية الإمام الحجة(عج) وسفرائه بعملية التوسط بينه وبين الأمة إنما يتحقق وفق الرؤيا الملكوتية عنه(ع) حتى يتحقق مضمون النيابة والسفارة الخاصة بآلية النقل المتبادل بالحيثية التي يبعدها من التعاطي الحسي المحض كون الإمام(ع) يمثل عمق السماء المرتبطة بالذات المقدسة –لذا نجد في زيارة النواب الأربعة الواردة في تهذيب الطوسي ما يؤكد ذلك المعنى الحقيقي بخصوصية الإرتباط الغيبي (أشهد أن الله إختصك بنوره حتى عاينت الشخص فأديت عنه وأديت إليه)[٨].

ويبدو من مفهوم المعاينة ليست الحسية إنما هي المصاحبة للنوارنية بمعنى (عايش النائب إمامه المعصوم(ع) بتوسط القلب والروح وهو الذي يعني وبلطف الله تعالى الارتباط ألملكوتي بينه وبين المعصوم (ع) وأن لم يكن النائب الخاص معصوماً –ولم تكن حجيته مطلقه- وذلك لإن النيابة مقام خطير وبيان حقيقتها في المقام أمر لابد منه)[٩].

ومن المؤكد بما مر ذكره بإعطاء النيابة بالغ الأهمية في وصفها الملكوتي إنما يُراد منها الإستقواء المتحصن من مخاطر الهوى والشيطان لمن تستهويه نفسه للخوض في الباطل ولأفاعيل السوء بالإستفادة منها .

ولهذا برزت صفات هذه النيابة بالتقوى والورع والأمانة على ألأسرار.

٣-إن نظام النيابة التي تحقق في الغيبة الصغرى للإمام (ع)يختلف في عصر الأمة السابقين عليه بأمورمنها:

أ - ذلك بأن وكلاء ونواب الأئمة (ع)كانوا أشبه بالمراجع كلٌ في منطقة سكناه التي تكون بعيدة عن موقع سكن الإمام(ع) الحاضر آنذاك،والأكثر من ذلك أن الإمام (ع)هو بنفسه كان يلتقي الناس ويحاضرهم ويستمع إليهم ويحل مشاكلهم سواء كان في موسم الحج أو في الدرس او المواقع الأخرى وهذا الأمر لايمكن غيابه عن الأمة -إلا إن ذلك لم يكن متوافراً للناس في فترة الغيبة الصغرى- بل كان محصوراً فقط وفقط في شخوص النيابة الذين يتمتعون بأعلى درجة من الثقة وتم اختيارهم من قبل الإمام نفسه(عج).

ب- اللافت للنظر في مرحلة الهادي والعسكري(ع) كانت مرحلة بائسة إلى درجة بظروفها القاسية بالنظر لشدة السلطة آنذاك معهم اقتضت غيابهما عن الأمة فترات واضحة وكان محل اعتمادهم على نظام النيابة والوكالة من المسلمات بين الأوساط إلا إن الغرض تهيئة وتحضير عقول الناس إلى تقبل غيبة الإمام (عج).

جـ - والنظام النيابي الذي أعده الإمام(عج)في غيبته الصغرى ولفترة ٧٠ سنة تقريباً هو الآخر لإعداد الأمة نفسياً وذهنياً لغيبته الكبرى.

المبحث الثاني

النيابة الخاصة وبطلان مدعيها بغير الأربعة

النيابة كما هو معلوم أتحد مع غيبة الإمام (عـج) فكانـت في مـرحلتين: في الغيبة الصغرى تحققت النيابة الخاصة ،وفي الغيبة الكبرى بالنيابة العامة.

والكلام في النيابة الخاصة يدور في واجهات متعددة منها:

أولاً:آلية الاختيار وفق الشروط.

بالنظر لقداسة الموقع الوسيط بين الإمام (ع) وأمته كونه(ع) يمثـل ولايـة السماء وحبلها المتين فمن اللازم عليه أن يتخذ أشخاصا خاصـين معـروفين لديه كنواب عنه ويحدد أسمائهم وصفاتهم ويعلم الناس عنهم وعلى السـابق منهم أن يُعلم اللاحق له(وينوبون عنه(عج)التي خولهم إياها)[١٠٠].

ومن المؤكـد ان هـذا المقـام السـامي لايليـق إلا بمـن تتـوافر فيـه شروط ومؤهلات وصفات يتم بموجبها اختيارهم لها وأهمهـا الإيـمان الخـالص لله ولرسوله وآل بيته واعتقاده الراسـخ بإمـامتهم كـما هـو منصـوص علـيهم ،وكذا الورع والتقوى بما فيه مخافة الله تعالى،والأمانة على ما ينبغي أن يـؤتمن من أسرار وأموال وأمور أخرى وكتمان ما يقال له أو يوصى به إلى مـا يهمـه العمل بها ،وإستعداده التام لتنفيذ أمر مولاه من حيث التعلـيمات الصـادرة منه(عج)إلى الأمة أو له بالذات وأن يكون مضحياً في إكمال مهمته إلى درجة الإستشهاد.

ومن الطبيعي أن الذي يطلع على مثل هكذا صفات وشرائط التـي علمهـا الأول عند الله تعالى من دون شك فهو الإمام المعصوم (ع) المأذون من عـالم الغيب والشهادة لإن المصلحة الربانية تقتضي ذلك وعـلى ضـوء ذلـك يـتم الإختيار.

ثانياً- اسمائهم وكنيتهم :

النيابة الخاصة تحققت في أربعة اشخاص حصراً(ويطلق عليهم كنواب خاصين بالنواب الأربعة وهم أربعة على ما يُفهم من التعبير الأخير،وكانوا جميعهم من علماء الأمامية وزهادهم وكبارهم)[١١١].وهم:

١-عثمان بن سعيد العمري(ت٢٦٤هـ) وهو أول النواب الخاصين للحجة المنتظر(عج) بعدما كان نائباً لإبيه العسكري(ع) وجده الهادي (ع)وحاز على ثقته التامة لهما،ثم تولى الوكالة الخاصة للإمام (عج)وظهرت على يديه معجزات كثيرة[١١٢].

٢-محمد بن عثمان بن سعيد(٣٠٥هـ) وهو النائب الثاني للإمام الحجة (عج) وكان خلفاً لإبيه في مقام النيابة وهو الذي نصَ عليه على ضوء النص الذي حمل توقيع الإمام(عج)عليه ومارس أكثر من غيره ورب أن تكون نيابته وصلت إلى أربعين عاماً ولم تتغير من صفاته شيء.

٣- الحسين بن روح النوبختي(ت٣٢٦هـ) الي قام بأمر النيابة للإمام (عج) بنص من الإمام(عج) مختوم بختمه وهو الثالث من النواب الأربعة ولم يختلف عمن سبقه في أداء مهمته الرسالية.

٤-علي بن محمد السمري (ت٣٢٩هـ) وهو خاتم النواب الأربعة للنيابة الخاصة للإمام الحجة(عج) ولم يكن بعده نائب أو وكيل خاص بدليل (قوله عندما حضرته الوفاة سأله الناس كالعادة لمن قبله كما مر لمن النيابة بعدك ومن عينه الإمام خلفاً لك ،فقال(رض) (لله أمر هو بالغه)[١١٣].

فهم الناس إن الإمام لم يُعين بعد السمري نائب كما ورد في رسالة الإمام(عج) له (بسم الله الرحمن الرحيم ياعلي بن محمد أعظم الله أجر أخوانك فيك ،فأنت ميت ما بينك وبينهم ستة أيام ،فأجمع أمرك ،ولاتوصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ،فقد وقعت الغيبة التامة ،فلا ظهور إلا

بعد إذن من هنا تعالى)[١٤] وفعلا تحققت الغيبة الكبرى،وهناك من أدعى النيابة الخاصة وهو كذاب كما سيمر في حينها.

ثالثاً- وظائفهم بحكم مسؤوليتهم النيابية:

من الطبيعي عقلاً أن يمارس النائب عن منوبه المهام التي يتم تعينها له ومما لاشك فيه أن هذه الحزمة الرباعية من نيابة الإمام الخاصة به أسهمت إلى درجة بالغة الأهمية ولمدة سبعون عاماً يمارسون دورهم النيابي رغم المخاطر والتحديات الأمنية من السلطة الزمانية آنذاك لكنهم واعتماداً على الله توكلاً وتحسباً استطاعوا أن يتحملوا خلالها أعباء تلك المسؤولية الجسيمة بأحسن وجه وأفضل آداء للحد الذي يستلم اللاحق الأمانة من السابق فلا يغير منه شيء بل يزيده همة وعزيمة،ومن المناسب أن نذكر أهم ما اضطلعوا عليه من مهام ولائية على نحو الإيجاز:

١-نتيجة إرتباطهم بالإمام(عج) انهم طمأنوا الأمة بأن الإمام معهم ولازال يمارس دور أبائه (ع) في تنمية القواعد الموالية وترشيد أفكارهم وتصحيح سلوكهم عبر حلقة النيابة (ويذكر أن الإمام الفينة والأخرى كان يبعث لقواعده المواليه وصايا وإرشادات بعنوان آداب المؤمنين بخط يده الشريفة وعلى النائب في حينه نشرها إلى أماكن مختلفة)[١٥].

وذلك إنما يدل على أن الإمام (عج) لم يترك تربية أجيال الأمة حتى مع إختفائه عنها للضرورة المعروفة ،وحالة الاطمئنان دعى لها الإمام العسكري(ع) قبيل وفاته بقوله(إن عثمان العمري وكيلي وإبنه محمد وكيل أبني مهديكم)[١٦].

٢-رفع شكوى ومسائل الأمة بأمانة وإخلاص وإيصالها للإمام(عج) وإرجاع الحلول والأجوبة المتعلقة بالمسائل من خلال إظهار توقيع الإمام

عليها حتى لايشك أحداً بعكس ذلك.والنائب هو الأخر عادة ما يتدخل في حلحلة المشاكل والاختلافات الاجتماعية والعلمية بناءً على تعليمات الإمام(عج) المركزية التي يضطلع عليها النائب طوال مدته.

٣-إدارة جمع الحقوق الشرعية وتوزيعها لمستحقيها حسب الأهمية -وهذه الوظيفة هي المعلنة قبل غيرها بل هي أوضح الواضحات لإنها تدخل في منهجية أهل البيت(ع) بما يتعلق بالفروض المالية كالخمس والزكاة وتوزيعها على ذوي الحاجة بما لايجوز تأخيرها فكان النائب منهم في زمانه يقوم بجباية تلك الأموال من أصحاب رؤوس الأموال ثم صرفها على من هو أولى بالاستفادة منها حسب الضوابط الشرعية ويتم ذلك من خلال وكلاء خاصين كذلك لذلك النائب في كل بلد إسلامي وموضع بعيد عنه.

٤-الوظيفة ذات الأهمية القصوى في دور النواب هي المساهمة الفعلية في إخفاء الإمام (عج) من خلال التزامهم منهج التقية مهما أحوجتهم الضرورة إلى ذلك،وكانوا يتعاملون مع الناس بطريقة تطيب الخواطر وتهدئة السائلين عنه بأمور أخرى ولم يلفتوا النظر إلى عوام الناس بوجوده - نعم كان كذلك للخواص المعروفين والعلماء العارفين...

رابعاً- بطلان من أدعى النيابة الخاصة.

الكلام تحت هذا العنوان هو لوحده يكفي فيه بحث مستقل بالنظر لكثرة ما فيه من ممارسات وتداعيات أرقت عيون المؤمنين الرساليين - خصوصاً والبطلان في دعوة المهدوية وهي الأكثر جدلاً-وكذلك دعوة النيابة الخاصة -وفي هذا البحث حاولت ان أتكلم عن الأمر الثاني لتناسبه والضابطة القانونية للبحث وأسدلت الستار عن الأمر الأول لعلني أوفق في وقت أخر لإشباعه بالأرقام المأساوية على الذين تجنوا على هذا المقام المقدس وانتحلوا شخصيته لابعد غيبته فحسب بل من قبل ولادته

المباركة،كما كان للمنصور الدوانيقي أن يقدم ولده المهدي بأنه الـذي أخـبر عنه النبي(ص) وقبـل ذلـك إدعـاء مهدويـة الكيسـانية، وأخـرى مهدويـة صاحب الزنج ،وهلم جرا،فما انتهت مهدوية قاضي السماء بالأمس القريب والتي أستعار لها المذهب الوهابي كونه مهدياً منتظراً ومرسلاً بأمر الله لقتـل علماء ومراجع الأمامية لإنهم أفسدوا في الـدين عـلى حـد زعمـه،وتبعاً لهـا ظهرت مهدوية القاعدةحيث يدعي أربابها بإنه الإمام المهدي (عج)عندهم حالياً وله موقع على الانترنيت وفيه مايضحك الثكلى.

على أي حال فأن دعوى النيابة الخاصة شأنها شأن بقية الدعاوى النظريـة في الواقع الإجتماعي لكنها لاتصمد أمام الواقع الموضوعي وهي سرعان ما تندحر في الجانب العلمي والتوثيقي مهما أمتد الزمن فيها.

ومن الموضوعية لابد من القول بأن اللقاء مع الإمام (عج)أرواحنا فـداه لهو شرف كبير لمن تشرف به وليس أمـراً مسـتحيلاً كـما حـدث لكثـير مـن علمائنا وأهل التقوى على طول التاريخ –ولكن هناك إدعاءات لذلك اللقاء مبنية على الخيال والكذب الصرف وقد تكون موجهة مـن اخـبره خارجيـة غايتها خلط الأوراق وضياع الحقيقة الثابتة والتشويش عليها وهو الغالـب من وراء ذلك الإدعـاء –بـدليل أن أغلـب المـدعيين للنيابـة الخاصـة فهـم يضعون قـوانين وضـوابط لـيس لهـا علاقـة بـالفكر الإسـلامي الصـحيح بدعوى إنها تعاليم الإمام(عج) إلا إنها منافية لأبسط قواعد الفقه والعقيـدة والآداب التي صرح بها أهل البيت(ع).

فتاوى العلماء وأرائهم لردع هذه الظاهرة:

مما لاشك فيه –أن علمائنا المتصدين قديماً وحديثاً :إنما بذلوا سعيهم الحثيث في بيان زيف وبطلان النيابة الكاذبة–ومن أقوالهم وهي كثيرة نورد منها :

١ –عن السيد حسن الشيرازي مرجع الأمة آنذاك في سامراء يوم سمع أن هناك من يقول بالسفارة عن الإمام المهدي(عج) الذي ظهر في بلاد الري –فكتب السيد فتواه الواضحة والصريحة إلى أهل الري بقوله(...وليعلم الناس ان ظهور المهدي (عج)بيد الله تعالى فلا أحد يعلم بوقت ظهوره ،وكل من يحدد وقته فهو كذاب وكذب الوقاتون فيه،ومن يدعي سفارته عنه فهو كذاب ودجال –وشأنه كالذي يدعي النبوة بعد ختامها والإمامة بعد غيابها)[١٧].

٢ –عن الشيخ الطوسي في غيبته–عندما قرأ أن شخصاً أسمه أبي بكر البغدادي وأخر أسمه أبادلف أدعيا نيابة الإمام (عج)ولقائه به قريباً بعد وفاة السفير الرابع فكتب الطوسي في أحكامه(عافنا الله وإياكم من الضلالة والفتن ووهبنا وآياكم الصدق واليقين برسالة سيد المرسلين وخلفائه الإثنا عشر المعصومين(ع) وما سمعته من ذوي الجهالة والضلال بدعوى النيابة لقائم آل محمد(عج) فهو بعيد ومآله الكذب وأمر ابي بكر البغدادي في قلة العلم والمروءة أشهر ،وجنون أبي دلف أكثر من يُحصى فلا تشغلوا أمرنا بذلك...)[١٨].

وعن السيد الخوئي(قدس)(كذب الادعاء بنيابة الأمام الخاصة هو كذب على الله ورسوله ومن يدعي أنه الإمام نفسه، فلم يجسر ـ عليه أحد إلا من ثبت جنونه)[١٩].

وعن السيد الشهيد الصدر الأول(رض)لمح عن ذلك بقوله(نيابة الإمام الخاصة كما وثقها ثقاة الأمة ومحدثيها لم تكن قابلة للإدعاء بالباطل نظراً

لأرائة التوقيع الشريف على النص النيابي لما قبله وهذا أمر لم نسمع به في غير تلك الصفوة التي أختارها الإمام ومن يدعي خلاف ذلك فهو جائر عليهم وعلى الإمام)[٢٠].

وعن الشهيد الصدر الثاني(ره)(من أدعى السفارة أو الوكالة يجب تكذيبه،أي بعد الغيبة الصغرى فكل من يدعيها على مدى التاريخ فهو كاذب لامحالة إلى عصر الظهور)[٢١].

وعن الشيخ إسحاق الفياض بقوله(لاشك أن الدعاوي المهدوية للقائم (عج) ونيابته الخاة والتي ظهرت مؤخراً ي العراق باطلة وهزيلة ومخجلة وضالة ومضلة،والمدعون لها كذابون دجالون يجب على المؤمنين تكذيبهم...)[٢٢].

النيابة العامة ودورها في الواقع السياسي

أولاً:طريقة تحديد مصاديقها:

القسم ألأخر من النيابة مطلقاً هو النيابة العامة-وهذه الحلقة النيابية لم تحدد بالشخوص من خلال مؤهلات واضحة،إنما تتحدد بالصفات والشرائط التي ينبغي توافرها في ذلك الشخص المنوب بالعامة،ودورالإمام(عج) يرسم خارطة الطريق الصريحة وفق ضوابط ومحددات أساسية تؤهل من يسعى جاهداً للإرتقاء بها إلى موضع النيابة وعليه(إن النائب العام يحتل مركز الصدارة في وقته للولاية العامة،ويصدق عليه الولي العام للأمة في شؤونها الدينية والدنيوية)[٢٣].

وبتعبير أخر يطلق عليه المرجع الديني كونه الفقيه المجتهد الذي أحرز الشرائط كالعلمية ،والعدالة والخبرة،مما تجعله مبسوط اليد لرجوع الناس إليه في أخذ الفتوى والإرشاد(ومن غير لبس بأن المجتهد فعلاً لايتحقق

وصوله لمقام المرجعية إلا من خلال تأييد الناس إليه ودعم المؤسسات الدينية له خصوصاً بقية مراجع الأمة)[٢٤].

وعلى أي حال إن الأمة الملتزمة عليها بمراجعة المتصدي للنيابة العامة وهي مضطرة إلى ذلك بلاشك لعدم وجود النائب الخاص كما كان في الغيبة الصغرى-بيد أن ذلك الرجوع الاضطراري ينبغي أن يكون صحيحاً سديداً حالما يتضح المرجوع إليه فعلاً لدى المؤسسة الدينية،بالنظر لوجود الأدعياء لهذا المقام الشريف في أغلب الأحيان.

ثانياً:أدلة النيابة العامة:

لانريد التفصيل ما تحت العنوان لعدم استيعابه في البحث كاملاً وعليه لابد من الإشارة على مجمل ما خلص إليه المحدثون في بيان الأدلة للنيابة العامة.منها:

١-عن علي (ع) عن النبي(ص)(اللهم أرحم خلفائي ثلاثاً فقيل يا رسول الله ومن خلفائك؟ فقال(ص)الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي)[٢٥].

٢-ما ورد عن الإمام العسكري (ع) عن الصادق(ع)جاء في بعضه(فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه،حافظاً لدينه،مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه،فللعوام أن يقلدوه...)[٢٦].

٣-ما صدر من توقيعه الشريف(عج) وظهر على يد نائبه الثاني محمد بن عثمان قال(وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)[٢٧].

ثالثاً:أهمية النيابة العامة:

بالنظر لوجود أدلة نقلية وأخرى عقلية وسيرة تؤكد مساحة النيابة العامة وما يجب على الأمة التفاعل والتعاطي معها في الواقع السياسي الذي يعصف بريحه العاتية بين الحينة والأخرى وتتجه أنظارنا إلى السلطة الدينية المتمثلة بالمرجع المُحرز لشرائط النيابة العامة،فمن المؤكد بمقتضى مسؤولية التكليف الشرعي أن نجده حاظراً في ساحة الصراع وكأنه الطبيب الذي يعالج المرضى وهذا ليس بغريب لو أطلعنا على السلطة البابوية في العالم وهي تسجل حضورها الميداني ليس فقط على المواقع المسيحية فحسب بل أوسع من ذلك كما يحصل في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وغيرها،وهذا إنما يدل على السيرة العملية للإنسانية أن تعود إلى مرجعيتها أياً كانت.

المبحث الثالث

دور النيابة العامة في الواقع السياسي

الذي ينبغي الالتفات إليه في عصر النيابة العامة المتمثلة بجهاز المرجعية في مدرسة أهل البيت(ع) نجد ما يجده غيرنا في طول التاريخ وهو الوقفة المسؤولة للوجود المرجعي في ساحة المواجهات والتحديات التي عاشتها الأمة في مجمل ظروفها السياسية – ولولا تلك الوقفة المشهودة لانهار وجود أتباع أهل البيت(ع) إلى درجة لاتحمد عقباها.

ومنذ ذلك الحين لم نقف على أحد مصاديق النيابة العامة كمرجع متصدي مساوماً أعدائه على حساب المبدأ والأمة،بل أكثر من كذلك كما نذكره فيما بعد أن هناك مصاديق مرجعية نيابية تقدمت الصفوف ونزلت إلى المعركة بنفسها في الخط الأمامي وحظيت بالشهادة متأسية بأمامها

الحسين(ع)الذي أيقظ الأمة بدمه الزكي عندما كانت الضرورة قائمة لامحالة في وقتها.

وعلى العموم بأن المرجع في عصر النيابة هو الأمين على مبادىء الرسالة مضحياً من أجلها مهما كان الثمن بناءً على تكليفه الشرعي في حماية الأمة والدفاع عنها ولايسمح لنفسه أن يستبدل المبدأ والعقيدة بالحياة الوقتية لنفسه.

إلا إن هناك ظروف معينة حدثت فيها ملابسات آدت إلى وجود ثغرات معينة بين الأمة ونائبها العام مما حاول الإستعمار ومؤسساته المتربصة بنا الدوائر،ان تعمق هذه الفجوات وتضع أمامها العقبات لغرض تمرير مشاريعها السياسية بمختلف الميادين.

ومن المؤكد أن هذا المبحث غير جدير باستيعابه على ما ينبغي طرحه للقارئ المسؤول شرعاً وأمام أمته،إلا أنني ومن قاعدة لايسقط الميسور بالمعسور وددت الإشارة إلى ما هو أقرب للموضوعية محاولة منا لمعالجة بعض التصورات المثارة في الساحة الإسلامية ،وعليه حاولنا طرح الوظائف الأساسية للنيابة العامة من أجل حماية الأمة من الضياع وإنتشالها من مستنقع الواقع السياسي المفروض عليها من دوائر المثلث الأستعدائي عليها المكون من اليهود الذين عاش ألامهم النبي محمد (ص) والتطرف المنحرف عن حقيقة الإسلام من الوهابية وعلمانية الأتراك ذات الطابع النفعي والمصلحي...ومن أهم الوظائف المراد بيانها بالنظر لسعتها في الواقع والتي تم أختزالها من التجربة الحافلة بالأرقام سلباً وإيجاباً انسجاما مع ظروف الأمة من حالة إلى أخرى ومصاديق النيابة المتنوعة من جيل إلى أخر_نذكر منها الآتي:

١-الاستعمال الإيجابي لسلطة النيابة :

الواضح تاريخياً من السعة في حاكمية المرجعية النيابية إنما تجاوز الأطر الرسمية والحكومية في العالم وتخطى الحواجز الإقليمية والدولية فإذا ما أراد النائب استعمال فتاواه وتوجهاته فلايقف أمامه حائلاً يتقاطع مع مريديه ومقلديه وغيرهم،وهذا ما أتضح عملياً في العراق عام ١٩١٤م يوم صدرت الحكام والفتاوى الجهادية ضد الأنكليز وعدم التعاون معهم فكان التعاطي معها إيجابياً من خارج العراق قد يفوق العراقيين أنفسهم .

وكذا الحال –يوم كان النائب والمرجع السيد حسن الشيرازي في سامراء العراق –وكانت المشكلة في دول أقليمية مجاورة كأيران فتصدى لدعم الأمة وأصدر فتواه الشهيرة في حرمة شراء التنباك وضمنها – بالذي يتناول التنباك– إنما هو محارب للإمام المهدي (عج)مما دعى حاكم الدولة آنذاك إلغاء اتفاقه مع الانكليز–هذا وغيره لم يذكر إنما يجسد حقيقة المكانة التي تحتل نيابة الأمة في الواقع السياسي دونما تحددها حدود وأطر شكلية تحول دون وصول قدرتها الدينية إلى وقوفها مع الأمة وحل مشاكلها الحياتية وبالمقابل إن الأمة تعاملت مع هذه المرجعية بأنها مصدر القوة الوحيد الذي تلوذ به حال الشدة.

٢–الوعي المعاصر وحيادية القرار:

فمن السابق لإوانه يوم يدب الاجتهاد في روح ووجدان المراهق للنيابة ،لاسيما في عصر التحضر والتطور التقني والمعرفي حري به أن يلم بثقافة عصره في ما يتعلق بالتعاطي مع علم النفس والاجتماع والاقتصاد والتاريخ والسياسية والقوانين الدولية مضافاً إلى دراسته الأساسية مما يجعله ان يمتلك الأدوات المؤهلة للتصدي على ضوء الواقع المعاش كما أشار إليها الشهيد محمد باقر

الصدر(رض)(ان مجموعة من الشروط التي يجب يتوافر عليها من تصدى لقيادة الأمة وتولى زمام الأمر وهي العدالة-العلم -الوعي بالواقع وما يدوربه من مستجدات ،وكيفية استيعاب المبادئ الإسلامية لأشكالياته المختلفة)[٢٨].

وذكر آخرون مواصفات في شخصية النائب تنسجم ورؤيا الحداثة المعرفية في الواقع المعاصر وقد أشار إليها البعض بقوله(المتصدي للأمة من الطبيعي ان يتكامل في رشده الفقهي والاجتماعي ورشده السياسي والحركي بحيث يستطيع من خلال ذلك ان يطل على قضايا الأمة دون تعارضه مع مصالحها)[٢٩]

وهذه الوظيفة للنائب المتصدي تعد من السبل الكفيلة بارجحية فتاويه وبيان حكمة للأمة لان الاطلاع الأوسع والانفتاح الاقوى انما يولد ذهنية متماسكة مع الواقع وهناك قضية تأريخية اذا ما وضعناها على الطاولة فنجد منها ما اشرنا اليه بالحيادية التامة للقرار وهي قضية المشروطة والمستبدة والتي حصلت في العقد الاول من بداية القرن العشرين ولست راغباً بكشف اوراق تلك المشكلة.

إلا أنني أضع النتيجة النهائية التي وصل اليها جملة من مراجع عظام وكبار في ذلك العصر تأييدهم لها بشكل قطعي وهناك مراجع آخرون وقفوا ضدها بما يمتلكون من ادلة حسب تفكيرهم الا ان الواقع قد اخطئوا الصواب لعدم اطلاعهم على المباني السياسية التي تريده الأمة لا ما تريده السلطة انذاك وقد اشار الى ذلك بعض المحللين بقوله (ان كارثة المشروطة والمستبدة وان كانت في ايران الا انها احرجت الحوزة العلمية في النجف... ولكن الله وقى شرها بيقضة من اطلع بملكات مرجعيته السديدة حتى اصابة وهناك من اغمض عينيه وسار مع الاكثرية تابعاً لكنه خاب)[٣٠].

٣ـ الكفاءة السياسية والإدارية

وهذه الوظيفة انما هي جديرة بالاهتمام في هـذا الصـدد وضرورة وجـود الافق الواسع لإطلاع المرجع من الناحية السياسية والاجتماعية وغيرها انـما يعطي القدرة له في تصويب الأمور تطابقاً مع المصـلحة العليـا دون مهادنـة ومجاملة لطرف آخر ومثاله الإمام الخميني في أخر ايام حياتـه لم يجـد واحـد من المراجع المتعددين وجوداً في ايـران خلفـاً لـه حسـب المـادة الدسـتورية بوحدة القيادة والمرجعية ولذا عمل جاهداً بتغير هذه المادة وفصـل القيـادة عن المرجعية وان كانت فيها مشاكل لكنهـا اهـون مـن اللادرايـة في قضـايا الأمة والاكفئ.

وكما هو معلوم في عرف مكاتب النواب المرجعيين بان الحاشية المسـتديرة على نائبها اذا ما قدرت عدم أهليته في تحليل الأمور وقوة كفائته فهي تدخل مباشرة وتبني أكثر المواقف وربما تخرجها حتى من إطارهـا الشرـعي وهـذه طامة كبرى لا بد من رعايتها وتصحيح وظيفتها.

٤ـ الحضور الفاعل في مواجهة التحديات

وما يلفت النظر إلى الساحة الإسلامية ومنذ بداية القرن العشرـين الـذي هو اكثر معاناة للأمة بعد سقوط الدولة الإسلامية ومـا لحقهـا مـن تبعـات مريرة ـ الا ان الموقف المشهور من موقع النيابة كان له الأثر البـالغ في تعبئـة الأمة وإصدار أحكام الجهاد خصوصاً من فقهاء ومراجع النجـف الأشرف وتكفي الإشارة الى تداعيات ثورة العشرين التي كان قيادتها علمائية بامتياز.

وهناك أنموذج مرجعي آخر في هذا الصـدد عنـدما قـاد ثـورة جماهيريـة عارمة اسقطت اقـوى نظـام بوليســي وعسـكري في المنطقـة وهـو الإمـام الخميني(رض) الذي وقف بحزم وشجاعة بارعة وتصدى للحـاكم الظـالم

آنذاك واكتسب الشارع الإسلامي بعيده وقريبه أثناء الثورة وفي وقت الدولة التي كان على رأسها ورغم معارضة مراجع آخرين لأطروحته في ولاية الفقيه ظناً منهم بان الحوزة العلمية ومرجعيتها ليس لها علاقة في الأمور السياسية (الا انه شق طرقه بشجاعة قل نظيرها لما قدره لرأيه الفقهي ان يتحول الى تيار جارف حتى لمقلد غيره من المراجع مما دفع بعضهم ان يهاجم الإمام في درسه مخاطباً الطلاب انه السامري بعينه فقد سحركم وخرجتم عن طاعتنا فلا نبرأكم الذمة...)[٣١].

المهم في الأمر ان الإمام أعطى افقاً في المرجعية ونيابة المعصوم بجدارة بالغة الأهمية على الساحة الإسلامية وغيرها وقد يتعب الكثيرون إن يصل اليه، اذا ما كانت لديهم مؤهلات الوصول، لان مرجعيته غيرت مألوف الحوزة الذي يعتبره البعض من الثوابت الغير قابلة للتغيير، لكنه حرك الإسلام كله متحدياً به الشرك كله من خلال تعبئة جماهيره فصارت رصينة اقوى من الطغاة والجبابرة.

وعلى ضوء ما تقدم يدعونا الى التأمل بالنظر الى الظروف التي تواجهها الأمة وهي تلف النظر الى مرجعيتها وهو حق طبيعي نتعاطى معه باحترام والتزام.

بيد ان المشاكل قد أثقلت كاهلها وأدمت نفوسها فهي بأمس الحاجة الى من يناغمها ويتحرى آلامها ويحرك مشاعرها بمسؤولية ذلك مما يجعلها تستشعر قيمتها وسلامة هويتها من الضياع ولعلنا لم نخرج عن خط المرجعية وهذا صحيح والأصح منه إننا نمتلك في عصرنا هذا مرجعية نيابية ما تطيب بها الخواطر بعلميتها وعالميتها، وصحيح لدينا مؤسسة حوزوية واسعة في طلابها ومعارفها وصحيح ان غياب احد المرجعيات ـ لا سامح الله – معوض بالأخريين المؤهلين حيث لا تقع الأمة في فراغ- كل

ذلك صحيح ولا اشكال عليه ولا اعتراض... ولكن المهم هنا علينا ان نميز بين مرحلة التقليد ومرحلة التجديد وبين المراوحة بمكان والانطلاق منه إلى آخر، وكذلك التعرف بدقة بين عدو الأمس وعدو اليوم كل ذلك يستدعينا إلى التساؤل الموضوعي هل نحن بمستوى المسؤولية لا اقل دفاعنا عن وجودنا المحكوم عليه بالإعدام؟

هل نحن نمتلك مقومات الارتباط المتينة والرصينة مع النيابة المتصدي بالحيثية التي نضع أمامها تساؤلات الأمة ومشاكلها؟ هل نحن نمتلك القدرة على الاستعداد التام على الطاعة الولائية لها اذا ما حكمت لصالحنا؟

وكل ذلك مدعاة للدراسة والتأمل وبالرغم من موقع النيابة المرجعية موقعاً شرعياً مقدسا الا انها كانت في اغلب الفترات موضع عتب للوسط الحركي في الأمة وتيار الوعي من شبابها، الذي اخذ نمطا سلوكياً مميزا في تبليغ الرسالة الإسلامية وبث الوعي الفكري والسياسي مما أعان المرجعية على وظائفها واخرج مشروعها من دائرة الجمود الى محور الحركة وسيرها من عزلتها في حدود الحوزة الى ساحة الأمة الواسعة ودفعها من نمطية التقليد إلى حقيقة التجديد ولعل من يقول معي في هذا الصدد (على طول زمان الغيبة الكبرى وتحمل المراجع مسؤولية النيابة بالتناوب فكان دورهم بين مد وجزر، فهنالك مرجعيات استطاعت ان تنفتح على الواقع الإسلامي كليا وتحملهم الظروف التي كانت تعيشها كما ثورت الساحة في اكثر من مناسبة فيما نجد في المقابل مرجعيات انكمشت انكماشا شديدا حتى كان يخيل للناس انها غائبة تماما عن الساحة الا بحدود الدرس والأمور الحسبية، بالوقت الذي ان العالم يتحرك والمعارف تتطور والأحداث تتسارع والمرجعية التقليدية عادة ما تكون مغلقة في حدودها

الخاصة وذلك ما يجعلها ان تكون تخلفة عن ركب التطور وقد تتقدم عليها عقلية الأمة في بعض شرائحها الحركية)[٣٢]

٥ـ تنقية الأمة فكريا وثقافياً وروحيا وسياسيا

الملاحظة عمليا في تبني هذه الوظيفة التربوية من المؤسسة النيابية (المرجعية) لم تحضى بالعناية الكاملة واذا ما قدر لها ان تحيا نسبيا فهي محصورة في أوقات محددة تأريخيا واكتفي بما صوره الشهيد الصدر الاول بهذا الخصوص بقوله (ان اهم ما يميز المرجعية الصالحة تبنيها للأهداف الحقيقية والوظائف الرسالية الواضحة، بدلا من ان تمارس تصرفات عشوائية وبروح تجزيئية منفصلة في جانب ومتعلقة بآخر فنشرها أحكام الإسلام وخلق تيار فكري يشتمل على المفاهيم الأساسية والتربوية وتغذية الأمة بالوعي المعرفي والثقافي على جميع الاتجاهات انما هي نقطة القوة التي تقف عليها مرجعية الأمة في مواجهة التحديات)[٣٣]

وعلى اي حال ان عوامل تنقية الأمة يمكن ان تكون باساليب اخرى كما كان يمارسها الملة كاظم الخراساني المتصدي للنيابة في الوقت آنذاك وقد عبئ اغلب عشائر العراق واراد العبور بها الى ايران لطرد الجيش الروسي في احتلاله لايران لنصرت الملك عمر علي شاه وكانت دعوة الخراساني (بعنوان نصرة المظلوم، وانصر من نصر الدين)[٣٤] وهكذا كانت الاهازيج مشبعة بالادعية ونخوة الغيارى على أبناءهم وإخوانهم في الله، الا انه لم يعبر لان الملك اسقطته جماهير ايران الإسلامية وانسحب الروس الى بلادهم.

وفي الوقت القريب جداً كيف رأينا انموذجا تعبويا للأمة من خلال الحضور الى صلاة الجمعة التي لم يعر لها الأهمية من المرجعيات السابقة حتى في الظروف المؤاتية من الخمسينيات حتى السبعينيات.

الا ان المتصدي السيد الشهيد محمد الصدر(رض) اعتبرها اقدس وسيلة تعبوية للأمة وكان حضوره لها مركزيا بنفسه عندما يرتدي إزاره الأبيض الذي يمثل قمة التحدي لأعداء الإسلام مما دفع الأمة ان تكون بين أنامله يحركها كيف يشاء لأنه أشعرها بحضوره معها ومشاركته همومها وضخ في أذهانها مفاهيم الإسلام لاجل تربيتها تربية إسلامية لأجل ان تقف على اقدامها بقوة لمواجهة المخاطر القائمة من هنا وهناك.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)

المصادر :

١- الجوهري ،الصحاح،ج١/ ص٢٢٨-وابن منظور،لسان العرب،ج١/ ص٧٧٤.

٢- الفراهيدي الخليل،كتاب العين،ج٨/ ص٣٨١.

٣- إبراهيم أنيس ،المعجم الوسيط،ج٢/ ص١٢.

٤- ابن عقيل ،بهاء الدين بن عبد الله،الطرق الحكيمة من السياسة الشرعية،ص١٢.

٥- الحميوي الشافعي،إبراهيم بن محمد (ت٧٢٢هـ)فرائد السبطين ج٢/ ح١.

٦- الصدوق ،محمد بن علي (ت٣٨١هـ) كمال الدين وتمام النعمة،ص٢١٢.

٧- الشيخ عباس القمي ، مفاتيح الجنان،زيارة الإمام علي(ع)،ص٣٥٧.

٨- الشيخ الطوسي،محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)،تهذيب الأحكام،ج٤/ ص٨٧.

٩- الفيض الكاشاني ، المحجة البيضاء،ج٢/ ص٣٥.

١٠- الشيخ المفيد،محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١١هـ)الإرشاد،ص١٩٥.

١١- الشيخ الطوسي،محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)،الغيبة،ص٢٧٥.

١٢- جوادة تمني ،بالفارسية،بيان المعجزات لأصحاب الغداة،ص١.٢٣٠

١٣- الشيخ الطوسي،محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)،الغيبة،ص٢٨١.

١٤- الشيخ الصدوق،كمال الدين وتمام النعمة،ص٢٨١.

١٥- الشيخ الصدوق،كمال الدين وتمام النعمة،ج٢/ ص٤٩٠.

١٦- الشيخ الطوسي،محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)،الغيبة،ص٣١٠

١٧- النعميمي- دعوى النبوة والإمامة ، ص١٨٠.

١٨- الشيخ الطوسي،محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)،الغيبة،ص٢٦٠.

١٩- السيد أبو القاسم الخوئي ،أجوبة المسائل.

٢٠- الصدر محمد باقر،حول المهدي – المقدمة – ص٤٠.

٢١- الصدر، محمد بن محمد صادق،موسوعة الإمام المهدي(عج)،الغيبة الصغرى،ج١/ ص٥٩٥.

٢٢- إسحاق الفياض- أجوبة السائلين.

٢٣- الصدر محمد باقر،أهل البيت تنوع أدوار،ص٩٢.

٢٤- محمد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى،ص٤٥٢.

٢٥- الشيخ الطوسي،محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) ،الغيبة ،ص٢٩٠

٢٦- النعماني ، كتاب الغيبة،ص١١٧.

٢٧- الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)،الكافي ج٢/ ص٢٢٠.

٢٨- الصدر،محمد باقر،بحوث إسلامية،ص٩٥.

٢٩- سليم الحسني ، دراسة وحوار، ص١٣٥.

٣٠- مهدي الرباني، تاريخ علماء امة،باللغة الفارسية ص٩٤.

٣١- جعفر قميان، قيادة ومرجعية ص٩١.

٣٢- عز الدين سليم،اسباب نكسة الأمة ، في مجلة التوحيد عدد ٨٣.

٣٣- حسن السعيد ، الشهيد الصدر ومرجعية الأمة،ص١١٥.

٣٤- حرز الدين،تاريخ النجف الأشرف ،ج٣/ ص١٢.

الحركات المهدوية المنحرفة في العراق بعد عام ٢٠٠٢م

د. ياسين شهاب شكري الموصلي
كلية الآداب / جامعة الكوفة

المقدمة :

تعد قضية الإمام المهدي(عج)، والإيمان بظهوره في آخر الزمان لغرض تحقيق العدل والقسط بين الناس بعد أن تملأ الدنيا بالجور والظلم ، من العقائد الدينية الثابتة لدى جميع المسلمين بشكل عام ، ولدى أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص. لذا جاء الاهتمام الكبير من قبل المتصدين لأفكار المذهب بهذه القضية من خلال بيان وتفصيل الأحاديث الواردة حول عصر الظهور ، والأحداث والأحوال المترافقة لذلك ، إضافة إلى دراسة شخصية الإمام وأتباعه ومناوئيه.

وكان من الطبيعي أن تشهد هذه العقيدة بعض الانحرافات في مفاهيمها من قبل بعض الأفراد أو الفئات لمصالح ذاتية معينة منذ فترة الغيبة الصغرى(٢٦٦هـ - ٣٢٩هـ)وعبر وجود من أدعى السفارة والنيابة ، وما تلا ذلك في عصر الغيبة الكبرى الذي ما زلنا نحن نعيش فيه. فلقد أدعى العديد من الأفراد الاتصال بالإمام والسفارة عنه ، أو القول بالإمامة نفسها أمثال: الشلغماني ، والحلاج ، وأحمد بن هلال العبرتائي... الخ.

ولم يشذ عن ذلك في العصر الحديث من ظهور دعوات منحرفة مرتبطة بقضية الإمام المهدي أو بشخصية المنقذ للبشرية من الضلالة والظلم مثل: البابية والبهائية في إيران ، والتي انتشرت نحو مناطق أخرى ، وكذلك ظهور بعض المدعين بالمهدية في مناطق الهند ، والسودان ، والمغرب العربي ، وتركيا ، والسعودية.

أما بالنسبة للعراق فقد برزت هذه الدعوات عبر ظهور العديد من الحركات والجماعات المنحرفة بعد سقوط النظام السابق عام ٢٠٠٣م سواء بالإدعاء بالنيابة، أو الاتصال بالإمام ، أو الإعلان بالإمامة نفسها. ومن هذه الحركات والجماعات : جماعة جند السماء الذي أدعى زعيمها المدعو(ضياء الكرعاوي)انتسابه المباشر للإمام علي بن أبي طالب(ع) وأنه المهدي المخلص لهذه الأمة ، وكذلك ظهرت دعوات من قبل بعض الأفراد أمثال: (حيدر مشتت)الذي أدعى أنه اليماني الموعود ، وكذلك دعوة (أحمد الحسن اليماني)بأنه ابن ووصي ورسول الإمام المهدي(ع) ، إضافة إلى العديد من الدعوات والاتجاهات السائرة وفق النهج ذاته من قبل بعض الجماعات والأفراد.

إن دراسة هذه الحركات والجماعات وبيان ماهيَة دوافعها ومبررات وجودها ، ونجاحها في استقطاب بعض الشرائح الاجتماعية وسبل مواجهة ذلك ، تحتم على المهتمين بدراسة تلك الانحرافات تناول الموضوع وفق رؤية علمية واضحة من أجل وضع الأسس الكفيلة في معالجتها معالجة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. وهذا البحث المتواضع نحاول فيه دراسة مظاهر

عمل تلك الحركات وسبل معالجتها وفق ما تم التعامل به لحد الآن.

أولاً: دوافع ومبررات ظهور الحركات الدينية:

● **العامل الديني**: تميز المجتمع الشيعي العراقي بتجذر العامل الديني فيه من خلال وجود العتبات المقدسة بوصفها مركز جذب للمؤمنين بمذهب آل البيت(ع). وقد لعبت المدن المقدسة والحوزة العلمية الموجودة فيها دورا بارزا في التأثير على المجتمع في الوسط والجنوب ذات الطابع العشائري، بحيث أصبح القبول بأحكام وآراء وفتاوى العلماء من أولويات الالتزام لدى السكان. وبالرغم من محاولات السلطة تقليل هذا النفوذ منذ أواخر العهد العثماني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ومرورا بالاحتلال البريطاني (١٩١٤-١٩٢٠م)، والعهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨م)، والعهد الجمهوري بحكامه المتعاقبين(١٩٥٨-٢٠٠٣م)، إلاَ أنه كان يزداد تجذراً أكثر فأكثر وفق معادلة التحدي والاستجابة. ومع سقوط النظام البائد برز الدين في المجتمع كعامل حاسم ووحيد ومؤثر على الحركة العامة للمجتمع إلى حد القبول بكل ما هو ملتصق بالدين سواء أكان من الدين والمذهب أصلاً، أو من لبس لبوس الدين لنوايا وأهداف أخرى. لذا وجدت الحركات الدينية المهدوية الأرضيَة الخصبة لطرح الأفكار والتوجهات الخاصة بها، خاصة وأنها تعاملت مع المساحة الغيبية الواسعة لأفكارها،

والتي تتأثر بها العاطفة الدينية بعد سنوات طويلة من الكبت والحرمان التي مارستها السلطة ضد المتدينين.

١- **العامل السياسي**: شهد العراق تحولات سياسية كبيرة بعد عام ٢٠٠٣م، والتي تمثلت في سقوط النظام المتسلط على الشعب العراق، ورضوخه للاحتلال الأمريكي وما تمخض عن ذلك من فوضى سياسية في البلاد خلقت أجواء من عدم الاستقرار نتيجة لممارسات الاحتلال، والعلميات الإرهابية، والصراع السياسي بين الأحزاب والمكونات العراقية. وهذا ما أثر بدوره على انتشار الأفكار المنحرفة ومنها الحركات المهدوية التي طرحت نفسها كبديل ممهد للمنقذ الذي سوف يقوم بإصلاح الأوضاع العامة في العراق وخارجه.

وقد طرحت تلك الحركات رؤيتها للواقع العراقي والإقليمي، من خلال تفسير الحوادث الواقعة منذ عام ٢٠٠٣م وحتى الوقت الحاضر على أنها من علامات الظهور. وهذا ما نجده في البيانات الصادرة عن تلك الحركات ومحاولة إيجاد مخرجات روائية وفقهية لها، واعتبار ذلك من الأطروحات التي قد تمت الإشارة إليها، من قبيل الاحتلال الأمريكي للعراق، والهرج والمرج في البلاد، وسقوط حاكم مصر، وزوال الحكم السعودي، وغير ذلك.[1]

---

(١) الموقع الرسمي لجماعة أحمدالحسن الملقب باليماني (**www. Almahdyoon. Org**).

٢- **الجهـل والفقـر**: إنَ آفـة الحرمـان المرافقـة لقلـة الـوعي بسـبب منـع وسـائل التعلـيم ونشر الثقافـة الصـحيحة قبـل سـقوط النظـام البائـد عـام ٢٠٠٣م ، قـد سـاهم بشـكل أو بـآخر في تـأثر الفئـات الاجتماعيـة المحرومـة اقتصـاديا وعلميـا مـن القبـول بكـل مـا هـو متلـبس بلبـوس الـدين. إذ أن الفقـر يـدفع بصاحبه اللجـوء إلى العامـل الغيبـي للـتخلص مـن الواقـع الـذي هو عليه إيمانا بأن الخـالق عـز وجـل في السـماء ، وكـل مـن يـدعو بدعوتـه في الأرض ينتصر للفقـراء ويسـاعدهم في الـتخلص ممـا هـم عليـه ، أو عـلى الأقـل يعطـيهم ثـواب الصـبر والالتـزام بـما طلـب مـنهم في هـذه الحيـاة الزائلـة أمـام الحيـاة الأبديـة الأخروية.

أمـا الجهـل فـإنَ الوسـط الـذي ينتشر فيـه يـدفع الكثـير مـن الذين هـم في إلى التصـديق بكـل مـا هـو جديـد ، خاصـة إذا كـان ذلـك مـؤطرا بلبـاس الـدين ، ومصـحوبا بخـوارق أو كرامـات يـدعي فيهـا أصـحابها القيـام بـأمور يعجـز النـاس الآخـرون القيام بهـا. كـما كـان يقـوم زعـيم جماعـة جنـد السـماء بعـد تعلمـه السـحر في الهنـد. وإدعـاء أحمـد بـن الحسـن الـيماني عـن لقاءاتـه المتكررة مع الإمام المهدي(عج) ابتدءا من عام ١٩٩٩م.[١]

وهـذا لا يعنـي عـدم وجـود بعـض الفئـات مـن أنصـاف المتعلمين مـن بـين هـؤلاء أيضـاً ممـن وجـودوا في هـذه الحركـات المنحرفـة بعـض الإجابـات عـن التسـاؤلات التـي يطرحهـا مـن

---

١ المصدر نفسه.

يريد الوصول إلى المسلمات والحقائق بشكل سريع ومختصر- للأزمان والأفكار ، خاصة وأنَ هؤلاء غالبا ما كانوا يقعون في الشبهات والتشكيك في القبول بما هو موجود في المعتقدات المتعلقة بأصول الدين.

٣- **التأويل النصي**: إن أهم ما ميز هذه الحركات المنحرفة أنها حاولت وضع أسس قيامها في هذا الوقت بناءا على تأويل بعض النصوص والروايات الواردة عن آل البيت(ع) وبما يناسب الوضع النفسي- والاجتماعي لزعيم الحركة ، وتوجيهها من رواية إلى دراية من خلال التأويل للنص ، وإسقاطه على الواقع.

٤- **انتشار ثقافة الظهور**: لقد شكلت ظاهرة انتشار الكتب المتعلقة بقضية الإمام المهدي(عج) علامة ملفتة في المكتبات ، خاصة ما تعلق منه بقضية الظهور وعلامته. كما برزت المحاضرات والخطب ضمن الإطار ذاته وعبر التأثير على المتلقي من العوام بقضية الظهور واقترابه الشديد. وهو أمر ليس بالسلبي بحد ذاته من حيث ما هو موجود فعلا عن علامات الظهور وتأكيد الأئمة عليهم السلام عليها ، خاصة بالنسبة للعلامات الخمس الحتمية. غير أنها من جانب آخر تركت آثارا جانبية على قبول البعض للحركات المنحرفة عند ظهورها دون تمحيص أو تدقيق في المتبنيات الفكرية الصحيحة حول مدى استعداد الفرد الروحي والمادي ، أو ما يمكن التعبير عنه بالانتظار الإيجابي. فليس المهم الظهور بقدر الاستعداد عند الظهور حتى يحتسب المرء نفسه من

أنصار الإمام وليس من المتخاذلين الذين لا يريدون التخلي عن حياتهم المادية ، والامتيازات الدنيوية التي يحملونها.

ثانياً: مظاهر الانحراف:

١ - التركيز على الروايات والنصوص:

إن أهم ما يميز التراث الفكري لقضية الإمام المهدي(ع) هو غزارة المعلومات والروايات والمصادر التي تناولت الموضوع ، والتي أصبحت في متداول أي فرد أو جماعة. ومع سقوط النظام البائد ، والانفتاح الكبير وحرية الرأي وتداول الكتب ، أصبحت المكتبات زاخرة بمثل هذه المصادر والأفكار. ولم يتم استيعاب ذلك التراث بعقلية علمية واعية ، خاصة وأن الظروف المحيطة بالتغيير أوجدت مناخا يتقبل الأطروحات الواردة دون تمحيص أو تدقيق.

لقد تبنت الحركات العقائدية المنحرفة تثبيت منطلقاتها الفكرية من خلال تبني فكرة اقتراب الظهور وتحقق العلامات وبداية التغيير عبر الإدعاء بظهور من سيكون لهم الدور البارز في قضية الإمام المهدي(ع). وقد تم التركيز من قبل تلك الجماعات والحركات على بعض الروايات والمصادر كجزئية ومنطلق لتثبيت الفكرة المنحرفة المراد الدعوة لها. حيث أولّت جماعة (جند السماء) بعض الأحاديث مثل حديث أن(المهدي يخرج من قرية يقال لها

كرعة)[١] ، لتبني فكرة الولادة الجنينية لزعيمها المدعو (ضياء الكرعاوي) ، وأنه قد ولد من بيضة مخصبة لفاطمة الزهراء(ع) ، وتم الاحتفاظ بها ونقلها جيلا بعد جيل حتى كان منها ولادة زعيم جماعة جند السماء المذكور. [٢]

أما جماعة أحمد الحسن اليماني ، فلقد حاولت هي الأخرى الاستناد على بعض الأحاديث والروايات ، وتأويلها لصالح زعيمها المذكور ومنها الرواية المروية عن الإمام الباقر(ع) حول وصية النبي(ص) للإمام علي(ع) في الليلة التي كانت فيها وفاته أنه قال:(يا أبا الحسن أحضر صحيفة و دواة فأملا رسول الله(ص) وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال : يا علي انه سيكون بعدي اثنا عشر إماما و من بعدهم اثنا عشر مهدياً فأنت يا علي أول ألاثني عشر إماما... ، فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى

---

١ رواية (يخرج المهدي من قرية يقال لها : كرعة) تنافي الرواية الصحيحة التي تدل على ظهوره بين الركن والمقام في الكعبة بمكة. للتفاصيل حول هذه الرواية وضعفها ينظر: السيد الشهيد محمد الصدر ، موسوعة الإمام المهدي ، تاريخ ما بعد الظهور ، ص٢٥٤ – ٢٥٦.

٢ للتفاصيل أنظر: كتاب قاضي السماء الصادر عن جماعة جند السماء ، ص ص ٣٢٠-٣٢٤. أما نص الحديث المروي عن الرسول (ص) أنظر: العلامة ألمجلسي. بحار الأنوار ، ج٥١، ص٨٠ ، ص٩١.

ابنـه محمـد الثقـة التقـي فـإذا حضـــرته الوفـاة فليسـلمها إلى ابنـه عـلي الناصـح فـإذا حضـــرته الوفـاة فليسـلمها إلى ابنـه الحسـن الفاضـل فـإذا حضـــرته الوفـاة فليسـلمها إلى ابنـه م ح م د المسـتحفظ مـن آل محمـد(ع) فـذلك اثنـا عشـــر إمامـا ثـم يكـون مـن بعـده اثنـا عشـــر مهـدياً فـإذا حضرـته الوفـاة فليسـلمها إلى ابنـه أول المقـربين لـه ثلاثـة أسـامي اسـم كأسمى و اسـم أبي وهـو عبـد الله وأحمـد والاسـم الثالـث المهـدي وهـو أول المؤمنين).[1]

إن طـــرح مثـــل هـــذه الروايـــات والأحاديـــث المجتـــزأة وتثبيـــت نصوصها مـن المصـادر المعتـبرة ، تجعـل الـبعض مـن المتسـطحين معرفيـا أو البســطاء مــن الأفــراد يقبلــون عليهــا كمصــادق لقبــول الفكــرة العقائديـة المنحرفـة المـراد الـدعوة لهـا. إذ أن قضـية الإمـام المهـدي(ع) واضحة المعالم والفكـرة مـن حيـث الإطـار العـام لـدى الأفـراد ، غـير أن الأمــور التفصــيلية فيهــا لا تجـد لهـا الاهــتمام إلا مــن قبـل المختصــين. فتكـــون المتبنيـــات الفكريـــة للعـــوام منطلقـــة مـــن العموميـــات إلى الجزئيـات ، فـيما نجـد دعـاة وقـادة الانحـراف ينطلقـون في مبـانيهم العقائديـة المنحرفـة مـن الجزئيـات لتثبيـت العموميـات. وهـذا مـا يـوفر لهـم زرع عنصـــر الشـك لـدى العـوام في المتبنيـات السـابقة ، وتحـويلهم لقبول الأفكار الجديدة الخاصة بهم.

٢ – وجود القيادة المقدسة وضرورة الطاعة الكاملة لها:

---

١ للتفاصيل انظر: الموقع **(www.Almahdyoon.Org)**). أما نص الرواية المذكورة فينظر: الطـوسي ، الغيبة ، ص ١٥٠. العلامة ألمجلسي ، بحار الأنوار، ج٥٣ ، ص١٤٧.

من اللافت للنظر أن الكثير من قادة وزعماء الحركات المنحرفة هم في الأساس أناس عاديون مغمورون لم يكونوا من ذوي العلم والاختصاص والتدرج في الفقه. وربما كان البعض منهم على مستوى عادي من العلم والانتماء للحوزة، ومع وجود الطموح والرغبة الذاتية ادعوا بشكل مفاجئ بالأعلمية أو الاتصال المباشر بالإمام المهدي(ع). فهو الذي أصدر إليهم الأمر بأن يكونوا علماء ومراجع ترجع إليهم الأمة، وهم يتحدون في خطاباتهم كبار العلماء والمجتهدين بالمناظرة والعلم لأن العلم حسب رأيهم ليس بالتعلم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء. وقد روى البعض منهم أمثال اليماني أن الإمام المهدي(ع) قد التقى به لمرات عديدة وفي أماكن مختلفة، وهو الذي أرسله إلى الحوزة العلمية والمراجع لتصحيح الانحرافات الموجودة فيها.[1]

إن الإدعاءات أعلاه وما تم بثه من أمور غير طبيعية عن تلك الزعامات كالتنبؤ بالأحداث، هي محاولة لفرض هالة من القدسية والسلوك لما هو فوق مستوى البشر- على قادة وزعماء تلك الحركات. والهدف من ذلك كسب المزيد من الأتباع من البسطاء المؤمنين المتأثرين بالدعاية المروية عن هؤلاء حول كراماتهم وصفاتهم، إضافة إلى منح هؤلاء القادة أو الزعماء نوع من الحصانة الإلهية

---

١ الموقع (www.Almahdyoon.org.)

والعصمة المكتسبة لغرض عدم المساس بهم أو حتى اللقاء معهم أحيانا.[١]

والأكثر من ذلك حاول البعض منهم منح نفسه ألقابا ومكانة عالية لا يصل إليه إلاً الأنبياء والمعصومون (عليهم السلام) بقوله عن نفسه:(بقية آل محمد عليهم السلام الركن الشديد أحمد الحسن وصي ورسول الإمام المهدي(ع) إلى الناس أجمعين المؤيد بجبرائيل المسدد بميكائيل المنصور باسرافيل ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم).[٢]

إن انعدام الوعي الديني والثقافي والفراغ العقائدي لدى البعض من أفراد المجتمع ، والتأثير العاطفي والروحي للقضايا الدينية تدفع بالعديد من البسطاء والسذج إلى التصديق بكل ما له علاقة بالشؤون الدينية وبقضية الإمام المهدي(ع). والأكثر من ذلك استناد البعض إلى الاستخارة أو الرؤيا ، وأحيانا التصديق بالقصص والروايات المنسوجة والمنتشرة بين أتباع تلك الحركات عن قادتها أو زعمائها من أجل التأثير على الآخرين.

٣- الموقف من المخالفين:

إن ما يميز تلك الحركات دعوة أصحابها للآخرين المخالفين لهم سواء من داخل الوسط المذهبي والديني ، أو حتى من أتباع الديانات الأخرى إلى التصديق بهم وأتباعهم. لأنهم وحسب رأيهم

---

١ إن زعيم جماعة اليماني أحمد الحسن محجوب عن اللقاء بالآخرين حتى للكثير من المقربين إليه . وهذا ما أشار إليه أحد الذين أدعو بأنه الناطق الرسمي باسم الجماعة عبر إحدى الفضائيات ، والذي أكد بأنه لم يلتقي به أبدا.

٢ بيان أحمد الحسن اليماني بتاريخ ٢٨ شوال ١٤٢٤هـ. ق.(**www.Almahdyoon.org**).

وحدهم يمتلكون الحقيقة الكاملة والعلاج الناجع لهموم البشرية وصلاحها، وإلا تكون لعنة الله لاحقة بهم إلى يوم القيامة. حيث جاء في بيان المباهلة لزعيم جماعة اليماني أحمد بن الحسن(وأنا العبد المسكين المستكين بين يدي ربه أدعو كبار علماء الطوائف والديانات الثلاث وفي كل الأرض للمباهلة لمعرفة صاحب الحق، وهي أن نبتهل إلى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين).[١]

وفي خطاب آخر له مع العلماء والمراجع والمخالفين له يقول: (ولا تفرحوا أيها الظلمة بابتعادي عنكم وهجرتي من بلادكم فلن يطول الأمر حتى أعود مع أبي محمد بن الحسن المهدي(ع)، الذي لن يعطيكم إلا السيف والموت تحت ظلال السيوف).[٢]

إن إدعاء أصحاب الحركات العقائدية المنحرفة امتلاكهم الحقيقة الكاملة والمنهج الصحيح في الأمور الدينية والدنيوية، واتخاذ مبدأ ألإلغاء للآخر بمعتقده وفكره ومنهجه، تدفع مثل هؤلاء إلى استخدام جميع الوسائل والأساليب السلمية وغير السلمية ومنها العنف المسلح في تثبيت المعتقدات وفرضها على الآخرين. فالوقائع والأحداث والتحقيقات التي جرت بعد المواجهات مع تلك الجماعات، أظهرت حجم التخطيط والأسلحة كما في أحداث الزركة بالنجف بالنسبة لجماعة(جند السماء) في محرم ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، وأحداث البصرة والناصرية وغيرها من المدن بالنسبة لجماعة(اليماني) في محرم ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، والتي أعلن

---

١ الموقع (**www. Almahdyoon.org**)، بيان المباهلة.

٢ المصدر نفسه.

فيها زعيم الجماعة في بيان له ما سمي بـ (الجهاد الدفاعي) جاء فيه: (فما قيامنا اليوم إلا دفاعا عن النفس والعقيدة والدين الإلهي الحق الذي يريد الظالمون طمسه. فنار قد أوقدوها وفتنة قد أججوها لن نطفئها هذه المرة حتى يأتينا الله بنصره العزيز الموعود المؤزر...).[١]

٤ - الوسائل الدعوية:

اتسمت الدعوة لتلك الحركات العقائدية بطابع التداخل والتأثير بين أبناء المجتمع من خلال الدعاة والمؤيدين خاصة في فترات المناسبات الدينية. وتركزت القيادات والأتباع بالأفراد من ذوي الفئات العمرية الشابة ، نظرا لما يمتلكه هذا الوسط الاجتماعي من روح فاعلة وعمل نشيط وظروف سيئة من بطالة وعوز اقتصادي،[٢] وفراغ فكري ورغبة في التخلص من الواقع اليومي الذي أفرزته تداعيات سقوط النظام ووجود الاحتلال ، والتناحر السياسي والطائفي وغير ذلك.

كما استخدمت تلك الحركات الصحافة والكتب والانترنت لمخاطبة ذوي العقول والمثقفين. فأتباع جماعة (حيدر مشتت) أصدروا عدة صحف منها(القائم) و(الصراط المستقيم) و(صرخة الحق). فيما أصدرت جماعة جند السماء كتابا بعنوان (قاضي السماء). أما جماعة اليماني فأصدروا كتابان بعنوان (العجل)

---

١ بيان الجهاد الدفاعي . المصدر نفسه.

٢ أشار العديد من المعتقلين في أحداث الزركة وهم في الأغلب من الشباب ، إلى بأن ظروف العيش والبحث عن فرصة العمل هو الذي دفعهم للمجئ إلى الزركة للعمل في المزارع ، والمشاركة لاحقا في التنظيم.

و(البلاغ المبين) مع توزيع العديد من البيانات ، إضافة إلى إنشاء موقع خاص بهم على الإنترنت بعنوان(**www.Almahdyoon.Org**) .

وقد اتخذ الطابع الحركي والمواجهة لتلك الحركات ، عنصر المفاجأة حتى للمؤيدين لها فضلا عن المجتمع ، الذي كان قد سمع ويسمع الآن بوجود بعض الحركات والدعوات الجديدة دون اكتراث البعض من الناس لها ، أو الإدراك والوعي بمخاطرها. إذ أنَ مرحلة الدعاية للحركة غالبا ما يصاحبها عنصر الاصطدام مع المخالفين ، واستخدام وسائل الترهيب واللجوء إلى العنف إذا ما تطلب الأمر ذلك ، كالذي حدث مع أحداث الزركة وما كان زعيمها قد هيأ من مستلزمات السلاح والعدة والتخطيط للهجوم على النجف. [1]

ثالثا- سبل المعالجة والمواجهة:

١ - دور العلماء والمثقفين:

إن المرتكز الأساسي الذي اعتمدت عليه تلك الحركات العقائدية المرتبطة بقضية الإمام المهدي(ع) محاولتها الاستناد إلى النصوص والروايات المجتزئة من المصادر والكتب ، وتأويلها لصالح الأفكار التي تؤمن بها. إذ أنه وبعد سقوط النظام وما جرى في العراق من أحداث ، والانفتاح الكبير على ما كان ممنوعا تداوله من الكتب قد ساهم بشكل مباشر في زيادة الاهتمام بثقافة معينة في قضية الإمام

---

١ -تفاصيل أحداث الزركة وملابساتها لقاء مع نائب محافظ النجف عبد الحسين عبطان في٨/ ٢/ ٢٠٠٧م . الموقع **www.burathanews.com**

المهدي(ع)، والذي يمكن تسميته بـ(**ثقافة الظهور**).[١] حيث جرى ويجري التركيز على تناول علامات الظهور، وتوقيت الأحداث والوقائع الحالية التي تجري في العراق والمنطقة وربطها بالعلامات الواردة في الروايات والنصوص كمقدمات للظهور. والأكثر من ذلك الإعلان والإعلام للمجتمع من قبل البعض بأن العصر ـ الذي نعيش فيه هو عصر ـ الظهور بالنسبة للإمام، بالرغم من نهي الأئمة(ع) عن التوقيت.[٢]

إن المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء والمثقفين والكتاب والمهتمين بقضية الإمام المهدي الالتفات إلى النقاط الأساسية في الفكرة بأسس علمية متكاملة، وليس عن طريق التوقعات أو البحث عن مترادف لرواية تاريخية في الواقع المعاصر. فالحديث عن الظهور وتوقيته شأن غيبي في علم المولى عز وجل، ومقدر بتقديراته وليس بتقديرات البشر ـ كما هو الحال في الرزق والحياة والموت والساعة. والأمر المتعلق بقضية الظهور والتركيز على توقيت الظهور ربما ساهم ويساهم بشكل غير مباشر في التشكيك في أصل القضية نفسها وهو الإمام المهدي(ع). لأن فشل الكثير من المدعين أو الحركات، أو الوقاتين الذين يضعون للناس زمانا ما

---

١ - نشر كراس في الأسواق بالصور والألوان بعنوان: (العلامات العشر المتحققة لظهور الحجة (ع))، دون ذكر مؤلفه أو الجهة التي قامت بنشره، تم فيها الإشارة إلى بعض الأحداث وربطها ببعض العلامات الواردة في النصوص من قبيل: ظهور السفياني (الزرقاوي)، والدجال (أمريكا)، ورواية الخراساني وقائده صالح بن شعيب(الرئيس الإيراني أحمدي نجاد).

٢ - أشار بعض من تم التحقيق معهم من المعتقلين في أحداث (الزركة)بأنهم كانوا يستمعون لمحاضرات بعض الخطباء المعتبرين، والذين كان بعضهم يؤكد دائما بأنه يقسم ويجزم أن هذا هو عصر الظهور للإمام وأنه قريب جدا.

للظهـــور في بيـــان صـــحة آرائهـــم ، تـــدفع الكثـــير مـــن المجتمـــع إلى التشكيك في أصل الموضوع نفسه.

إن التركيـــز مـــن قبـــل المهتمـــين بقضـــية الإمـــام المهـــدي(ع)عـــلى نشـــر(ثقافـــة الإنتظـــار) بـــدلا مـــن(ثقافـــة الظهـــور)، تضـــعهم والقضـــية التـــي يهتمـــون بهـــا وأفـــراد المجتمـــع في الاتجـــاه الأكثـــر فائـــدة وخـــيرا. والمقصود هنا بـــ (ثقافـــة الانتظـــار) تثبيـــت قضـــية الإمـــام المهـــدي وحتميـــة وجـــوده وظهـــوره والإيـــمان بـــذلك كلـــه ، وتوعيـــة وبنـــاء المجتمـــع المـــؤمن الملتـــزم بـــالأخلاق والســـلوك الإســـلامي الصـــحيح حتـــى يســـتطيع أن يكـــون عـــلى أتـــم الاســـتعداد للمشـــاركة والعمـــل والتضـــحية في حالـــة ظهـــور الإمـــام(ع). وهـــذا مـــا أشـــار إليـــه الســـيد الشـــهيد محمـــد الصـــدر بقولـــه:(لا يكـــون الفـــرد عـــلى مســـتوى الانتظـــار المطلـــوب ، إلاَ بتـــوفر عنـــاصر ثـــلاث مقترنـــة:(عقائديـــة ونفســـية وســـلوكية. ولولاهـــا لا يبقـــى للانتظـــار أي معنـــى إيـــماني صـــحيح...).[1] وبـــذلك يكـــون مـــن يريـــد ظهـــور الإمـــام ، أن يكـــون معـــه وتحـــت لـــواءه ولـــيس مـــن الخصـــوم والأعداء العاملين ضده.

٢- دور المرجعية الدينية:

مـــن القضـــايا الأساســـية التـــي ركـــزت عليهـــا الحركـــات العقائديـــة المنحرفـــة ، دعواتهـــا ومهاجمتهـــا للمرجعيـــة الدينيـــة والتشـــكيك بهـــا في الأمـــور الدينيـــة والدنيويـــة.[2] إذ أنهـــا تـــرى فيهـــا العقبـــة الأساســـية

---

١ السيد الشهيد محمد الصدر ، موسوعة الإمام المهدي ، تاريخ الغيبة الكبرى ، ج٢، ص٣٦٦.

٢ نشر احمد الحسن اليماني بيانات عديدة هاجم فيها المرجعية الدينية تحت عناوين عديدة ، منها :(بأي حق نصبتم أنفسكم نوابا عن الإمام المهدي ع ؟ وكيف جعلتم التقليد لكم واجب لا تقبل الأعمال إلا به ؟)، و (كيف جوزتم التشريع بدليل العقل ؟!)، و (هل سألتم أنفسكم هل انتم علماء عاملون؟ هل تعدون

الوحيدة في طريق نجاح تلك الحركات المنحرفة، نظرا لما لها من تأثير كبير في المجتمع. لذا أننا نجد أن أدبيات تلك الحركات تحاول دائما مهاجمة المرجعيات، وعدهم من أشد المناوئين للإمام المهدي عند ظهوره بالقول:(أنهم يقومون بلعن هذه الراية وبالتالي سيؤدي ذلك إلى اتباع الناس المقلدة تقليدا أعمى إلى رفض راية الإمام المهدي(ع) ولعنها...).[١] لذا جاءت خطط البعض من تلك الحركات مثل: جماعة جند السماء، بالعمل على القضاء على المرجعية الدينية وتصفيتها تصفية جسدية [٢]. والهدف من ذلك كله أن لا يترك للمجتمع فرصة الرجوع إلى المراجع لبيان وتوضيح الرأي فيما ستؤول إليه الأحداث في حالة نجاح مخططات المنحرفين، إضافة إلى ترك فراغ ديني واسع يضطر فيها المجتمع إلى السكوت، أو التصديق بما جاء بها هؤلاء الدعاة المنحرفون.

ومن هنا تأتي أهمية المرجعية الدينية ودورها في التصدي لمثل هذه الحركات والمظاهر السلبية التي قد تحدث في المجتمع جراء ذلك. إذ أن تلك الحركات لم ولن تنتهي، والمرجعية مدعوة لأخذ زمام الأمر

أنفسكم عاملين وانتم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر؟)، و(لماذا لم تستجيبوا لدعوة الإمام أحمد الحسن كبار علماء الشيعة إلى طلب المعجزة؟)، و(لماذا أعرضتم عن مباهلة الإمام أحمد الحسن عليه السلام) . الموقع **(www. Almahdyoon.org)**

١ قاضي السماء، ص ٢٧٠.

٢ أشارت التحقيقات الرسمية مع الذين تم إلقاء القبض عليهم في أحداث الزركة ، أن الخطة الأساسية لعمل المجاميع كان يقصد بادئ الأمر التحرك نحو المراجع الدينية وتصفيتها وتصفية التابعين هم من قياديين ، ومن ثم تتحرك المجاميع على شكل سرايا في مناطق مختلفة وتلتقي في مكان واحد هو ضريح الإمام علي بن أبي طالب(ع)، ويستم بعدها الإعلان في مكبرات الصوت عن ظهور المهدي . الموقع الأخباري(**www.akhbaar.org**)، بتاريخ ٨ تشرين الأول ٢٠٠٧م.

بالمزيد من التوعية والتثقيف والحضور الفعلي في الساحة الاجتماعية. وهنا يمكن الإشارة إلى ضرورة الاستفادة من المناسبات الدينية ذات الحضور الجماهيري الواسع وعبر توجيه طاقات الحوزة ، وخاصة الطلبة الحوزويين بالعمل في تلك المناسبات من خلال الانخراط مع الناس وتصحيح الكثير من المفاهيم والممارسات الخاطئة وتوجيههم نحو قيم الحق والأفكار الصحيحة بعيدا عن التطرف والغلو والانحراف.

إن من الضرورة بما كان تحويل تلك المناسبات الدينية كمصدر للإشعاع الروحي والفكري والعقائدي والأخلاقي. فليس المطلوب أن يكون ارتباطنا وتمسكنا في تلك الشعائر ارتباطا روحيا عاطفيا فقط ، وإنما ارتباط(ولائي)ملتزم بفكر ومنج أهل البيت وسلوك الإسلام والرسول الأكرم(ص)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

إن ربط الأمة بالمرجعية بحاجة إلى بناء علاقة تلاحميَة متآزرة تقوم على قبول المجتمع بتوجيهات المرجعية ، وفهم المرجعية لهموم الأمة. فالأمة التي تلتزم أوامر علمائها وتعمل بفقههم ونصائحهم ، بحاجة إلى أن تكون المرجعية أيضا بمستوى الطموح من الاستجابة للتحديات المفروضة عليها ، ولا سيما تحدي الطعن في العقائد والثوابت الراسخة. ويقينا أن التاريخ الطويل للعمل المرجعي واحتفاظها بمكانتها المتميزة وحفظها للدين ، تجعلها تمتلك الوسائل الكفيلة بتوجيه المجتمع لما هو خير له في الدنيا والآخرة.

٣- دور السلطة والمؤسسات:

لقد لعبت السلطة المركزية دورا حاسما في القضاء على بعض تلك الحركات العقائدية في العديد من المدن والمناطق في البلاد. غير أنه من المناسب الإشارة إلى أن تلك المعالجة العسكرية رفقتها بعض المظاهر السلبية للتصريحات السياسية والإعلامية، والتي أثرت وسوف تأثر على قبول المجتمع وتفهمه للمواقف والتصريحات الرسمية إذا لم ينشد منها المصداقية والحقيقة.

فلقد جاءت الرواية الرسمية حول ماهية تلك الحركات ودوافعها وأهدافها، لتزيد من الالتباس حول ارتباط تلك الحركات بجماعات القاعدة، أو بقايا النظام السابق، أو بعض الأطراف السياسية، أو بعض الدول المجاورة.[1] كما أن اللجان التحقيقية المشكلة لم تستطع أن تقدم النتائج الكاملة والواضحة للمجتمع، الأمر الذي أدى إلى سيطرة عنصر التشويش وانتشار الشائعات حول تلك الحركات وبما لا يمكن أن يساعد في تحصين المجتمع وتوعيته مستقبلا ومنع أفراده من الوقوع في شرك مثل تلك الأفكار المنحرفة.

ومن جهة أخرى، فإن السلطة الحكومية مطالبة بمعالجة الظواهر التي ساهمت في انتشار تلك الأفكار والتيارات، من قبيل إيجاد الحلول الكفيلة لظاهرة البطالة المعيشية، وإيجاد فرص العمل للشباب ورعايتهم والاهتمام بهم من خلال إيجاد وتطوير المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية، ونشر ثقافة التسامح والقبول بالآخر، ونشر العلم ومحاربة الجهل عبر الاهتمام

---

١ المصدر نفسه.

بالمؤسسات التربوية والتعليمية. فالدوافع الاقتصادية، والفراغ الفكري، والإحباط لدى بعض الشرائح، وخاصة الشباب تدفعهم إلى تبني الأفكار والممارسات الخاطئة، وتنمو في أوساطهم مثل تلك الحركات العقائدية المنحرفة، وجماعات العنف والجريمة.

إن تردي الأوضاع السياسية والأمنية في العراق قد ساهم بشكل كبير في نمو وانتشار تلك العقائد. فالخلافات السياسية والصراعات الحزبية والطائفية ونتائجها المباشرة على المجتمع، أدت إلى انعدام ثقة المواطن بالواقع وبالتطلع نحو آفاق المستقبل، وبالتالي اللجوء لمثل تلك الحركات العقائدية التي تغازل في دعواتها مشاعر وأحاسيس المواطن من خلال إدعائها بأنها لديها الحلول الناجعة في تحقيق العدل والمساواة في عالم يملؤه الظلم والجور، خاصة وأن فلسفة الظهور في قضية لإمام(عج) تقوم على أساس ذلك.

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن وجود الأحزاب والتيارات السياسية العاملة على الساحة العراقية ولا سيما الإسلامية منها، لم تستطع أن تقدم لحد الآن الحلول المناسبة للواقع العراقي، أو في تطبيق الشعارات التي ترفعها. وهذا ما أوجد انعداما للثقة لدى البعض، وظهور فراغ (عقائدي- سياسي)بالنسبة لما يمكن تسميته بالأيديولوجية الدينية لنظام الحكم(الإسلام السياسي)، في الوقت الذي تقوم تلك الحركات المنحرفة بالتركيز على ادعائها امتلاكها المشروع المتكامل بالحلول الماورائية القائمة على الظهور وتحقيق العدل الإلهي.

لذا، فإن الأحزاب والتيارات الإسلامية مدعوة أكثر من غيرها إلى إعادة تقويم أدائها السابق والعمل على إعادة الثقة الآخرين بها من خلال العمل لصالح المجتمع دون تمييز بين أبنائه، أو خلل في مناهج عمل الأحزاب، أو بقاء الخلافات والصراعات فيما بينها.